

روایات عبر

nlo

جین دونیالی



عذ فقیرا مثیلی!



lilas.com

nlo

عذ فقيراً مشاي!

من منا لا يتمنى الثروة؟ جايمس فتون المليونير الشاب كره المال الذي ورثه عن ابيه الصناعي الكبير. . . لأن الثروة دلت على بناء كثيرات للتقرب منه بهدف الزواج. فأغلق قلبه وانعزل في مزرعته الخاصة.

شرقه هندسة ارسلت ليز لشرف على ترميم البيت القديم وهناك التقت جايمس الذي قدم نفسه باسم طوم عامل الحديقة. وبعد اسابيع ارتاحت ليز لمعاملة طوم لها وتصرفاته تجاهها، وهي الخارجة من انون علاقة عاطفية ربطتها بباري مايسون. . . الرجل الذي استغلها. ولذا حين طلب منها طوم الزواج وافقت ولكنها صدمت حين كشف لها باري حقيقة شخصية البستاني. . . لم تصدق بأنه المليونير المشهور صاحب الأملاك الشاسعة. انها فقيرة. . . معدمة، فلماذا اختارها هي من بين عشرات النساء الساميات لنيل رضاء؟ قال لها جايمس: اريد زوجة للبيت! فجن جنون ليز. . . يشتريها بفלוته؟ لا. كل شيء تغير الآن. فهي احبت طوم البستاني الذي يشبهها اما جايمس المليونير فهي لا تعرفه ولا تشعر نحوه بأية عاطفة

lililas.com

السودان ٨٠٠	البحرين ٤ ر	الكويت ١ د	ليستان ١٢ د
U.K. £ 150	شونس ١٥٠٠ د	الإمارات ١٢ د	شورية ١٢ د
France F 10	ثيمبا ١ د	البحرين ١٥٠٠ د	الأردن ٨٠٠ د
Greece Drs 200	المغرب ٥ د	قطر ١٢ ر	المشرق ٥٠٠ د
Cyprus P 150	مصر ١٢٥ د	عمان ١٥٠٠ د	السعودية ١٢ د

العنوان الاصل لهذه الرواية بالانكليزية

LOVE FOR A STRANGER

١- غريب في البيت

أوقفت ليز باتام سيارتها في الساحة الصغيرة خلف المبنى المخصص لسكن العازبات وتوجهت الى حيث تشغل بمفردها شقة متواضعة. راحت تسرع الخطى كي لا تلتقي أياً من جيرانها، فحالتها النفسية لا تسمح لها بسماع كلام أحد. في شقتها كل شيء يوحي بأن ساكنتها تستعد للقيام برحلة ما. الحفائب مفتوحة في غرفة النوم، والثياب الصيفية الموضوعة فيها تدل على أن وجهة السفر مكان غني بأشعة الشمس. فتياب البحر المتنوعة الألوان مكدسة بترتيب على السرير، والأثاث القطنية والحريرية الجديدة تحتل القسم الأكبر من الحفائب. منذ لحظات كانت مفتتحة بأن يلقي مايسون سيمرغس عليها الزواج خلال عطلتها في ربوع اسبانيا، لكنها الآن فقدت كل شيء. وخيم جو يمزج من الفرح على الغرفة وعلى ثيابها التي طافاً تحيلتها جهازاً لعرسها. لم تقو على المكوث طويلاً أمام سراب الهناء الفايح أمامها، فخرجت وأحكمت اغلاق الباب بعصية ظاهرة. أرادت ان تسجن ذكرى عابرة اختصرت فيها الدنيا، وأن تحبس شعوراً بالفرح لم يصر النور. جلست في غرفة الاستقبال ذات الألوان الباهتة والمفروشة بطريقة توحي بالرخصة بالرغم من صغر حجمها. لم تلبث أن خانتها أعصابها، فاستندت رأسها الى حافة مفعدتها التي مستلعة الى دموع سائحة بللت وجنتها بسرعة.

لمست لو باستطاعتها الصراخ، ولا شعورياً علا انها فلم ترَ بدأ من البكاء ما دامت وحدها، لا تراها عين ولا تسمعها اذن. لم تيك منذ زمن طويل، وهي المعروفة بصلابتها، لكن الأمر مختلف كلياً الآن. ما حدث

© JANE DONNELLY 1978

© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: جين دونيلي
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة هارلكوين
(قبرص) المحدودة

المراسلات

Harlequin (Cyprus) Ltd.

29 Michalakopoulou St.

Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

منذ دقائق عشر عاد ينشئ ذاكرتها بحياً فيها لحظات واجهت فيها اندثار
أحلامها وانتيار عالها الصغير الذي ينته في قلبها.

كان من المفترض ان تغادر الى اسبانيا غداً صباحاً، بعدما اتفقت مع
باري على لقاء ثنائي صديق يملك قصراً صغيراً في بلدة دينيا. وعدت
نفسها بأشياء كثيرة ستحققها هناك وأهمها عزم باري على طلب يدعا في
ذلك الجو الرومنطيقي. تخيلت الخاتم الذي سيشره لها، والحفل الذي
وعدها صديقها وزوجته بأحيائه بعد مراسم الزفاف، فيسهرين حتى
الفجر في صخبهم المبهود وفرحهم العامر. يجب أن تكون الآن مع باري،
لكن ذهباها الى مكتبه القريب من شقتها في مدينة نورسرون لاصطحابه الى
الغداء وما حدث هناك، قلب مغاييس حياها رأساً على عقب وزعزع
أمنيات كثيرة دغدغت خيلتها لفترة طويلة.

يعمل باري في حفل البناء ويعتبر من الناجحين في هذه المهنة. أعماله
منتشرة في مختلف المناطق واسمه بدأ يشق طريقه في عالم الشهرة. لكنه
وصولي الى حد الجشع ولا يتوانى عن فعل أي شيء لنيل مأربه. كان جالساً
وراء مكتبه منتهكاً في قراءة الأوراق الكثيرة المتشورة أمامه، حين دخلت اليز
متبسمة ترد في قراءة نفسها كم هي محظوظة في وقوعها على رجل مثل
باري، بوسامته الساحرة وشعره الأشقر وقامته الطويلة ومنكيه
المريضين. خاصة وأنها لا تعدّ جميلة ولا تتمتع حتى بفسط ضئيل من
البهاء. فهي طويلة القامة نحيفة من غير رشاقة، عظمتا وجهها نافرتان مما
أثر على وجهتها فغارتا في وجهها المذنب. جلدها وقيق الى حد بروزت معه
عظام المعصمين والرقوتين بشكل ظاهر.

كانت قليلة الخبرة ومنكمشة على نفسها. الى أن بدأت مؤخراً تختبر
الحياة خارج نطاق عملها وأبعد من باب شقتها، فالتصقت مشيتها قليلاً من
الرشاقة واعتادت اضياف بعض الدلال على كلامها. لكن هذا لم يضع حداً
لنساءلات اليز الكثيرة عن سبب تعلق شاب وسيم كباري بفنائه مثلها.
دعاها باري للجلوس متابعاً مراجعة أوراقه بوجه عابس:

- تفضلي بالجلوس يا عزيزتي.

- هل هناك مشاكل؟

نزع نظارتيه واضعاً الأوراق على الطاولة ثم نظر إليها شارحاً:

- حفل البناء مليء بالمشاكل، خاصة عندما تواجهنا اجراءات شكلية
عقيمة. حان موعد مهمتك الثانية. هل بإمكانك تدبير قرض آخر منهم؟
- أنتعي تدبير المال لشراء المعدات؟
اجاب موضوعاً:

- أعني هل سيدفعون لك الآن؟ سبداين مهمتك فور عودتنا فهل
سيدفعون سلفاً؟
- كلا.

لم يكن جوابا مجرد ردّ متسرّع أو مُنْع بسيط، فقد بدأت لتوها تشق
طريقها الى عالم الشهرة ولو بتواضع. لن تغامر بكل شيء ولجئت أمام
رئيسها طالبة الاحسان. هذا من شأنه ان يسيء الى سمعتها، خاصة وان
الفنانة الشقراء التي تعمل في خدمتها الآن، منمكة بمشاريع مهمة ولن
تدفع أي مبلغ سلفاً. تجتمعت قائلة:

- لا أمل في ذلك يا باري.

- بإمكانك المحاولة أليس كذلك؟

حاولت اليز صرفه عن عزمه:

- لا وقت لدينا للمحاولة، فنحن مسافران غداً لتنمضية العطلة.

اجاب باري ببرودة يشوبها اللؤم:

- بوسعنا تأجيل موعد السفر.

- لا. حل كل حال عدة شهور لن تغبّر من الأمر شيئاً.

لم يرق الأمر لبازي وهو الذي اعتاد رؤيتها تبذل ما بوسعها لما فيه غير
مؤسسته، فاستمرت فيها كل ما ادخرته طوال سنة كاملة، واتفقا على ان
تترك له مهمة ادارة اعمال المؤسسة واضعة كل ثقتهما به. كانت شريكته في
ما يتعلق بالدفع والمصاريف ولا علاقة لها بالارباح.
حاول اتناعها عبداً:

- اليز حبيبي. اتنا بأمر الحاجة الى المال في الوقت الحاضر فنحن على
شفير الافلاس.

سمعت اليز هذا الكلام قبلاً. فجميع رجال الأعمال يعانون المشكلة
نفسها. تحت لو يصدق انها غير قادرة على القيام بالمهمة الجديدة وقالت تبرر
موقفها:

- لن تقدم بولا كافيلاً على دفع المزيد وأنا متأكد من ذلك. سبق وأخبرتكم عنها، ولن يكون تصرفاً صائباً أن نحن طلبنا منها أكثر من ذلك. انها من أشهر الممثلات على الاطلاق. ونحصل على دعم أحد أكبر أثرياء المنطقة وبالرغم من هذا فهي تحافظ على أموالها بعناية كبيرة.

حاجتها باري بنظرات باردة، لا حياة فيها وكأنه يمنعها من معرفة ما يقابلها. لكن الأمر لم يخف عليها، كانت تعي معنى نظراته هذه وتعرف ما تخزنه من شعور بالحيرة والغضب. حاولت أن تقول له انها بالرغم من كل المخاطر ستحاول الحصول على ما يريد، عله يغير هذه النظرات ويستم كما اعتاد أن يفعل في الماضي القريب. تعرفت الى باري منذ ثمانية عشرة شهراً. سنة ونصف. حاكمت الأيام خلالها قصة حب حميمة. نسجت غيوطها بين قلبيهما. عاشاها ساعة فساعة حباً وهناءً ولم يعرفا فيها الخصام أبداً. كانت تنقل كل شيء منه وتتخذ كل ما يطلبه. أما الآن، فعليلها ألا تراجع، يجب أن نكتشف حقيقة علاقتها. تريد أن تعرف مكانتها في قلبه ودورها في حياته.

- يبدو أني لن أحصل على فائدة من أموالك الموظفة لديك. كل ما فعلته حتى الآن هو الدفع.

أجابها بعصية ظاهرة:

- مستعبدين كل ما دفعته. وأنت تعلمين.

- إذا لم يسهل افلاسك أولاً، أليس كذلك؟

لم يابه للبرودة التي غشت كلماتها ورد باحتقار:

- أجل.

أدركت ليز أن المشاجرة باتت أمراً عتياً. كانت دائماً تتفادى الاسترسال في معارضة والتمادي في أمور لا مجال لانتفاعها فيها، فترسخ صاغرة لاراته قبل تقاعم المناقشات فيها لكن، لا مجال للانتكفاء هذه المرة معها كان الثمن. لم تعط ليز للمال أهمية فلذلك لم تمتلك ثروة بل ادخرت مبلغاً صغيراً كان حصيلة عملها في حفل هندسة ديكور المنازل وزعرقتها لمدة ستين. كانت تفكر في بلوغها الثانية والعشرين من عمرها وبالسنتين المقبلة. في العام الثالث احتفظت بما يساعدها على شراء ما يلزمها من طعام وشراب واستثمرت ما تبقى في مؤسسة باري. من جهة، عاملها باري منذ

البداية على أنها حبيبته الأولى والأخيرة. وازداد تعلقه بها وتودده اليها حين اكتشف انها ستورث لاحقاً ثروة هائلة. لكنها لم ترث عن عمها لويزا غير منزل قديم يحوي اثاثاً لم نجد من يبيعه شراءه. فخاب أمل باري وتغيرت معاملته لها في الآونة الأخيرة. واكتشفت ليز متأخرة السبب الحقيقي لتعلقه بها، انه المال عاملها كمصدر للمال لا أكثر.

خاطبته وعيناه مسروران الى أسفل مكتبته:

- أنت لا تحبي، أليس كذلك؟ ما كنت لأعني لك شيئاً لولا انتفاعك

منه.

نهض باري واقترب منها يتودد قائلاً:

- وما الضرر في أن تكوني ناعمة. الي أحبك حباً جماً. لكننا نمر الآن في أزمة ضيق هائلة. وبإمكان ذلك المبلغ أن ينجدنا (وحملها بين ذراعيه ويدلها وأكمل) ما بك يا حبيبتي؟ ألا يمكنك تلقيق قصة ما لاقتاعها بدفع المبلغ؟ قولي لما انك تحتاجين المال لاقام ترتيب شقتك أو مكتبك.

- لا أقدر أن ألق هكذا كلمة.

لم يقو باري على الاحتمال أكثر ففقد هدووه فجأة وراح يكيل لها الاتهامات. اتهمها بالانانية وتفصيل مهتها على أعماله، ونعتها بالحقيرة والجشعة، وتجادى في الخروج عن طوره واصفاً اياها بالعانس. ثم أخبرها انه سيسافر صباح غد الى اسبانيا بمفرده، وكأنه يعطيها فرصة للتفكير بالأمر بعد أن أقبحها أن علاقتها باتت مهددة اذا لم توافق على تنفيذ ما يطلبه منها. كيف يعقل أن يتهمها بالجشع وهي التي لم تال جهداً في تدبير المال له طوال السنة المنصرمة؟ وذقرت زفرة طويلة مستعيدة وصفه اياها بالعانس بالرغم من عدم تجاوزها الثانية والعشرين من عمرها. كل ما تقووت به في تلك الجلسة الشؤومة كان كلمة الوداع. تمتصت بها شفتاها بانكسار وعجبة وخرجت من مكتبته لتستقل سيارتها عائدة الى شقتها.

لم تتحرك من مكانها في غرفة الاستقبال لبعض الوقت، تحاول جاهدة طرد تلك الصور القاتلة من مخيلتها. يغطي باري ان ظنها قد انصاعت لمشيئته وبدأت مفاوضاتها مع بولا للحصول على المبلغ. انه يعلم كم تنفق الخصام والمشاجرة بقدر ما تكره العواصف الرعدية. ويعرف كم تنفق للهدوء. لن تكون هذه المرة ليز التي يعهد، ولن تدعه بمعن في استغلالها

بعد الآن. لقد انتهى زمن الانصياع لآوامره وتغلب مشيئة.

ستفكر بنفسها ويستقبلها بعد ان قدت نهائياً الشعور بالأمان قربه .
مسحت دموعاً غزيرة تفرقت على خديها وقامت الى غرفتها تعيد توظيف
أمتعتها في الخزانة . أحست بالارتياح عندما أقفلت آخر جراب وألقت نظرة
عابرة على الحفائب الفارغة . زالت القوضى من الغرفة وستزيلها من حياتها
بعدما باتت قادرة على السيطرة على نفسها .

تناولت سعادة الهاتف وإدارت القرص وطلبت التكلم مع السيدة
كافيل فأجابتها السكرتيرة :

- اهلا يا ليز . أنا هاري ادوموندز ، سافرت بولا الى أميركا . هل هناك
مشكلة ما ؟

- لا انا . . هل بإمكانك البدء بالعمل منذ الآن ؟ كنت أعزم الافادة
من عطفتي كما تعلمين ، لكنني عدلت عن ذلك مفضلة مباشرة العمل فوراً .
- سألق ببولاً غداً بعد أن أخبر المسؤولين عن المنزل بقدومك . أنا
متأكدة من أن مباشرتك العمل قبل الموعد المقرر سيسعدنا كثيراً .

عرف عن ماري طيبة قلبها وسمحت ليز فرصة التعرف اليها عندما
قامت للمرة الأولى بزيارة منزل بولا الجديد ، للحصول على بعض
القياسات والمعلومات . علقت والتفتها حين سافرت ليز الى لندن لمناقشة
بعض التفاصيل مع السيدة كافيل .

أحببت ليز عملها أكثر من أي شيء آخر ، فهو بالنسبة اليها فرصة
لإثبات جدارتها وإظهار موهبتها . لم يسبق للعمل ان خذلها أو أضربها كما
فعل الآخرون ، والآن بعدما بدأت تفكر بنفسها فستولي عملها ما يستحقه
من اهتمام وتقدير . انتهت شراكتها مع باري ولكن متأخرة ، فقد لفتها
درساً قاسياً لن تنساه بسهولة ، لم يتسم لها الحظ في الحب وما جنت منه
سوى العذاب والفقر ولم يبق لديها سوى الاهتمام بمهنتها بالرغم من ضآلة
المردود . تناولت حقيبة صغيرة وضعت فيها ثياب العمل وبعض أدوات
التجميل والمسايق المختلفة التي قد تحتاجها خلال اقامتها المؤقتة في عيطة
بلدة ويلش حيث يقع منزل بولا . كانت قد خططت للعودة الى شقتها في
نهاية كل أسبوع لملأفة باري لكن مشاريعها تغيرت بأكملها الآن وسيضي
وقت طويل قبل ان تفكر بالعودة الى هذا المكان . أقفلت باب شقتها

باحتكام وخرجت الى حيث أوقفت سيارتها ، فوضعت أمتعتها في الصندوق
الخلفي وأدارت المحرك بعجلة ومضت في طريقها لا تولى على شيء .
لمعت ليز في القيادة كما لمعت في عملها . لكن بالرغم من شغفها بالسيارات
لم تحاول أبداً السير بسرعة . قعوت والديها بحادث سيارة ترك أثراً بليغاً في
نفسها ، لم تقو السنوات على محو . قطعت مسافة طويلة على الطريق
الساحلي من غير ان تشعر بشعب أو ملل وبدأت تتخلص تدريجاً من
شحنات الحزن التي سيطرت عليها . كانت تستمع الى المذيعات ينقل أغنيات
عنية الى قلبها ، وتسمع الطوف بمنابر خلافة توزعت الى جانبي الطريق .
تتشوق للوصول الى منزل بولا ، فعملها هو الأهم منذ ان بدأت مهنتها .
بعد ساعات من القيادة وصلت الى بلدة ويلش وشعور من الغبطة قد
حل مكان العصبية التي رافقت بداية نهارها . انها تحب العيش في الريف
والأرمان في أحضان الطبيعة . منذ صغرها وهي تحلم بامتلاك كوخ صغير
ضائع في غابة خضراء تزيينها الورد وتشرح فيها مختلف أنواع الماشية .
سلكت طريقاً جبلياً تطل على شاطئ البحر ورافقة مرّت عليها ريشة الربيع
فبدت براقة زاهية ، تنتصب بشموخ على بساط وردي شاسع وحافل بكل
أنواع الزهور والرياحين . في نهاية الطريق بدا ترحلون ، المنزل الذي
قطعت ليز لأجله كل هذه المسافة . اقربت منه غير مصدقة انها على وشك
دخول أجمل بيوت بلدة ويلش نظراً لموقعه الرائع في وسط وادية خضراء ،
يحيط به سور من الخشب الأبيض القديم ، تقطع امتداده بوابات حديدية
وزعت على جوانبها أشجار السرو الضخمة . تحفط ليز المدخل الرئيسي
لتجد نفسها في ساحة عريضة بدت حزينة لما أصابها اليأس وأكلها
العتش . أمام باب المنزل ترقد عدة درجات ، غشي الغبار السميك
وخامها ، تؤدي الى الشرفة تزور المنزل ، صارت مرتعاً خصياً للمطحالب
ومختلف الأعشاب البرية الأخرى .

تذكرت ليز اليوم الذي رافقت فيه ماري الى هذا المكان بعد أن أعجبت
بولا بطريقتها في هندسة ديكور الفندق الصغير قرب بحيرة بانينا ، وتحولها
بإاء من منزل قديم متواضع الى نزل رائع حديث . سألته بولا الاهتمام
بهندسة هذا المنزل المهجور الذي اقتنته مؤخراً . وعادت بها الذاكرة الى
نحوها وماري في الغرف الفارغة الآ من بعض قطع الأثاث الثمينة هنا

وهناك ومنظمة بجملة عيشها الغبار على مر الأيام. أمضت ساعات فيها تخططان وتدوسان طريقة ملتهن بالمفروشات الفاخرة. قللن لم يشكل يوماً عائلاً في وجه بولا كافي. كل ما يجمعها هو حصولها على أفضل الأشياء، فلذلك استلمت ليز في اليوم التالي شيكاً موقفاً باسم السيد جاكس فتون لشراء ما يلزمها لبث الحياة في هذا المنزل. سمعت ليز بهذا الاسم من قبل، فهو من أقطاب الصناعة في المنطقة ويملك أكبر مجموعة من المصانع فيها، عدا كونه صديقاً حميماً للسيدة كافيل، مما يفسر مشاركته لها في سكن المنزل. فطلب يومها من ليز تخصيص غرفة لتكون مكتباً له، وإضافة خزانة كبيرة أخرى في غرفة النوم لتستوعب ثيابه وحقائبه.

لم يتوقف فضول ليز عند هذا الحد فاستدرجت ماري إلى اخبارها حقيقة ما يجري. كونها سكرتيرة بولا، تمكنت ماري من الاطلاع على دقائق الأمور والاسرار فأخبرت ليز بسر ما زال خافياً عن الجميع. بولا وماريونيرها الجذاب سيتزوجان قريباً وسيسكنان هنا.

أحببت ليز المنزل منذ زارته للمرة الأولى، فلم تدخر جهداً ألا وبذلت في وضع تصاميم تتال اعجاب بولا. أحببت العيش فيه لفترة والاتزوا بين جدرانها في احضان الهدوء والعمل. ستقدم ليولا وماريونيرها العتيد منزلاً يليق بالنامية السعيدة.

أحسّت ليز بأنها قطعت شوطاً طويلاً في الشroud وراء ذكرياتها، فنفضت ما علق من غبار عن ثوبها، ومررت يدها على شعرها تصفقه بسرعة ثم طرقت الباب. انتظرت لحظات من غير أن تسمع جواباً. كل شيء يخرق في هدوء ثقيل، وكل ما حولها يصرخ بأن الحياة هجرت هذا المكان منذ وقت غير قصير. عادت إلى سيارتها لتلقي نظرة على الجهة الخلفية للمنزل حيث الأسطبل والموقف المخصص للسيارات. فجأة، تذكرت باري والرحلة إلى اسبانيا. لم تشعر بالندم على مجيئها إلى هنا بدلاً من السفر معه، فهو لم يكن يجيها بل أحب ماها واستغلها، فهأت نفسها على اكتشاف ذلك وابتعادها عنه قبل قوات الأوران.

قامت بدورة حول الأسطبل في السادة الخلفية. فوجدتها خالية. السيارات وكل الأبواب موصدة. استنتجت أن المسؤولين عن المنزل قد أوقف سيارته في الداخل وأقفل عليها، ففرغت الباب الخلفي لكنها لم

تسمع اذن حركة في الداخل. فاعادت الكرة ثانية وثالثة من غير جدوى. حركت المزلاج بيدها فوجدت الباب غير موصد. أبقت ليز عندها أن ماري اتصلت بالمسؤول لتعلمه بقدموها فترك لها الباب وتادت بأعلى صوتها:

- مرحباً، هل يوجد أحد هنا؟

انقصر الجواب على صدى صوتها. لم تشأ البقاء خارجاً، ففتحت الباب على مصراعيه ودخلت لتجد نفسها في العر المؤدي إلى المطبخ، حيث وقفت مشدودة أمام حالته المزرية. كانت بولا على حق حيث طلبت تغيير جميع محتوياته وأبدلها بأخرى جديدة تناسب مع حسن تصميمه بالرغم من قذمة.

استرعى انتباه ليز وجود غلاية على فرن الطهي وآنية فخارية على حافة حوض الغسيل الرخامي. أحسّت برغبة مفاجئة لاحتساء فنجان شاي، فصاحت مرة أخرى:

- هل يشاركني أحد شرب الشاي؟

وعندما لم تسمع جواباً، ملأت الغلاية ماء ووضعتها على النار. جلست ترشف الشاي على مهل متشبه لو تبقى وحيدة في هذا المنزل الهادئ. كانت تنرق دائماً إلى هذا النوع من المنازل، حيث تجد نفسها وجهاً لوجه مع الحقيقة والصدق. فالجيران أفضل من البشر، لا ترى في وجوهها رياء أو كذباً بل صمتاً وخشوعاً بعيدين عن الاستغلال والمهاترة. ليت بمقدورها العيش هنا، تطلب حاجاتها على الهاتف وتطبخ وتغسل بنفسها كما فعلت في السابق عندما زارت المكان برفقة ماري. كل صباح كانت تمر سيارة شحن صغيرة محملة بكل أصناف البقالة والماكولات تبيعها لساكني هذه البقعة، فتوفر عليهم مشقة الذهاب إلى وولش. لم تلتق يومها بالمسؤول عن البيت، ولا تريد أن تلتاه الآن كي تستمتع بهذا السكون أطول وقت ممكن.

أحسّت بانتعاش عند انتهائها من شرب الشاي، وتناولت ففاحة من كيس موضوع على خزانة صغيرة قرب الباب. خرجت بعدها لتأتي بحقيبتها من السيارة وانجهت مباشرة إلى الغرفة التي شغلتها في المرة السابقة. غرفة صغيرة في الجهة الخلفية من المنزل، يصعد إليها بسلم

خشبي صغير. أثنائها كتابة عن سرير واحد ونخانة خشبية قديمة نقشت عليها رسوم نافرة. بيت لون جدرانها الأخضر الى حد الاصفرار بما أضفى عليها جواً من الوحدة والكتابة. قيل يجيئها الى هنا، وضعت ليز تصعيها جديداً هذه الغرفة. ستظل ثلاثة جدران باللون الأبيض وتغطي الرابع بورقة بيضاء كبيرة، طبع عليها قلوب صغيرة زهرية اللون ستغير لون الباب الى أزرق يتناسب ولون الستائر التي ستعلقها على النوافذ. ستكون غرفة رائعة، لكنها لن تبدأ العمل فيها إلا بعد انتهائها من الغرف الأخرى. أي أنها لن تتمكن من التمتع بهندستها الجديدة أكثر من عدة أيام. لم يكن السرير مرتباً هذه المرة، وقد نزع الغطاء عنه فلم يبق سوى فرشاة يعلوها الغبار. يجب أن تجد المسؤول ليترتب لها السرير قبل توصيب أمتعتها فالشمس توشك على الغيب وهي بحاجة للنوم باكراً بعد نهارها المصب. خرجت تمشي في أرجاء المنزل تتفحص الغرف. شعرت بالارتياح بالرغم من حالة الأثاث الرديئة. فهذا أهم تحد واجهته حتى الآن. أنها معركتها الأولى وستخوض غمارها بتصميم وحاس. ستقلب الفراغ والوحشة حياة وديناميكية، وستحول هذه الغرف الصماء الى غرف تضيح بالحياة والألوان. دخلت غرفة بولا ففاحت رائحة العفن منها، أنها بحاجة الى هواء نقي شأن كل غرف البيت الأخرى. أضاءت المصباح وحاولت فتح إحدى النوافذ، لكنها لم تتمكن من تحريك المزلاج. فهمت بمقاومة الغرفة حين وقع بصرها على رجل يقترع من باب المنزل. تناولت قطعة خشبية وجذبتها على الأرض ومررت بها تحت المزلاج وراحت تجذبها بكل قواها الى أعلى حتى تكثرت من فتح النافذة واطلقت منها متلافة:

- مساء الخير. أنت المسؤول هنا، أليس كذلك؟

اذهلت المفاجأة، فوقف في مكانه من غير حراك. بدا يشابه الدائكة وقيمه الكبيرة أشبه بصخرة صماء، ومضت لحظات طويلة أجاب بعدها بصوت اجش:

- أجل أنا المسؤول، لكن من أنت؟

أدركت ليز من كلامه أن ماري لم تعلمه بقدمها فقالت مقصرة:

- جئت لأبشر...

لم يدعها تكمل كلامها بل قاطعها صائحاً:

- ابعدني عنك عن تلك النافذة، فالوواح الزجاج بحاجة الى اصلاح. تراجعت ليز بسرعة وأقفلت النافذة، ونزلت السلام متجهة الى المدخل وجدها بانتظارها في قاعة الاستقبال وقد أثار الطابق السفلي بأكمله. توقفت دقيقة مبهورة بالأصواء ثم سألت:

- ما هذا أثار كاشفة؟

حدق الرجل فيها لفترة متأملاً قميصها الفضفاض وسروالها الأزرق الواسع ثم قال بتهكم:

- يبدو أنك ألقت المنزل بسرعة.

أرادت أن تعلق ظهورها بهذه الطريقة وتخبره بأنها ستشغل المنزل معه لعدة أشهر. لكنها عدلت عن ذلك مفضلة الاستفهام قیلاً:

- ألم تتيك الأتسة ادموندز بقدمي؟

- كلا.

كان متوسط القامة، ذاكن الشعر والعينين، يشبه الفجريين بلون بشرته يستمع اليها بغير اهتمام مروراً يده على لحية المهمة. أكملت ليز زوالها ثم توقفت في نهاية السلام مبقية على مسافة غير قصيرة بينها، فوجودها بمفردها معه أثار خشيتها:

- جئت الى هنا لأنني هندسة ديكور المنزل وسأبدأ العمل قبل الموعد المقرر.

- لماذا؟

لم تعجبها خشيته ومع ذلك قررت اطلاعه على السبب، لعل المحادثة تغير قليلاً من سمته المتجهمة وتبدل نبرات صوته.

- كنت سامضي عطلي خارج البلاد لكنني عدلت عن ذلك، فالتصلت بالأتسة ادموندز التي وافقت على بدء العمل ما دمت هنا.

لم يفتك ينظر اليها بعينين تنبئ بالشك والريبة، فأكملت بصوت خافت:

- أنا أسفة لعدم اعلامك بالأمر.

- ربما اتصلوا وأنا خارج المنزل.

أبدت ليز استنجاة بحماس:

- هذا ما حصل بالتأكيد. أنا ليز باتام، وسكنت برهة، ما اسمك؟

- طوم ويديع.
- انت السؤول هنا، أليس كذلك؟
- أجل.

تساءلت ليز عن كيفية عيشه هنا بمفرده، ومذا سيحل به بعد أن تنتقل بولا الى هنا. الى أين سيذهب؟ كيف تضي أوقاته. انه أكبر من أن يكون طالباً يستغل هذا الهدوء للتحضير لامتحان، ولا يبدو عليه كاتب أو شاعر. لا بد وأنه يقوم بهذا العمل بصورة مؤقتة. خاطبها طوم وكأنه يقرأ ما يجول في خاطرها:
- اعمل هنا في تشذيب الأزهار ورعايتها حتى تستعيد الحدائق عائلتها السابقة. اني أحبها من اللباس وأوفر لها الري. أسعدنا كلانه عن الاهتمام بالحدائق، فهي تضي على المكان سحراً خارقاً. وهي بشوق كبير لتراها مزهرة وغناء أثناء عملها في المنزل. فقالت مبسمة:

- وأنا ساعمل هنا على تحسين المنزل وجعله يبدو جديداً وجيلاً. سيكون عملي في الداخل طوال الوقت، فلن أزعجك. رمقها بنظرة تشع فطنة ودعاءاً وعلى مبسماً بفتور:
- بما أني أعمل كل النهار خارجاً وأنت في الداخل، فهذا يعني ان هناك مكاناً لنا في هذا المنزل. أية غرفة اخترت؟
- نقلت أغراضي الى الغرفة التي شغلتها أثناء زيارتي الأولى لهذا المكان. أه، تذكرت السرير غير جاهز فيها.
- كل ما محتاجينه موجود في الخزانة.
- شكراً.

- مستحاجين مكتباً وغرفة لعدائك على ما أظن. فاختاري الغرفة التي تناسبك.

لم تتغير نبرته، فما زالت خالية من الترحيب والمجاملة. لم تلمه، فهو موظف ويعمل مثلها في خدمة بولا. تقدم الى أسفل السلام حيث تقف وتوقف أمامها بقامة تنقو قامتها طولاً بعلة مستيعترات. بدا قاسي اللامع بمكنيه العريضين وعضلاته المتوترة وعيوس وجهه، فعمله القسني في الحديقة يتطلب جهداً لا يتوافر إلا عند الذين يمثل قوته. أحست ليز

بنظراته ثلثيها، فجاءدت كي تتخلص من بريقها الخاطف. لم ينجدها سوى معاودته الكلام:

- اني استعمل المطبخ كغرفة للجلوس، وأشار بيده الى باب صغير وغرفة المؤونة هذه استعمالها للنوم في الوقت الحاضر. لا أفري أين سيتهيي بي الأمر عندما تنجزين مهمتك، وأردف، لا تبدأي العمل في هذه الغرفة قبل أن تحيطي بي علماً.

التفتت ليز أمامها وهي تراقبه ينجه الى المطبخ ثم قالت:
- سمحت لنفسي بتناول فنجان من الشاي وتفاحة. أوجو المعترة على وفاحي، فقد نسيت أن أطلب معي طعاماً.
- لا بأس، فيوجد ما يكفي من الطعام هنا.

فرحت ليز بوجود طوم معها، بالرغم من حاجتها الى الاعتلاء بنفسها. خاصة وأنه يخبر بالاهتمام بالحدائق ورعاية الأزهار. قد تستعين برأيه في انجازها عملها، فحاولت الاستفسار عن طبيعة مهمته:
- ماذا ستزور في الحديقة؟

- من الأفضل ان تهني بترتيب غرفتك الآن. مستعدين في الخزانة كل ما يلزمك للسيرير. في هذا الوقت سأستحم وبعداً يمكنك موافاتي الى هنا لتناول العشاء، اذا أردت. ستعرفين كل شيء عن الحدائق وتجبريني عن خطفك لمندة المنزل، أثناء العشاء.

- هل يملك أمر المنزل؟
- جلس القرفصاء على الأرض، ثم مد رجله أمامها وأجاب:
- يحتمل أن أعيش فيه، طبعاً في الجناح المخصص للخدم. هل يدخل هذا الجناح ضمن نطاق عملك؟
- أجل.

- هذا خير سار.
- ابتسمت ليز بيده:
- قل لي أية غرفة ستشغل، فربما يمكنني...

قاطمها طوم موضحاً:
- مهلك يا آنسة، فانا أنال ما أعطى فقط.
تحوّلت ابتسامتها هذه المرة الى ضحكة أنارت دهشتها، فعليها أن تكون

أكثر احتراماً. انه انسان غريب فيفترض بها ان تختار كلماتها بشري وان تجنب رفع الكلفة بهذه السرعة.

ترع طوم مشرته البنية وعلقها وراء الباب ولاحظت ليز ثقباً كبيراً فيها فساءلت لماذا لم تحيطه زوجته أم انه غير متزوج؟ لكنها لم ترد الحوض في مسائل شخصية فانتفت بإعلامه:

- سأستحم بدوري وأعود خلال خمسة عشرة دقيقة.

عمدت في غرفتها الى تجهيز سريرهها، فستحتاجه للحصول على قدر كاف من الراحة هذه الليلة. أعجبها المفعو المحيط بالمكان، فلا صوت جيران يزعجها، ولا زحمة سيارات تخلق راحتها كما كان يحدث بالقرب من شقتها. لا رسائل ولا مكالمات، فباري لن يحاول الاتصال بها الليلة فهي متأكدة من أنه يتوقع مكالمتها له غداً لتعترف منه وتطلب اعطائها فرصة أخرى لتحاول الحصول على المبلغ الذي يطلبه.

دخلت تستحم وتغض عنها تعب النهار وقذارته، ووقفت أمام المرآة لتحس وجهها بأصابعها. أخرجت من حقيب صغيرة بعض المساحيق مسحت بها وجنتيها وجفنيها، وخططت أهدابها باللون الأزرق الناعم ليتناسب مع لون عينيها الداكن. سرحت شعورها الناعم بعناية وتركته يتهدل بحرية على كتفيها. تعلم ليز انها لولا هذه المساحيق لبنت في حالة يرثى لها، هذا لم يضاهيها أبداً بل اعتبرته لمصلحتها يحميها من تحرش الشبان بها. لم تسمع مديحاً أو تغزلاً سوى بأعمالها وطريقتها في التعاطي مع الآخرين فأعمالها الرائعة أثارت إعجاب الكثيرين، والغرف الجميلة الزاهية بالرومانسية والاثارة، التي ابتكرها لاقت استحسان متذوقي فن الديكور. شخصيتها الخالصة وثوقها الى الخلق والابتكار أثرا بشدة على عملها. شعرت منذ صغرها بميل جارف الى الفن والأعمال التي تتطلب ذوقاً مرهفاً، فاشبعث ميوها بأضواء الجمال والأبداع على كل شيء. عملت فيه. لكنها لم تتمكن أبداً من الحصول على ذرة من هذا الجمال لنفسها، فالتفت فراراً باتفاق كل ما استدخره من مال على نفسها فربما تستعوض بذلك عما افقدته من جاذبية ويعيد اليها لفتها بنفسها بعدما فقدتها اليوم من جديد.

كان طوم في المطبخ يهتم بتحضير العشاء مرتدياً قميصاً رقيقه صفراء

اللون بعدما خلق لحية وشاربيه من غير ان يخفف ذلك من قساوة تقاسيم وجهه. جلست ليز في مواجهته تسترق النظر اليه بين الحين والآخر تختار كيف تصفه. أشبع هوام جميل. وانتهى بها الامر الى الاقرار بامتلاكه وجهاً ملتقاً للنظر له أنف مستقيم جامد وشفتان رقيقتان، عينان ساهرتان مع حاجبين متصلين وذلن عريضة.

لاحظ طوم نظراتها فسأها بيرودة:

- هل عرفتني؟

ارتبكت ليز واستارت كيف تخفي حياها:

- كيف ذلك ونحن لم نلتق من قبل؟

- أعلم ذلك، كنت أعز. أرجو أن يعجبك الطعام.

أحسن ترتيب الطاولة من غير ان يتكبد عناء الطهي، فأنواع الطعام اقتصرت على بضعة أصناف من الجبن وتشكيلة من المخللات إضافة الى شرحات صغيرة من لحم الغنم المقدد وصحن صغير من المرى وقطعة من الزبدة. لم تشأ ليز البدء بالأكل قبل الاستفهام عن أمر براودها:

- نحن الاثنين فقط؟ أعني، ألا يوجد أحد غيرنا؟

- هل توقعت وجود شخص آخر؟ سيدتي، اعداد المنزل لم يكتمل بعد وما نحن سوى عابري سبيل.

لم تعجبها كلمة سيدتي، أحست بشيء من التهكم فيها. لا يد وأنها طريقتها في مناداة بولا. وتساءلت ان كان طوم من الصف الفضل لدى السيدة كاتيل، فلا أحد يعلم حتى الآن حقيقة ذوقها تجاه الرجال. حاولت طرد هذه الأفكار من عينيها فتنازلت قطعة من اللحم وراحت تقطعها في طبقها. لم يخف على طوم ما تفكر به فقال يطمئنها:

- لا تدعي وجودنا هنا يفرطنا يقلقك كثيراً.

لم تكن في قرارة نفسها قلقة، فهي تعلم أن رجلا مثله لن يقدم على الحلق الاذى بها خاصة وأن سياء التعقل والاعتزان يادية بوضوح على عيها. مظهره لا يوحي بأركانك حماقات من هذا النوع.

جاوبته متلعمة:

- كنت قلقة. كنت أفسد ان كانت زوجتك هنا أم...

قاطعها بوقاحة:

- متفاجئتي كثيراً بقدمها، لأنني لم أكن متزوج.

نعمت لبر عمل سرعتها وحسنيتها، فقد بدت كالقنينة اللؤلؤة بلشتين رجلاً دون السبعين من عمرهم، فبدأت من قروح السعال عيشه: هل أنت متزوج؟ أحسنت بالخروج فأخذت نفساً عميقاً واعتقدت:

- كوني معك لا يضايقي البيت، فسيان عندي وجودي مع رجل أو مع خسين كل ما هممني هو إنجاز مهمني في الوقت المحدد.

انقسم بفتور وعثى:

- وجودك مع حسين رجلاً أمر مختلف، فنية الأمان تصبح أعلى بكثير. والآن استعبدتني فإني أن أذهب لأقطع بعض الاعشاب وهذا من شأنه أن يحرمي من طاقاتي المختلفة. اطمني، فلن تلقى أية متاعب مني.

كان يجلس قبالتها يرشف فتجان الشاي يهدوه وارتياح قراحت ثأمله من جديدة. لا بد أنه يتمتع بعاقبة وحيوية هائلتين حتى يقوم بهذا العمل الشعب. استوحشته قائلة:

- لا أخالك متقطع كل اشجار الحديقة.

- لا طبعاً، فلنا لا أبدأ إلى ذلك إلا بوجود سبب قاهر يدفعني إلى ذلك. أسيروا فقط حتى تمر نلعبور بينها. لم يحدث أي تغيير في الحقيقة، منظرها الحالي جميل جداً، ولا تحتاج إلا لقليل من الترويض.

وددت ليز قلميته بدعولي:

- ترويض!

وضع قليلاً من السكر في فتجانها وقدمه إليها موضحاً:

- أعني ترويض الطهيانات والأشواك، فالأشجار بحاجة إلى قرصة لتنمو لأن الاعشاب والاشجار تكاد تختفي.

- انها تشبه الادغال.

- كما الحياة تماماً.

تشبّه للحياة في عمله، وهذا سبب عجيدها إلى هنا. فقلت برضى: - انا لا أحتاج لزراع ورووي سوى إلى غزع ورق الجدران القديم وإحلال الجديد مكانه.

انقسم، قديماً أكثر فتوة وأقل تعقيداً وكان حديث النضاه قد نجح في تذابة جبل الجليد وهدم جدار التكلف بيتها أجاب بشي: من التحبب:

- وأنا سأجلب تلك الادغال في الخارج لامتصها من مضايقة زهورك، وأودف، ها نحن قد شكلنا فريق عمل متجانس، فلما رأيتك؟

تجاوزت ليز في أمرها وشعرت بأن القدر يتلاعب بها كورقة خروقية تنقلها ربح تشرين، ويتحكم بها المصداق. هذا الصباح كانت شريكة بازي وهذا هي الآن تعمل برغبة وجل مختلف قليلاً عنه. ستختلف الحادثة هذه المرة وستكون هناك نتيجة لتفكيرها، تروعت بوضع كلمات كانت كافية لتظهر مدى احتياطها بواقفها الجديد:

- هذا يسعدني كثيراً!

انجاع عملها ولو كلفها ذلك حياتها. سيكون من اجل الانجازات
ومستضي الليل والنيار لانه.

اجابه بقة وحاس:

- بكل تأكيد.

لم يكتب بجوابا بل نظر اليها بعينين ثابتتين يحاول التفاوض بها الى اعماقها
وقال بتهكم:

- لا يبدو أنك تتمتعين بما يكفي من قوة وعزم.

- بل على العكس. لا تدع المظاهر تخدعك. اعلم بحماية الازهار
وساحول هذا المنزل المهجور الى مسكن رائع.

انفت نظرة سريعة الى المطبخ تصوره بعد أن نهي عملها فيه، ثم
وقفت قرب الباب تحققي في أرجاء المنزل. شعرت أنه برافقها وأحست
بنظراته تكتنفها. انه جزء من الحلم الذي نعيشه وهو المسؤول عن القسم
الخارجي منه وعليها ان تتخذ على وجوده معها في المنزل. سألها طوم باهتمام
واضح:

- كم مضى عليك في هذه المهمة؟

- اجابت ليز ببساطة:

- حوالي العشرين عاماً.

- ماذا؟

- كنت أمارسها في بيوت خشبية صغيرة وأنا طفلة.

وعادت بها الذاكرة الى أيام طفولتها حينما انطلقت وهي في الرابعة من
عمرها الى منزل عمها لويزا بعد وفاة والديها. ويبدأ منزلها الخشبي
الصغير. لم تعطها عمها بالحب والاعطف. وعاملتها بمعاملة قاسية بالرغم
من تقديمها بالسن. كانت من عائلة ماثوري المحافظة فلم تستمع فكرة
وضوح ليز في مين. ولا قبلت أن تعهد الى إحدى العائلات بتربيتها.
فعاثت ليز في كنف عمها، في جو من الوحدة، سلوكها الوحيدة منزلها
الخشبي الصغير. انه السر الذي وافق قواها، فطلعت ببناء بيت مثله
والعرش فيه مع عائلتها بسعادة وهناء.

مرت أعوام عممت ليز خلالها الى تزيين منزلها الصغير وظلاء خشبه من
جديد. فحولت غرفة القديعة الى أخرى زاهية وجذابة. كثرت وكبر معها

٢- وقفة عند الغروب

دقائق ثقيلة صامتة خيمت على الغرفة، بيتا راحت ليز تقطع شريحة
اللحم في طبقها بهدوء وثأن. فجأة صلا صوته ويدينغ قاطعاً جم النصت
هذا.

- بأية غرفة ستبدأين عملك؟

- بغرفة النوم الرئيسية، فالتعاملات تنص على انها وقاعة الاستقبال
أولاً. سأقوم غداً بنزع الطلاء القديم وأوراني الجدران البالية في غرفة
النوم.

- لا شك في أنها مهمة شاقة.

- أوهام ليز برأسها مبتسمة. وعاد يسألها:

- هل تقومين بها بمفردك؟

- أجل.

- لماذا لا تكفيني بأعداد هندسة الديكور ثم تكفيني عاملاً ببله المهمة
الصعبة؟

- لأنني أستمع بالاهتمام بها. خاصة، وإن هذا المنزل هو أضخم مهمة
أنالها.

تسمرت في كلامها، ففسر احتها لم تكن في عملها وهي تقرأ ذلك بوضوح
في عيني.

فقال بلهجة يذلل عليها الشك:

- أنظرين أنه بإمكانك القيام بذلك؟

- أحست بشيء من التعدي في كلامه. فلم نشأ التراجع. لها قائدة على

الحلم في امتلاك منزل كبير تهندسه بيدها وتختار بنفسها الأثاث. لكن
عندما، التي دأبت على التردد إلى مبني قريب، قامت بإهداء الشوك الحيتي
إلى أحد الأبطال فقدت ليز أهم الأشياء إلى قلبها. بالرغم من اقتناعها
أنها غطت مرحلة التلوي بالمرور كهذه، فقد اكتفدت وشعرت بأن السر الذي
لها معها قد ضاع إلى الأبد. فقدت منزلها الصغير والمائلة للعبث التي طافا
حلمت بوجودها... صحت من شرورها على صوت غوم بمسافراً:
- وماذا فعلت بعد ذلك؟

طوم ريلينغ من النوع الذي يتنظر جواباً على كل سؤال يطرحه.
- بعد تركي المدرسة عملت في متجر لبيع ورق الجدران. كمسؤولة عن
صالة العرض حيث علقت أنواع الورق إلى جانب قطع من الأثاث. كنت
أشرح للزبائن عن أصناف الورق وأساعدهم في اختيار ما يناسبهم وما
يتناسب مع ألوان غرفهم. وانسجمت متابعه، ما زلت أفعل ذلك إلى اليوم،
أختار زبائني من بين الواقفين إلى القفزة لأنكفيل بتصميم ديكور منازلهم
وأضعهم في قاعات استقبال أو غرف نوم جديدة.
رفع طوم حاجبيه تعجباً من غير أن يزعج ذلك ليز، بل بدت متمتعة
بحديثها وأكملت بزهو:

- أنا مهنة شاقة لا ينبغي فيها إلا المحترفون. الزبائن يصفون إلى بكل
خواصهم، وهنا يكمن سر النجاح.
بدا غاروقاً في كرسي قديم، مرتاحاً لكونه في الطبخ، بنصت إليها
وعلاصات الذممة لا تفارق عياده. سألها بمنسأ:
- وأنا، أين متصعبتني؟

تلفت إليه محاول معرفة شوقه في العيش من خلال ملاجه وطريقة
جلوسه:

- يكفيك كوخ صغير في جبال الروكي. انك تبدو كالصياد.
- أعطت، كنت صياداً. لم تنهي حديثك عن علكك في ذلك الصخر.
أكملت كلامها وأعدت نفسها بأن تقترح بدورها بعض الأمثلة عندما
تنتهي:

- أه أجل. كان مثلك الصخر، السيد كول يقدم إلى زبائنه خدمات مجانية
مقابل شرائهم بضاعته. وبربارة زوجته اقترحت أن أراقب الزبائن إلى

منزلهم للاطلاع على الأماكن التي تحتاج إعادة ترتيب، وأخذت نساء حبيفاً
وانسجمت. صرحت أنصب إلى التناول وأساعد العمال أحياناً في نوع الطلاء
والورق القديم عن الجدران. عندها بدأت اكتسب خبرة في مهنتي.
- ثم بدأت تبحثين عن الشهرة.

- أمل أن يكون ثيرجلين بداية الطريق إليها. كنت محظوظة جداً في
حصولي على هذه المهمة.
- حقاً؟

وضعت قطعة لحم في فمها. مضغتها جيداً ثم أجابت:
- بكل تأكيد، فالحظ حيلني في مهذان العمل.

... وبذلك حطها العاتق في الحب، وكيف عدل دوغلاس عن
الزواج منها بعدما عاب قلبه في تركه عنها واكتشافت أنها لا تساوي سوى
ذلك التزل القديم الذي رفضت عنها قبل وقتها ادخال أي تعديل عليه.
فبقي الحب ذو اللون القاتم على حاله، وطلاء الجدران حافظ على ألوانه
الماءة. كانت قسمة معدومة قبل أن تسامح ليز بعيد الجائزة إلى إعادة ترتيبه
وادخال بعض التعديلات الأساسية عليه. ربما أزعج عملها هذا عنها في
لحدها، لكنه در عليها ضيعتي قيمته يوم ثان في حالته المزوية. حدثت بعد
ذلك دوغلاس من حياتها، وكررت العمل بمفردها. فانتقلت إلى شقة
جديدة بعد ما ساعدها السيد كول وزوجته على استئجار مكتب تستقبل فيه
زبائنها.

أنسها الأيام دوغلاس وطوى الزمن ذكرياتها معه إلى الأبد. حتى جاء
اليوم الذي انثلت فيه باري، ونشأت بين الاثنين علاقة حميمة توجهتا
باستمرار معظم نفس منزلها في مؤسسته. وثقت به لكنها اضطرت في النهاية
إلى اغرائه هو الآخر من حياتها. لدغت من الجهر مرتين، لكن هذه المرة
تعلمت الدرس وفي تسمح لنفسها بالوقوف في الخطأ بعد الآن... قطع
طوم أفكارها سائلاً بحسرية:
- محظوظة في العمل فقط؟

لم يكن في بيتها التحول في التجاصيل والملاحة على دقائق الأمور. لكن
من البلاهة أن تتظاهر بعد إغرائها القصد من سؤاله، فازدادت الابتسام
وتغير الموضوع:

- لسنا كلنا بولا كافيل كي نحظى بالشهرة والزواج من مليونير.

- هل متزوج مليونيراً؟

احتارت كيف ترد على سؤاله ، فماري ادموندز لم تؤكد غداً اكبر مكنتية بالتعبير:

- لا أدري . لكن مع وجود جاكس فتون في الجوار فكل شيء وارد ، وهو المشهور ببراعته في اقتناص قلوب الفتيات .

علق طوم بقنود:

- الأمر يتوقف على بولا ، فهي قادرة أيضاً على سبب عقول الرجال .

- لا أعال السيد فتون يقل بأن يشاركه أحد قلب بولا .

أثار تخيلات فكري ما زالت نارها متأججة في قلبها وفتت لوكات يفردها الآن ، لاستسلمت لدموعها . لكن طوم معها وإن تكشف كل أرواقها امامه وتظهر بظهور انقلاب على أمره . سأله:

- هل تعرفت إليه؟

- فتون؟ أجل . لكنه لم يقل الكثير . فقد تلقيت الأوامر من الأنسة كافيل .

- لدينا مصفر أوامر مشترك .

بلغت شهرة بولا كافيل كل حذب وجوب ، وشعبية برانجها التلفزيونية في ارتفاع مضطرد . أما ليز فلم ترفضها ما عجزها عن غيرها . لم تعتمد بولا في اختيارها الموظفين طريقة ثانية ، بل كانت تنتخبهم بطريقة تغلب عليها الاعتباطية . وعندما سألت ليز ماري ادموندز عن كيفية تقديرها وظيفتها لدى بولا ، اعترفت السكرتيرة بأن العمل مع السيدة كافيل ليس مريحاً كما يظنه الكثيرون . تساءلت ليز عن كيفية تأليه أوامر بولا وطريقتها في الكلام معه ، فصحيا كان أجره مغرياً فلا يبدو عليه أنه يجب الخروج والوضوح لأوامر الآخرين . قالت مستهمة ، لمن النفر في سمته السمره وعضلاته الفتية:

- كيف حصلت على هذه الوظيفة؟

- كنت أعمل في الجوار وعرفت أن العمود الذي كان يعتني به الخدائن ترك العمل وسافر قبل بيع المنزل . كان في السبعين من عمره وعندما سبب الأهمال الذي نتجته الخدائن (وأكمل بعد نبذة طويلة) عندما تم

بيع المنزل انتقلت الى هنا بعد أن غابت شخصاً يدعى جيليان .

لم تسمح ليز بهذا الاسم من قبل .

- من هو هذا الرجل وماذا يفعل؟

- إنه المسؤول عن العمال هنا ، فترجلين منزل كبير والعمل فيه يتطلب

وجود عمال عبيدين . إنه يزورنا باستمرار ويستلحق به قريباً .

لم تهتم بمعرفة المزيد عن السيد جيليان فليس هو من وظيفتها هنا . عادت تسأله عن عمله:

- هل هذه المهنة الوحيدة التي تجيد؟

- أجل ، فقد ورثتها عن أبي . لكنني عملت في مجالات أخرى وفتلت .

شعرت مرة أخرى بطعم شديد لمرقة أحبابه ومناخيه من غير أن تدري

لذلك سبباً . تريد أن تعرف أين عمل من قبل ومع من يعيش؟ لكنها لم تسكن من أرواء طمئنت فقد سبها الى الكلام:

- هل لديك عائلة؟

- كلا ، وأنت؟

- وأنا أيضاً لا عائلة لي .

أجبتا بعائنان الحرمان نفسه . لكن عدم وجود العائلة لا يعني العيش وحيداً . لا بد وأن لديه اصدقاء كثيرين يقض يرفقتهم أوقات الراحة وأيام العطلة ، فالرغم من عدم اعتناكه كفاية بنفسه ، فهذا لم يؤثر كثيراً على

جاذبيته .

- هل ستبقى هنا؟

- لفترة .

أبقت ليز الله من اللذين لا يسقرون في مكان ، فطلعت:

- لو كنت مكانك لبقيت هنا .

اتسم طوم ورد مشككاً:

- حقاً؟ أين تسكنين؟ أود أن اعلم بأي نوع من المنازل خصصت نفسك .

عليها أن تثر حقيقة ما تملك:

- لا أملك منزلاً في الوقت الحاضر بل شقة صغيرة .

لكنها يوماً ما منتقل الى منزل . لن يكون طبعاً يحجم تيرجلين ، أنا

سيستع لها ولعائلتها وشملوه حباً وحسناً ونظاماً.

استيقظت ليز باكراً بعد ليلة هادئة نمت خلالها بساعات نوم طويلة ما برحت تفكر في يوم أمس ، فبدلاً من ان تكون مع باري الآن على أحد شواطئ اسبانيا يستأجر بنفسه الشمس ، ها هي الآن في منزل ريفي لا علاقة له بتأجيلها.

اقتربت من النافذة وازاحت الستارة تستغل حيوط الشمس ويوهج النهار. لم تشعر بالأسف مما ضاع فالتهم أنها في النهاية ربحت نفسها. عادت لتجلس على حافة السرير ، راسدت وأمنها على ركبتها تحديق في أقسام الغرفة غامضة الجدران:

- يايت موعديك مع الجمال قريباً ، فتحل بالصبر.

عالت ضحكيتها فجأة ، لأنها في الحقيقة لم تكن تخاطب الجدران الصماء بل نفسها.

استجمعت وارتدت سروراً واسعاً وقصيفاً فضيفاً ، ثم ربطت شعرها الى الوراء وخرجت متجهة الى الاسفل . رائحة الطعام قلائط الطبخ فوّقت قرب الباب ثوب طوم في ثياب البارحة يوشق قهقهة بهيود.

- صباح الخير.

- أهلاً يا ليز ، ادخل.

- أترعبك مشاركتي لك في تناول القنطور؟

- أبدأ ، فالأكل في انتظارك ، يبيض مع البندورة وبعض الجبن والعسل.

- شكراً.

قدم لها كرسياً وسألها باهتمام:

- ماذا تفضلين للعشاء؟

يبدو أنها يستأولان الطعام معاً باستمرار ، ولم لا ما دامت الأمور تسير على ما يرام . فتالت وهي قلائط طبقها:

- لا فرق عني بين نوع وآخر من الطعام.

سكب لها فتجاناً من القهوة فرشفت منه معلقة بزهو:

- يا لها من قهوة رائعة.

أستد طوم رأسه الى حافة الكرسي ينظر إليها بعينين باسيتين لامتعتين.

فارتبكت وتلصقت على مديها الشمس . سألتها واليسمة لا تفارق شغره:

- أين كنت مشغوبين المظلة؟

- في اسبانيا.

- ولماذا عقلت عن الذهاب؟

- تشاجرت مع رفيق رحلي.

لم تشعر بأي اكتئاب وكان التو المأججة فيها قد ملحت وهذا صبرها ، فالتزم لن يعود الى الوراء ومن الأفضل ان تنسى الماضي وما فيه.

- ما وأبك يزجاجة من عصير العنب الاسباني تعوضين بها ما فالت؟ عقت في بائء الامر بسخر منها فكنتها ما لبثت ان شاركت الضحكت معلقة:

- ابن مستجد العصير الاسباني في هذا المكان الموحش؟

- لدينا هاتف.

- لا اعطك نذرج الاصل بكرب عل ونقلب رسال الزجاجة.

- حسناً ، ساركب دراجتي.

- ان كنت مستبعل الدراجة فلتا أفضل لو تناول عصير البرتقال.

- يوجد الفليل منه في التلاجة.

- أيسمت ليز متعتة:

- عظيم ، سأستمع بشرها وكأني في الجازة.

- ولن ينقصك سري التمتع بأشعة الشمس ، إلا اذا شاركتني تقطيع الاعشاب في الخارج.

- لا شكراً ، لدي ما يكفي من العمل.

وقف طوم معتد عن تركها وحدها لاخطاراه الى البدء بالعمل ، ارتدى قممته وخرج مقفلاً الباب خلفه . أكملت ليز طعامها تفكر بما دار من حديث بينها وبينه . باتت أكثر اقتناعاً بصواب الخطوة التي قامت بها . قررت ليز بعد طول تفكير ان تستعمل غرفة الطعام الواسعة مكاناً توضع حاضيتها المبهمة . فالطاولة الكبيرة الموجودة هنا تكفي لاستيعاب أوراقها وآلات عملها . قريباً ستبدأها بقاولة أصغر حجماً بوضعية الشكل مع كراسي جلدية جديدة ، مما سيضفي جواً من الرومانسية . أترحت ستارة البافلة فيللاً للنور أرجاء الغرفة ، ووضعت حثية العمل على الطاولة وركزت قربها معداتها لتكون جاهزة عندما تدعو الحاجة . صعدت بعد

ذلك الى غرفة النوم الرئيسية حيث هبت الوان الجدران وتزقي الورق المفضل عليها، بالرغم من جودة العمل وإتقانها لم يصد أمام الاحتمال طيلة سنوات عديدة. أثقت نظرة على الحديقة حيث يعمل طوم بكده ونشاط فائق في جزر رؤوس الاعشاب المتطاولة، كاشفاً عن صدره الذي يمتلكه المريضين. قريباً ستحول هذه الأرض المتوحشة الى نعيم حقيقي يحوي أجمل أنواع الورد والنباتات.

اتكأت الى الجدار ضمن النظر فيه. لا يبدو عليه انه من أعمال المنجم، أو انه مسجون سابق. لكن ليس لذلك أهمية الآن طالما لم يغير منه ما يدعها الى اساءة النظر به. هاجسها الوحيد في الوقت الحاضر ان تقوم بالعمل وليس مهمتها في التمتع بالحدس. راحت تنزع الورق عن الجدران بسهولة وحاس. ستحاول الانتهاء من تنظيف الغرفة قبل حلول الظلام، وإذا بقي متسع من الوقت ستبدأ عملية التزيين الميلة.

انصرفت ان تعني انهاء عملها، فالتفتا يساعدها على التركيز ويدها بالانشغال لكن هذه المرة خفضت صوتها قنبر المستطاع كي لا يتهادى الى مسمعي طوم. وبين الحين والآخر كانت تسترق النظر اليه الى ان رآها مرة ولوح لها بيده، فعددت المفاتيح لسانها وكبكت يدها وبقيت مسعرة في مكانها من غير حراك لأنه اكتشف انها تراقبه ولم تستعد طبيعتها الا بعد فترة. وجودها يفردها انشاء العمل يربطها لأنها تفضل العمل على طريقها الخاصة. لكن احباً تواجها مشاكل لا يمكن لغير الرجال ان يحلوا لذلك متحلق الحضور على موافقة بولا للاستعانة بعاملين أو ثلاثة لمساعدتها. حالها الحظ في تيرجلين، فاصابت عصفورين بحجر واحد. حصلت على العمل، وحظيت بمن يؤنس وحدتها. ستقوم بنزهة في الحديقة هذا المساء لتطلع على ما آخرته من تقدم، فقد مضى على عمله هذا السابح عديدة ولا بد انه شارف على الانتهاء.

سمعت زنين الحائط، فهزولت الى الطابق السفلي نحو غرفة الاستقبال لكنها ما ان وصلت الى منتصف الطريق حتى تقلت عن جريه ووقفت مكانها من غير حراك. قد يكون التكليم ياري نفسه، فتعود سفره لم يمن بعد وربما ذهب الى شقتها ولم يجدها، فاعتبره احدهم انها غلوت البايوة بعد الظهور وتمكن بما لديه من اساليب من اكتشاف مكانها. لم يكف الحائط

عن الزنين فالأمر يبدو طارئاً، فتحت باب المدخل على الصوت بطرق مسمعي طوم، ثم صاحبت بأعلى صوتها:
- الحائط يرن.

هرع طوم بأقصى سرعته نحو المنزل مشغولاً مشغولاً مشغولاً عن الرد على الكلبة:

- هل في عقد العمل ما يمنعك من رفع سداة الحائط.
علا الاحبار ويحبها محارة كيف تشرح له، فثالثت متلعشة:
- قد تكون المخايبة لي، اذا كان التكليم رجلاً يدعى ياري هايمسون...
فلا أريد ان يعلم بوجوهي هنا.
دخل طوم غرفة الاستقبال ولم تعد ليز تسمع الزنين. مرت دقائق طويلة عاد بعدها طوم يطمئنا:

- كانت المخايبة لي، لاعلامي أنك في طريقك الى هنا.
بعث كلامه في نفسه ارتياحاً انعكس ابتسامة على ثغرها. فقد أدت لتوها ضوضاء لا لزوم لها أبداً، وقفت قبالتها. يتظر نفسياً مقنناً لما حدث.

- هل هايمسون هو الذي كان ميراثك في رحلتك الى اسبانيا؟
- أجل.

- الا يعلم بوجودك هنا؟
- كلا، طالما لم يتحدث بعد الى مكرتيرة السيئة كافي. كنت أفضّل ان يتصل بي هنا لأشرح له الأمر، وسكنت برهة لم أردت، لكني بهت أحياناً دعاه الى اسبانيا من غير ان اسمع كلمة منه.

- يبدو انه مجنون.
ابتسمت بارتياح وقالت:
- يسيّر سماع رايك به.
رفع طوم رأسه ناحية الطابق العلوي سائلاً:
- كيف تجري الأمور فوق؟
- على أحسن ما يرام.

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة، شعرت ليز بحاجة الى امراحة قصيرة فثالثت مقترحة:

- ما رأيك بفتحان من الشهوة؟

- فكرة خسة.

حملت غلابة الماء الساخن وفتحاني وضعت قهبا قليلاً من القه
ولحقت بغيري إلى الخارج. كان يقف قرب الحائط القاصي بين الحادي
والثاني. حيث يذبح صباح جهنمي مزخرف بزهر الحديقة. وحتى إلى جانب
بطلان على مشهد لم تر مثله في حياتها. واد سحيق يتخضم في مقعره برأ
صغيراً يشعاب كلاله بين السكاكين الخضراء ويصفوف متباعدة من الملال
الحسية الحقيقة. ساكون طامع يغشي الشكك ولا يحرقه سوى طين حشرات
خافت. وزقزقة عصافير لئلا الشجيرات وراء الشرائ. فتمت ليز مفتوحة:
- يا لروعة هذا المشهد. لن يبد سكاكين تلك البشة مكاناً أكثر هدوءاً
وسلاماً.

لم ينسا بيت شقة، يرشغان الشهوة بدونه ودهشة، مستسلمين إلى
احضان السكون. حملت ليز بدعة نحوه تناول غلابة القلوغ وبافرتة
مشية:

- هل تناول الغذاء عادة.

- قليل من الخبز وأبيض أحمله معي إلى حيث أعمل. فوجيتي الأساسية
أتناولها في الساعة.

لدينا متسع من الوقت لننهي عملها ونعتمد إلى تحضير العشاء قبل
السابعة، فأجابت:

- حسناً سألتك في الساعة.

عملت بعزم حتى انتهت من نزع الورق من جدران غرفة النوم
فأصبحت جاهزة لتلقي الطلاب الجدد. ولم يبق عليها سوى مد بعض
الفجوات قبل ذلك. جلست للفرداء قرب الحائط واضعة خشة. عليها
بعض أنظون. على ركبتيها وراحت فزع الكتلة اللزجة بيديها غير آبهة
بمتركه من آثار. فجاءه حجب خيال فحسم الضوء عنها. ارتدت ليز إلى
الوراء واستدارت لتفاجأ بظلم يقف أمامها. لا بد أن الغمامة في عملها
منعها من سماع خطواته. نظرت إلى عقارب ساعتها فكانت تشير إلى
السابعة. مضى الوقت بسرعة من غير أن تشعر، فصرخت كفا بكف
بانقعال:

- يا الهي، كنت سأحضر العشاء.

- إنه حاضر، وأنت؟

- اعتقد ذلك.

همت بالنهوض فلم تقبلح، فمد يده يساعدها.

- شكراً، أظن أنني أطلت الجلوس على ركبتي.

لوعت قبعتها عن رأسها وتركزت شعرها يتهدل بحرية على كتفيها، ثم
فكت الحبل الذي يربط قطعة الخشب بخصرها. خرج طوم من القرفة
قائلاً يليهجة شبه ودودة:

- لديك عشر دقائق لتسعدني، ساكون بانتظارك في المطبخ.

تحسست يدها بعد انصرافه وكأنها تتلمس بصمائه عليها. كان ناعماً،
لطيفاً فأجبت أنه يجعلها بين فراجه ويظهر بها قبل أن يضعها لرأسه.

ربت أغراضها وهرعت إلى الحمام لتغسل بحرية ثم نالها في نفسها من
قبل. لمس يده متعش في أوصالها وتغيير مقاييسه في داخلها.

تناولا طعامها من غير أن يتكلم كثيراً، وكأنها خشي انتهاك حرمة ذلك
السكون المنيطر. عدا عن كون ليز تتمتع بطبيعة هائلة إلى حد التحفظ.
تقترت إليه عند انتهائها من الأكل فرأته ينسجم لها، فلزيتك وحولت
ناظرها ناحية الوادي تتظاهر باللامبالاة:

- لا أصدق أن هناك مكاناً أجمل من هذا في العالم كله.

بقي طوم يحدق فيها من غير أن يجرأ ساكناً، يشعر بسهام عينه تنفذ إلى
أعماقها. كانت سعيدة في قرارة نفسها لوجود شخص معها يشاركها
الاستمتاع بهذه المناظر، فأردت قائلة:

- لست واثقة من قولي لأنني لم أسافر قبلاً. هل تخطيت الحدود من قبل؟

- عملت في كتدا لفترة.

لحزمت ليز عتدتها أنها كانت على خطأ عندما اختارت لمسكه كونه صغيراً في
جبال الروكي، فقد سافر وعرف بلاداً أخرى وعادات وتقاليد مختلفة. لم يد طوم
استعداداً لأعطاه المزيد من المعلومات، فتأملت كلامها:

- اني أعشق السفر وأتوق إلى القيام برحلة أجوب فيها العالم بأسره.

- عند حصولك على المال والشهرة؟

- أعمامي كثير من العمل القضي لأحصل على هذا كله.

تناولت دفاعة صغيرة ونهضت عن كرسبها قائلة:

- سأقوم بزرعه، هل تراقبني؟

تفضل الشراء وحدها، لكن النظام سيخيم عما قريب إضافة الى انها تجهل الطفرات والمعايير المحيطة بالنزول. اعتبرت دعوتها له كمرأ طيبياً فهي لا تريد ان تبس على وجهها في هذا المكان القفر. أما في داخلها فالأمر لم يكن طيبياً أبداً، فمن بحاجة ماسة الى وجوده بجانبها وبصوت هائل في أعينها يدعها للقيام بهذه الزعة والفاء نظرة على الحدائق، لم يضح طوم ثانية واحدة وهب واقفاً وهتف بحماس:

- سأريك الحدائق وأعرك على المكان.

سارت تيز بجانبه بحذر خافة الاثرالات أثناء نزولها الدرجات الثقيلة أمام المدخل. سلكا الممر الضيق في وسط الحديقة تحيط بها الاعشاب اليابسة وتظل عليها في بعض الأماكن ورود حاصرها الشوك حتى كاد ينفجها.

- كم مضى على وجودك هنا يا طوم؟

- عدة أيام.

- فقط؟ فلتها عدة أسابيع.

- هل هناك ما يدل على ذلك؟

- لم أقصد هنا بالذات. اليس هذه حديقة الزهور؟

أوما يراهم انجاباً ورد موضعاً:

- تلك الوظيفة منذ ستة أسابيع، لكنني لم أفكر من الالتحاق فوراً

بعملي.

- هل تتلقى هذه الازهار الجميلة مصير الشوك؟

ايضم طوم ابتسامة باردة وأجاب بجدية:

- ألا ترغبين برؤية حديقة ساحرة، حيث كل شيء في مكانه؟ اليس هذه طريقتك في وضع تصاميم الديكور؟

- بالطبع. لكن لم يسبق لي أن عملت في غرف مهينة الى هذا الحد.

القصير الأمر في معظم الأحيان على نزع الأوراق وطلي الجدران بالوان تضامب وأذواق اصحاب المنازل.

عاد يسألها بحسرة واضحة:

- ما اللون المفضل لديك؟

- أحب كل الألوان.

جاءت الحديقة على مهل، وشرح لها طوم برنامج عمله وهي تصغي اليه بشغف، ماعوده كلامه عن الورد والاشجار. في نهاية الطواف وصلا الى الجبهة الخلفية للمتل حيث قطعة من الارض صغيرة تزرع فيها الخس والفراخ، والتي سيمنح طوم الى امتدادها مجدداً لهذا الغرض. اشجار باسفة توزعت على جانبيها تفصلها عن البساتين المجاورة.

- سأساعدك في زرع هذه الأرض، فأنا ملية بأنواع البذار.

- حسناً، ستبدأين العمل فور انتهائي من الحراثة.

بدأ الليل برعي حائله عندما وصلا الى البوابة الرئيسية، فتوقفت ليز أمام فسحة رملية كبيرة مستهينة:

- ألا تذكر يولا في انشاء حوض للسباحة هنا؟

كانت جادة بعض الشيء في سؤالها، قبالرغم من فساد الشتاء هنا لا يد وأن الفكرة قد خطرت للأني كافيئ لتتمكن من تحمل حرارة فصل الصيف.

- لم فعلت لطلبت مني البدء بالحفر. لكنها على ما اعتقد نود الاحتفاظ بهذه الفسحة خطوط الطوافات.

علت مسحة من الذخشة والقلق وجه ليز:

- هل تتصور نتيجة التحليل بطوافة فوق المكان؟ ماذا سيحل بدراجتك ويسارني؟

قصدت من كلامها ان تضحكه وأفلحت، فالتفجرت اساريرها للكرة الأولى لهذا القتر جاذبية وفرة وأفرحت أن الأمور تجري على ما يرام بينها، عما يعني أنها ستستمتع بوجودها ها ولن تتحول اقامتها الى جحيم آخر تطلقا ناره. أفضيا الصغيرة في المطبخ جالسين الى الطاولة يتحدثان. وضع طوم أمامه محركاً صغيراً للحراثة، ووسط قطعة على الطاولة يزيل ما علق بها من اعشاب وتراب مستمعا اليها نصف له القزل غرفة غرفة. أخبرته كل ما يريد معرفته عن عملها في الأيام المقبلة وأكأها نكلمه عن نفسها. شرحت له كيف ستكسر الجدران في غرفة الامتياز وكيف ستشع الملازم وتسيب رديها بعد ان تظلمها بالوان جديدة برفقة. ثم أصهت في الكلام عن قطع

الاثاث الفاخرة المستوردة من أفضل المصانع الأجنبية والتي ستغطي على المنزل جواً من الفخامة والراحة.

- ماذا سيكون شعورك عندما تنتهي من العمل هنا؟

أجابه ببساطة وصدق:

- لا أدري. أعطف أني سأكون الرحيل كمادني، وأنا ألتحق بالامكان التي اعمل بها. المنزل الأخير الذي عملت فيه كان منزل عمي لويزا وفيما لا مجال للمقارنة بين الاثنين.

وأجبت بعينيته سالانها عن عمته، طفلان المزيد من الاخيار عن ماضيها، فاردقت بهدوء:

- عمي لويزا، ريشي بعد وفاة والدي في حادث سيارة.

- هل كنت سعيدة معها؟

سبحت ليزا صدمة ساخنة ترفرفت على غدها. لم تكن تريد التحدث عن نفسها وعن ماضي بعيد ما زال يؤلمها ويغطي طفولتها. لكنه ينتظر جواباً ولا بد من أن تكون صادقة معه، فاجابت والتفتية فتيقها:

- كلا.

1312

بدأ الكلام عن عمته يثير اهتمامها فأكثفت بالقول:

- لم تكن امرأة متفهمة، وغيرت الحديث سألها، أين ولدت؟ أخالك أمضيت طفولة سعيدة، أخبرني عن كتبها وماذا كنت تفعل هناك؟

وضع طوم قطعة الحديد على الطاولة من غير أن ينهي تنظيها وقال معتبراً:

- أمضيت لأي ناديت في طوح الاستلة عليك.

- لا يأس الآن.

احسبت بالخرج والارتباك في آن معاً، وشعرت انها تشبه عمته كثيراً. من السخافة ان تستسلم للانعزال بسبب طروحه بعض الاستلة. كان بإمكانها ان تخفي الحقيقة وتخبره انها أمضت طفولة رائعة من غير أن تأتي على ذكر عمته. نهضت من مقعدها تتفادى النظر اليه:

- انظر! ان وقت اليوم قد حان، ففعل كثير ينتظري غداً. أرجو قبول اعتذاري على ما أديته من قفازة لا لزوم لها.

اكتفى طوم بالانقسام ينظر اليها برقي يقارب الحنان، فأجبت فجأة برغبة جادة للجلوس من جديد والسماح له بطرح ما يشاء من الاستلة. أرادت أن تشكره على اهتمامه بها، لكنها لم تفعل بل بادلتها الابتسامة وصعدت الى غرفتها تستسلم مرة اخرى الى ذلك الشعور بالغبطة والراحة الذي راودها وهي ان جانبها هذا المساء. باتت تشعر بحق أنها قرب شخص قوي يوفر لها ما تفتقده من رعاية واهتمام.

٣- خائفة من الصراخ

لم يسبق قليل ان امضت اوفانا سعيدة كالتي لمضيها الآن في هذا المنزل الرائع. فبالرغم من عملها الشاق وكثبات الغبار الغائلة التي تربطها من جسمها كل ليلة، كانت تستمتع بكل دقيقة فيه. يحتملها الأمل بأن نجاحتها في إعادة تزيينه سيفتح لها باب الشهرة وينبئها بنجاحها وسهرها. أمهت في الأسبوع الأول غرفة النوم الرئيسية، فثبتت بالوانها الزرقاء والذهبية لمحة رائعة. عتاراً قريب سيفصل السرير الذهبي الذي أوصت عليه سولاً مع متاجر التوافد الزرقاء والخضراء. أما غرفة السيد فتتويج، فقد عملت ليز على أن تتناسب ألوانها والوان غرفة النوم. ألقت نظرة سريعة على الغرفة وعرجت تبحث عن طوم لتسأله رأيه في عملها. عثرت عليه في الحديقة ينشئ التراب والعرق يتصبب منه. كلما تقدمت بالجامعة فرمى الرغش من يده وجلس تقاربه نافضاً الغبار عن ذراعيه وثيابه. حينه ليز يتودع وقالت:

- هلاً صعدت ممي الى الطابق العلوي لبرمتها؟ ولدي مفاجأة لك. انه بحاجة الى استراحة قصيرة، فلم يمانع وسار وراءها يفكر بما لحقه له. كان قد امتنع عن الصعود الى الغرف منذ أن بدأت عملها فيها. لذلك كان وقع المفاجأة عظيماً:

- جيلة للغاية!

- انها بالطبع غرفة نجمتنا الشهيرة وستكون الأضخم والأجمل. سأبشرك العمل قريباً في الغرف الصغيرة، وأنا أتهيب لتزيين الغرفة المجاورة ولم يبق سوى لصق الأزهار الزرقاء. أنظر انها صغيرة على وجهه

أجال طوم نافذته في أنحاء الغرفة وعلاماته الاستحسان باقية

على وجهه:

- اليس هذا مطلبها؟

- أجل.

- اذا لم تمل رضاه بالحسنى فستأله بالقوة.

- هذا صحيح. والقانون نفسه يسري على الحديقة.

تبادلا ابتسامة رفيعة. انها يؤلفان فريقاً رائعاً، ساعداً طوم في حمل السلام والألواح الى أسفل، فقد استبدل العمل في غرفة المؤونة. بدأت ليز تعتاد العمل في هذا المنزل الفارخ. تتنقل بين غرفة من غير ان تشعر بالوحدة. قد يكون وجود طوم معها هو السبب بالرغم من بقائه معظم الوقت في الحديقة، فطوم يريد بفتح من الذين يشعر الانسان معهم بالأمان، يدير شؤون المنزل بينما تنصرف هي الى اتمام عملها، فيطبخ وينظف ويغسل دراجته وسيارتها.

انتهت رفيقته كثيراً ونجحت لو تقوم صداقتها بعد اقام العمل. كانا يتبادلان أطراف الحديث كصديقين قديمين. يتطرفان الى المستقبل فيتكلم كل منهما عن الطريق التي سيسلكها تبعاً لنوع عمله. أربعة شهور تعانيتها ليز لأقام عملها. انها مدة طويلة لا تريد أن تفكر بما سيجيها وكأنها اكتشفت بعالمها الصغير هذا. وجدت السعادة الحقيقية في تيرجلين. السعادة التي طالما تلذذتها، الخالية من التصنع، البريئة. وجدت هنا في الغرف الصغيرة، في الحدائق والقفاء المنحني، في رائحة التراب وشهد الغروب. أحسبت بأنها حية هنا في غرفتها، وحديثها مع طوم وقت العشاء ونزهاتها معه أعادها اليها ثقها بنفسها.

في عطلةها الأولى، جلسا على إحدى درجات الشرفة يتناولان الفطور، يرشقان القهوة ويتسامران كالمتعاد. سأل طوم:

- هل ستطحن نهاية الأسبوع في منزلك؟

فطمت ليز ورغبت الحيز وتناولته فطعة عجيبة:

- لن أذهب الى أي مكان قبل الانتهاء من العمل.

- ماذا تعنين؟ الى متى ستبقين مسجونة هنا؟

- سأبقى هنا ما دام العمل يتطلب ذلك.

- هذا تفكير أخرق. الدلك ما يساعدك على البقاء مدة طويلة هنا؟

- إذا احتججت لأي شيء ، سأستقل سيارتي وأني به ، سأملك هذا إلى أن يصبح تيرجلون جاهزاً لاستقبال صاحبه .

ثوقعت ليز أن تقوم بولا بتفقد سير العمل أثناء نقل أثاث غرفة نومها إلى هنا فموعد الزفاف بات قريباً حسب قول السكرتيرة . أثار تعجبها من قرارها بالبقاء فصورها :

- لا أرى ضرراً من بقائي هنا ، فأنت أيضاً لا ترحل في نهاية الأسبوع .

- بلى أنا أفعل ذلك كل أسبوع .

- أذهب إلى منزلك ؟

- إلى أي مكان .

وضعت فليلا من الزينة على قطعة الخبز ثم أضافت بعض المربى قبل أن تستفهم :

- هل ستمضي نهاية الأسبوع خارج المنزل ؟

- كلا .

فرحت في قرارة نفسها . فقد يسبب لها رحيله شعوراً بالوحدة . وتساءلت أين كان يقضي يومي العطلة ومع من ؟ لم بات على ذكر أصدقائه أبداً ، وما زالت لمجهل أشياء كثيرة عنه . الأيام وحدها لن تكفي لتزيد معرفتها به ، وعليها أن تسعى لذلك بنفسها . حدثته عن آلن وبربارة كقول وعن الحفلة التي أقامها احتفاءً بالذكرى زواجهما الخامسة عشرة ، إلى أن سألته بشيء من التردد والحياء :

- هل أنت متزوج ؟

- كلا ، منلك تماماً .

حدثته بنظرة استغراب سريعة ، فباري اعتاد أن يشبهها بالمرأة المعجوز العانس .

- كيف عرفت ذلك ؟

- ليس لديك الوقت لذلك ، فقد جذبت كل طاقاتك للنجاح في مهنتك ، كم عمرك ؟ عشرون عاماً ؟

أحست للمرة الأولى بأنها تبدو صبية وفي العشرين من عمرها .

- اثنتان وعشرون سنة . وأنت لم يكن لديك الوقت الكافي ؟

لم يجبه وكأنه يحاول التهرب من الرد ، فاردفت :

- كم عمرك ؟

- أنا أكبرك بعشر سنوات ، ومتزوجين قبل بلوغك سني بكثير .

شعور بالامان يلحقها وهي إلى جانبها ، عيناها في عينيه ، يشادلان إسمائات ناعمة ونظرات عجيولة . غاططها طوم مازحاً :

- كنت أظنك ترفضين جلسات كهذه ، على الأرض وفي مكان كهذا .

- أعتقد أنني فتاة رجيعة ؟

- لم يراودني هذا الاعتقاد حتى الآن . أنت كذلك ؟

- انه رأي ياري بي .

- من ؟ أه ، الرجل المعتبر . هل أبدى رأيه أثناء المشاجرة التي أفضت

روحلتكما إلى امبانيا ؟

- أجل ، وكان رأيه بمثابة اعانة لي أنساها .

لاحظ لمحبتها فأنسى فتجان القهوة وقال يواسيها :

- الأفضل أن نسي ، فمالتا لم يعد يتقبل ذوي الاحساس الرفيع بل

يسحقهم ، لأنه أصبح ملكاً للاثنين وراء المائدة والسلطة .

- لا أجفري من الاهتمام بأراء الآخرين بي ، أليس كذلك ؟

- طبعاً ، فهذا يرهقك وأحياناً يعطيك . لا تياي إلا بنفسك .

أبسمت يحزن وهي تسح القهوة عن شفتيها :

- ما زال صدي كلمات عني لويزا يضح في أذني . اعتادت أن تنعني

بالخرقاء كلها المترف خطاً ما لو أيسأت التصرف .

- تمنحك ماذا ؟

وددت ليز العبارة بأسى :

- بالقناة الخرقاء .

- خللك قلت بالشرقاء .

أنازت عبارته فصحكتها وأردف :

- أنت أفضل الآن من أن تكوني شقراء ، فانا لا أطيق الشقراوات . لكن

لماذا كانت تمنحك بالخرقاء ؟

- لأبي . . . كان متطري يوحى بذلك . فأماني الطويلة والنعيلة لم

تناسب البيت مع سني .

ما تزال على نحافتها لكنها لم تعد تزججها كالسابق ، فقد اعتادت ارتداء

السروال. نظرت الى قدميها وأكملت:

- كانت تلك منزلاً صغيراً في حاية الترتيب، وعمول اعتلوا بها به الى هاجس رهيب جعل التجول بحرية في أرجائه ضرباً من المستحيل. كنت كلما سرت ترتطم ركبتي في أو مرقفتي بالأثاث والتفاصيل الصغيرة، فكان علي أن أحافظ على مرفقي مستقيمين أثناء العبور وإن أنهت الى موضع قدمي الكبيرتين في كل خطوة أخطوها.

ضحك طوم ملي قدمه وهتف بأعجاب واضح:

- يبدو أنك أفلحت في ذلك قمشتك الآن رائعة.

بدأ عليه الانشراح مستمعاً اليها من غير أن يترأ بها، فوجدت في مسامحته لها ما كانت تبحث عنه منذ أمد طويل. شعرت بأنها حظيت أخيراً بمن يشاركها سرها بعض أوقاتها. أوشكت أن تقهر عن استغلال باري لها لكنها كيف تبرز له لثليها عن كل ما قللك في سبيل رجل لا هم له سوى الجلاء والتسلط.

قالت بحدائق واضح:

- هل لديك أخت؟

- كلا. ٩١٣٤

- لحسنها على أخ رائع مثلك.

لو كان لها أخ مثله لما استسلمت لهذا الاضطراب النفسي. كل حياتها عا جعلها ترضخ لجباري وتنفذ كل أوامره قور صدورها.

- ليت لي أخت مثلك.

- أصحح ما تقولون؟

قطع صوت طوافه بحدائق فحة الى فة السبا، على ليز كلامها، فرفعا رأسيهما يراغقان اقتراباً منها يسكوت ودعش. أحسبت ليز وهي تراقب الطوافه توشك أن تعقد. أن شيئاً ما سيعكر صفو حبها الصغيرة غير مألوية بهوية القادم، أكان ياري أم السيد فتون أم بولا نفسها. لم يعد يهمها غير تيرجيلير، لكنها لا تفكر ولا يثق لها من القوانين ومن الآخرين من المجيء. ليست سوى موظفة تتقاضى أجرها لقاء قيامها بالعمل. شئت ببعض التأفف:

- أنا غيب.

- ملا أفسحتا علم مجال الميوط.

- ليت القرار في يدنا.

حطت الطوافه في وسط النفسعة القارية وترجل منها رجل ما إن رآه طوم حتى هب من مكانه، فسأله ليز بقصود:

- هل هذا جاكيس فتون؟ وأردفت من غير أن تحصل على جواب، على كل حال غرفة النوم أصبحت جاهزة لكن عليه اقتراش الأرض.

وقفت طوم يتكلم مع الزائر صاحب القامة الطويلة المكتنزة والبشرة الداكنة بينما دخلت ليز غرفة الاستقبال لتلمس حاجياتها عن الأرض كي لا يتعثر بها الضيف الزارع. آثار قدومه احتماها، فهو معروف في عالم المقاولات وصاحب أكبر شركة في هذا الضمار مع ما يتبعها من معامل هنا وفي الخارج. شهرته ملأت كبريات الصحف والمجلات، فقرأت فيها ليز ما تحتاجه للاطلاع على مشاريعه ولتكوين فكرة صغيرة عن آخر مبتكراته في عالم البناء. لكن حياته الخاصة ما زالت لغزاً بالنسبة اليها.

أما بيولا فقد شاهدتها في برامج التلفزيونية قبل أن تلتفها وجهاً لوجه. لكنها لم تعلم أنها تنقسم مع السيد فتون السكن إلا بعد أن عهد اليها بالعمل هنا. وما دام المليونير يخطط للمبش في تيرجيلير فعليها أن تتعرف اليه، فانتظرت مروره بغرفة الاستقبال بفارغ صبر. بأثرته بالترحاب فور ولوجه:

- صباح الخير يا سيد فتون. .. هذه الغرفة لم تنته بعد. هل تحب اللقاء نظرة على الترفين الجمائزين في الطابق العلوي؟

- لمست السيد فتون.

كادت أن تتعثر لوقع المشاجرة وسألت بتلعثم:

- من أنت إذن؟

- روبرت جيليان، مساعد السيد فتون.

أفركت ليز حقيقة الأمر، فالسيد فتون يرسل موظفيه للتفقد والعمل على الانشراح في تجيز تيرجيلير قبل قدومه وبيولا أو بالأحرى السيدة فتون. روبرت جيليان رجل أعمال بكل ما للكلمة من معنى. مظهر أنيق، محدث ليل بحسن اختيار عبقرائه. تسمرت عيناه في عيني ليز للحظات ثم قال:

- بدأت عملي قبل الوقت المحدد.

رمت ليز ما بيدها من أوراق ممزقة:

- لقد أثبتت الآلة الموثوقة بذلك.

- أعلم. هل كل شيء على ما يرام؟

- أجل، شكراً.

- إذا احتجت شيء ما (وبدا وكأنه نسي الاسم...) طوم سيؤمته

لك، فهو المسؤول هنا.

شكرته ليز مرة أخرى وغادر الرجلان الغرفة بعدما غنى هاروبرت يوماً

سعيداً.

بمكث روبرت وقتاً طويلاً في تيرجلين وبقيت الطوائف في انتظاره. أمضى

معظم وقته مع طوم في المكتبة يناقشان أمور المنزل. سمعت ليز رتين

الخافت مراراً عدة وكانت المكالمات كلها لروبرت. فقامها أسبوعاً آخر من

الراحة قبل عودته باري من عطلة ولين تقضى لخلاله رتين الخافت أو فرغ

الباب.

جلست في المطبخ تحضر غداءها عندما سمعت المحرك، نهضت إلى

المدخل الرئيسي ترقب المفاتيح تستعد للإفلاخ، بينما رافق طوم صهفه عبر

الحديقة إلى باب الطائفة ثم عاد أدراجه بسرعة حين بدأت تعلق عن

الأرض. لوحظ ليز بيدها من غير أن تنتظر من رجل متباه مثله أن يناديها

بالمثل، لكنها كانت مسرورة لمفادته التكاليف فذكرها وجوده هناك أن المنزل

ليس ملكها. تفدعت ثلاثة طوم لتخبره عن حديثها إلى السيد جيليان فقد

يقضحه الكلباس الأمر عليها. لكنه واجهها بوجه مقطب وحاجبين

معدودين. فاستغثت بلهفة:

- اتعاب ميتة؟

- كلا.

- طالت زيارته لنا.

- جاء مزوداً بتعليمات كثيرة.

واكبته إلى المنزل تحاول عازالته في عطائه السريعة الماضية وكأنه ناخر

على موعد مهم. حاولت التخفيف عنه مازحة:

- أرجو ألا يكون قد طلب منك حفر حوض للمسباحة.

أجاب طوم بإقتصاب:

- كلا لم يكن هذا مطلبهم.

وأمسك بذراعها وكأنه يمس بقول شيء لكنه لم يفعل بل وقف مطبقاً

برأسه لا يتنوه بكلمة. اعتادت ليز أن تستند إلى فرائده عند قيامها بالتنزهة

وتغطيتها بمئات وعرة. أما الآن فالأمر يختلف، فملازمة أصابعه لذراعها

تسبب بتعومة ثم غصها من قبل.

وجودها قريبه جداً نتيجة صدقة، والآن بدأت تعتمد مع السنه لها، وترتاح

إلى التحدث إليه وسامع ضحكاته الرنانة. اعتبرته أختاً لها لكن احتكاك

يده بذراعها الآن أثار شعوراً غريباً فيها، فتخدرت شفتيها وكأن لها

النقص بحلقها. لم تدعه بالاحظ انفعالها، فراحت تكلمه عن روبرت

وتتظاهر بعدم الاكتراث ليد.

- لا أظن أن الغريبة قد سمحت لزيارتنا السكن للصعيد ورؤية الغرف

الجاهزة، قلو فعل لأبدي رأيي أمامي.

- هذا ليس من اختصاصه. نلتينا مكانة أثناء وجودنا في المكتبة.

تغيرت سحنة ليز فجأة:

- سمعت الخائف يرن وأين الغريبة في ذلك؟

- كان المتكلم صديقك مايسون.

علمت منذ وصولها إلى تيرجلين أن باري سيبس لها متاعب جمة،

فستكت عن الكلام. ضحك طوم ضحكة عالية وأحست للمرة الأولى أنه

يزعجها، فغطت جبينها وأماحت بنظرها إلى البعيد، تلحن في نفسها باري

وسوء حقلها.

- أما زال في اسبانيا؟

- لا أعلم. اتصل منذ قليل وتحدثت إلى جيليان.

جعلت عيناها وصاحت:

- هل أخبره أنني هنا؟

- أجل. ألم تردي التكلّم معه؟

- لا. ليس في حضرة السيد جيليان. يا لحظي الماثر، كنت أظنه لن

يكشف مكانه حتى الأسبوع المقبل.

وصلا إلى الباب وقيل أن يدخلها مياها طوم:

- إن كنت متأكدة من وجوده في اسبانيا فهذه يعني أنك يمان إلى حين

عودته. هل تهربون من مواجهته؟

- أجل.

- لماذا؟

- استدارت لمواجهة بعينين أذهبتها الأسى :

- أريد وضع حد ...

- وضع حد لماذا؟ للعلاقة، لزوج؟

- للعلاقة غير متوافقة.

- وهو يرفض، أليس كذلك؟

- جاهدت حتى لففت بضع كلمات:

- انه لا ينبغي واعتقد ان تصرفي معه اثار غضبه فطلب الانظام.

- أثبتين انه قادر على الحلق الأذى بك؟

- سأؤله جعلها نفس باهتمامه بها، فبهذه الملعنان يريق غريب تقد الى اعماقها. انه مستعد لنجدتها، فتمتد كوا تصارحه بخوتها فقد يتخيم السبب لكنها عاجلة:

- لا، أبداً.

- ماذا إذن؟

- أجابت بشرة تعيسة:

- سحدثت مشاجرة وأنا أكره المشاجرات ولا احتل الصراخ.

- سألها طوم يدهول:

- الخشون مواجهته خوفاً من صياحه؟

- أعلم اني أبداً جبانة وغبية، لكنني قادرة على اعطاء تفسير. انا لا أفعل المشاجرة مع أحد وأكره العواصف الزعدية، انما مشككتي الثانية، حملتها معي منذ الصغر. أفضل ان أجري مئات الأميال لأتجنب أي نوع من المشاجرات. انه العائق الأهم أمام عودتي الى المنزل، لأنني لن أحصل بعد الآن صراحتي في وجهي. اذا عاود الاتصال سأتكلم معه.

- تصرف طبيعي من شخص مثلك.

- لا أمثالك فهمت ما أعني.

- كلا.

إذن، انه يعتبرها جبانة. لم تشأ يوماً ان تسيء الى أحد حتى ولو أساء

اليها، كما فعل باري ودوغلاس. فهي تحب الأصدقاء وتقبل المستحيل لتحسن علاقاتها بهم. لكن جيباً يضع عليها الفرصة تلو الأخرى ويدوان طوم سيتخلل عنها للسبب نفسه.

- سالك بصوت خافت:

- هل هناك ما لحشاء؟

- اقرب منها وجلس الى جانبها والابشامة تعلو ثغره:

- هل الأكل لا أعاب العواصف الزعدية أو الصراخ في وجهي.

- لم تستطع ليز منع ابشامة خفيفة من الارتسام على شفاهي، فأكمل:

- ما رأيك بتناول العشاء في المدينة الليلة؟ يمكننا استعمال ميارتلك أو

دراجتي.

- أوشكت ان توافي لولا فكرة طارئة عطلت بيها:

- أعلم ما بودي ان أفعله؟ تناول العشاء هنا في غرفة الطعام. الطاولة

جاهزة، ما علي سوى تنظيفها من ملقاي وأوراقي.

- ولم لا؟

- بعد رحيل السيد جيليان بحثت عن سبب ما يمنعني من امثالك

تبرجلين الى حين انتهائي من العمل فيه فلم أجده. وهذا يؤهلنا لاستعمال غرفة الطعام ساعة نشاء.

- أمسك بيدها مرياً عليها وكأنه يطمئن ولداً صغيراً:

- لا سبب يمنعك من ذلك. بإمكانك التصرف بملء حررتك. تناولين

العشاء هنا، وترتاحين في المكينة وحتى باستطاعتك النوم في الغرفة

الرئيسية.

- هزت رأسها ضاحكة:

- من الأفضل الا أبالغ في العلامي. حان وقت العمل الآن.

- لم يطلق سراح يدها الا بعد ان ضغط عليها برقة أشعرتها بقشعريرة

خفيفة سرت في عروقها فتهولت الى الداخل تتابع عملها.

- شغلت نفسها في العمل حتى السادسة، التسلت بعدها ونزلت الى

غرفة الطعام فترت الأوراق وجمعتها كلها في مكان واحد. نزع الملاءة

الكبيرة الموضوعة على الكرسي ومسحت الثياب عن كفي متبا وحملت التين

وضعتها قرب الطاولة. سيتناولان العشاء للمرة الأولى في مكان لائق.

وقفت تأمل الغرفة تفكر كيف سيبدو بعد انتهاء العمل فيها. ستعبد ملاء.
أحجار المدفأة وستعمل على تبليغ انظار المرأة العسة أوقها. اما ورق
الجدران القديم فستبدله بورق أصغر لئلا يخلو زهور رمانية وتغطي
الأرض بسجادة باللون نفسه فتضفي على الغرفة مسحة من الدفء. في
أعلى لشكينة راتعة من سائر النوازل سبب وجعته الغرفة. ان سرك
الجدران عذرية بل مستحار بعض الفجوات الشب تعلمها ع. وبعد
سمعت سملاً غليظاً خلفها فاستدارت لتفاجأ بطوم واقفاً وراء الباب:
- لا أرى شيئاً لأحداث تغيير في هذه الغرفة. انها تبدو كذلك جيدة
أجابت بلهجة تجمع بين المزاح والجد.

- ها أنت تدخل في شؤني. هل سمعتي مرة أبدي أية ملاحظة حول
عملك في الخارج؟
- أجل، فقد أبدت رأيك ببعض الزهور البرية.
- لكنني لم أعرض قراراً معيناً بشأنها.
- حسناً، أنت على حق. سأفكك هنا بعد ساعة لتناول العشاء، فلنا لم
استعد بعد.

تساءلت بعيد انصرافه ان كان السيد جيليان قد أصدر أوامره الى طوم
بالعمل ساعات اضافية في الحديقة، فهو لم يرتع طوال بعد الظهر. بينما
ذلك الضيف الأنيب يقوم باعطاء التعليمات ويرحل تاركاً عبء العمل والم
التعب على طوم الشكين.

بماكانها تحضير الطعام في أقل من ساعة، فالعشاء سيكون خفيفاً
كالعادة ويقتصر على بعض الاجبان والزيتون وقطع من اللحم الصغيرة مع
البيض. صعدت الى غرفتها واستلقت على سريرها منهكة للمرة الأولى
منذ قدومها تحس بالعباء، فالتصال باري بها أفقدها حيرتها. انها قبلت
دعوة طوم للعشاء في المدينة. فالطقس جيد بخري بالقيام بزمرة في السيارة،
غداً عن وجود مطاعم عديدة لم تزورها من قبل. انها بحاجة الى الابتعاد عن
جو العمل قليلاً. جلست على حافة السرير تعذلت شعرها، مستلعة
لنسيمات منعشة وجدت طريقها اليها عبر الشافذة المفتوحة. أحست
بالكسل وبرغبة جامحة للاستلقاء مجدداً والنوم. لكن طوم بانتظارها ولن
تتحلف عن موعدها معه. فتحت الخزانة تبحث عما ترتديه متعينة لو كانت

لذلك ثوباً حريريًا، فكشفتها ليس السراويل. لكن معظم ثوبها في شقتها لم
تجلب معها سوى ما يرتديها في العمل.

اعتادت ثوبا الزرق اللون ثم ربطت شعرها وألقت حول عنقها وشاحاً
صغيراً لحر اللون. تعلم انها لن تشو فائت لكنها لاحظت تدلاً إيجابياً في
مظهرها. عليها ان تعجب طوم فهو الوحيد الذي يشاركها العشاء هناك.
انها تثير انتباهه نظراته تدل على ذلك، وفنته خمايتها من باري أفادت لها
ظنها. للمرة الأولى تحظى بطل الى جانبها تستعيد به عتد الحاجة، غير انها
لا تدري ما ستكون ردة فعله ان هي حارجه بكل هذا.

فوجدت عند دخولها غرفة الطعام بطوم وقد حيا الطويلة ووضع في
وسطها باقة من الورود الاحمر، وقبض ثوبه اللامعة مرتدياً قميصاً رمانياً
وضرباً لا أسود. يدا انساناً آخر غير طوم العاقل، جذابة ومرتباً. هفتت
مذهولة:

- كدت لا أعرفك.
- واجهني المشكلة نفسها.

وملته بظلمة لاعدة حملتها اعجاباً صادقاً وشعوراً بالطمأنينة والفرح. لم
تتوقع ان يبدو كذلك عند اعيانه بنفسه. اعتادت رؤيته بشباب العمل
الضبابية الرقة، اما الآن فالوضع يختلف تماماً. شاب أنيق للغاية،
قميص حريرية تبرز عضلات كتفيه وفراجه يتسلل حذائين لماعين
جيليين. لم تستغرب اعجاباً به لدى رؤيتها اياه، فكل النساء متشابهات
حين يصل الامر الى الرجولة والاناقة. أفرحت انها كانت عمدة في كل ما
كروته عنه. لم يعطها مجالاً اكبر للتفكير بل علق قائلاً وهو يسحب لها
الكريسي يليقاً:

- اكتشفت الليلة فاسياً مشتركاً آخر بيننا. ارتدنا ملابس أنيقة
للعشاء. انها عادة قديمة لكن جيدة.

جلست وعيناهما معلقتان في باقة الورود أمامها تتساءل عن معنى وجودها
الليلة بالذات.

- جميلة هذه الورود. هل تظننها من الخشبية؟
ابتسم طوم هامساً:

- أجل. انها عادة قديمة أخرى تذكرها الليلة.

- لا بأس، فكل ما في المنزل وحوله ملكنا. اليس هذا حلماً؟

أخذ العشاء طابعاً احتفالياً لكثيريها جالسين في غرفة جديدة مرتبة، وإلى طاولة كبيرة لا تفارق طاولة المطبخ. حتى الطعام العادي وجدها للبدء وشهياً. لكنها خلال العشاء عن أمور متوعدة الزيت لبسجة أفلاخ وطوم نظراً لكثرة البذلات التي زارها والفتائل والمعادن التي غيرها. مضى الوقت بسرعة، وما من ألبا عشاء الفهوية حتى كانت الساعة قد شارفت العاشرة. لاحظ طوم تناوئها المتواصل فقام من مكانه يتفاهم بالذمان، قائله ليز قبل أن تصعد إلى غرفتها:

- أعتقد أن طيبة حقوقي من صراخ ياري؟

- لا، لكن بإمكانك الصراخ أيضاً.

بورها أن تفعل ذلك لكنها غير قادرة. شيء ما في داخلها يمنعها ويخلق الترددات في حلقها قبل أن تنطق بها. تناولت فنجان القهوة وجرعت كل ما فيه قائلة:

- لست قادرة على ذلك.

- هل صراخه في وجهك يوازي صراخ عميتك؟

- طبعاً لا.

انتمست لطريقتهما العفوية بالأجابة وتبادلته وطوم نظرة تغني عن الكلام. انها تشعر بالأسف الآن على عمتها التي حرمت من الحنان والحب فلم تمنحها لأحد.

- من حسن حظي أني لن أقابلها.

أدركت ليز ما يرمي إليه. يريد أن يعرف إلى عائلتها في حال وجودها. فهو لا يؤمن بأن علاقتها منتهية بنهاية العمل في هذا المنزل القديم. شعرت بلهيب في أعناقها يتبها باقتراب قلبها من دائرة الحب الخطرة.

- لا أريدك أن تغلبي بعد اليوم. أن عاود ياري مايسون مضايقتك سأرميه خارجاً.

كانت تعلم انه لا يعني رمية جسدياً قباري لن يتكبد مشقة اللحاق بها إلى هنا، فأجابته بامتنان:

- شكراً يا طوم، لكن لن تضطر إلى فعل ذلك.

وامتدذنت لتأوي إلى سريرها بعد أن تبادلنا ابتسامة وقيقة:

- طابت ليلتك.

عوض عن مبعده فطنته سيتبعها ويتفق لها ليلة هائلة، لكنه اتهم نحو المائدة التي كان يقف قربها عين دعوات. هل سيقبلها أم سيخرج للمنزه في الحديقة قبل النوم؟ لم تنتظر كنعان ما سيفعله بل صعدت إلى غرفتها تدفن رأسها بين وسادتها وتكتم هناك بتعالى بين ضلوعها. كانت تود أن يمسك يدها ويمسكها. أراحت ذلك بكل جوارحها. لكن الظروف غير مريحة هنا ومن التهور استعجال الأمور، فقد يقلت زماها منها بسهولة لا يفتح بعدها الندم.

٤- السقطة

كانت ليز منشغلة في نزع أوراق الجدران البالية في غرفة الاستقبال، حين سمعت صوت محرك سيارة. انحلت من النافذة فرأت جاكوار حزام تشبه الى حد بعيد سيارة باري متوقفة أمام المدخل. لم ترد أن تصدق أنها سيارته، فليس الوحيد الذي يملك مثلها، فالتفتت الى الداخل لتسرق النظر اليها لتبين من سيخرج منها. شعرت بقوة واضعة يدها على فمها لمنع نفسها من الصياح. انه باري، بشعره الأشقر وقامته الطويلة. توقعت أن يعاود الاتصال بها فإذا به يحتاجها بزيارة وقحة. لا شعورياً رمت ما بيدها وهزلت تبحث عن طوم. لكنها لا تعلم أين هو. قد يكون في الخديقة أو في المنزل، وقررت عدم اقترافها في البحث عنه. عليها ان تسيطر على انفعالاتها وتواجه ذلك الوضع بنفسها. لن تحشاء بعد الآن ولن يفرى على تحطيمها منها لعل، وجل ما يقدر عليه هو لذكيرها بالكابوس الذي عاشت قصوره معه وإرجاع صدى صياحه المرعب. اذا حاول التصريح الآن ستبعد بكل هذه ويردأ أعصاب لاركة طوم بتتذكر أمره كما وعدها، ان يفعل. اتجهت الى المدخل بينما كان باري يصعد الدرجات المؤدية الى الشرفة بخفة وحاس وكأنه والقي من استبيان ليز الحار له. لمحها تقف ازاء الباب فتقدم منها وطوقها بقرايمه رافعاً ايها نحوه:

- مرحباً يا ليز. ما رأيك بهذه المفاجأة؟

- مفاجأة صاعقة. ظننتك في اسبانيا.

انزلها ميسياً ألباسه المعهودة:

- عدت البارحة. ما بك، الا تفرحك عودتي بهذه السرعة؟

- ولماذا تفرحي؟

لم تفارق الابتسامة فمه فأدركت ما يخفيه. انه يبدو كدوفلاس صاحب الكابوس الآخر في حياتها، يعتمد الابتسام بينما يتبعها لترجيه سهامه البسامه.

- أريد الاعتذار عما قلته في لسانا الأخير. فقد كنت مرهقاً للغاية وأظن أن العطلة أعادت الي صوابي وأواختني.

- ولماذا عدت. لماذا لم تقضها كلها هناك؟

لم يرقه كلامها لكنه أثر التفاضي عما قصده:

- فأت الأوان على مناقشة ذلك الآن. فقد عدت وبما أنها عطلة الأسبوع

أوثقت القدمين الى هنا للاطمئنان عليك.

- كيف علمت بوجودي هنا؟

- لم أجدك في المنزل، فرحت أسأل عك. يظنك الآخرون معي، لذا

وجيدته صحوية في اكتشاف مكانك. وعندما اتصلت بك أخبرني أحدهم

أنك تعيشين هنا ولكن يتعذر عليه إيجادك. هل كنت في غرفتك أم أنهم

يتعمدون المكالمات الخائفة أثناء العمل؟

اجابت ليز بحتى:

- كنت أعمل.

أحس باري بفتور استغفاله لكنه لم يعرفك اهتماماً بل تصرفه وكأنه

الأمر عادت الى طبيعتها بعد الشرح الذي قدمه لها. راح يتكلم عن المنزل

محدثاً في التوافد المغلفة وفي الشرفة الخالية:

- يا له من مكان موحش. الطريق اليه سيئة للغاية.

ردت بحفاة لا يخلو من التشاؤم:

- أنهم يأتون الى هنا جواً. البارحة حطت طوافة في تلك البقعة،

والرجل الذي كلمك أتى على منها.

- حقاً، أهله هي طريقتهم في العمل؟

- اعتقد ذلك، فمعد توافر المال يسهل الحصول على أي شيء.

- لا أملك تعيشين بمفردك هنا.

- كلا.

أحس بارتياك فجأة فتصنعت التفتيش عن قفازها لتتهرب من

استشاره بمن يشاركها السكن في بيرجلون. كن تقحم طوم في الأمر ما دامت قادرة حتي الآن عل الاحتمال.

أخذت نفساً عميقاً وقالت:

- لا أدري سبب حبيبتك، فني آخر لقاء لنا قلت أن لا أمل في استمرار علاقتنا وكنت على حق في ذلك.

لم يتوقع باري أن تواجهه بهذه العداوة، بل ما برح يعتقد أنها ملك يده ورمز الثبات. فمن أنها ستأخذه إلى المطار ليستقلا الطائرة معاً، ولما عذب عليه سافر وحيداً، رفقاء الغضب والحسرة. اكتشف في أسبانيا حبه الشديد بها. أنها فتاة ناعمة ومثال الزوجة السمحة التي يعلم بها كل رجل. ففزع إجازته معتزلاً من صديقته ليعود إليها وينسجها ما حصل. لم يطلعها على حقيقة ما حصل، لكنها لاحظت أن الأمر يتعلق بالمشاجرة العادية لأصراها على المودة معها كلف الأمر. أنها عيان ليز ويحلبها ككالي الذين عرفوها لطيفاً وروحها المرحية. ولاحظ الجميع تأثير غيابها على باري. من عاداته أن يكون نجم الحفلات ومحرر معظم الأحاديث لما حدث المرة فكان ملا، شارود الفصح سكوناً.

في طريقه عائداً من أسبانيا، توقع أن تكون في منزلها تنتظر قرب النافذة، أو في مكتبها لا تفارق الهاتف. اعتقد أنها شعرت بفعلتها أثناء المشاجرة ولامت نفسها على امتناعها عن مساعدته. لما الآن فهو نادم على ما حصل ومستعد للاعتذار وطلب التصحيح منها. عتفاً علم أنها تعمل هنا، أين أنها بدأت بأكراً أملاً في مساعدته والحصول على القرض.

- ما الأمر يا حبيبي؟ لا أخالك تعنين ما قلت.

- بل أعني كل حرف منه.

لم يصدق باري لأنه فقال بلهجة تقرب التوصل:

- أتريدن التخلي عني لأنني أعاني متاعب في عملي؟

- لا ليس هذا السبب.

- عما قريب ستتظم وتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي. خرجت عن

طوري يوماً وأنا أسف، ماذا أقول أكثر من ذلك؟

بدأ كالتفعل في ترمسه وقد زالت عنه مظاهر التعرج والتسلط، لم تره أبداً في هذه الحالة، فاختارت في أمرها ورق قلبها:

- لا يعني ما سبق وقوله. كل ما في الأمر أنني أفضل الاعتماد عن بعضنا لفترة. ستأخذي شهوراً عدة هنا وهذا سيجب لنا الفرصة للتفكير بالأمر ملياً.

لم يأتس من صدها له فحاول مرة أخرى أن يستعليها منصتاً التعرّية:

- هل تسيث التفافنا على الاحتفال بزفافنا في أسبانيا؟

أجابته ليز والقصة تكاد تختفي بعدما تذكّرت حلماًها الضائع:

- لم يعد لي علاقة بالأمسي.

لم يقو باري على تحمل المزيد فحفظت عيناه وباتت عروق عينه بوضوح:

- ما معنى كلامك هذا؟ أتوقفين عروسي؟

أنها لا ترفض عروسته فحسب بل ترفضه هو كإنسان دمر ماضيها ويحاول من جديد تقويض حاضرهما.

- انك لا تدري الزواج مني، فأنت تريدني فقط لخدمة مؤسستك ولاستثمار...

لم يدعهما تكتمل عبارتها فقاطعتها باستهزاء متعمد:

- يبدو أن مهمتك الجديدة وأذاك غروراً فلم يعد حبيبك باري يليق بك.

أدركت ليز أن الأمر يتطور بسرعة وقد يتفكك بين لحظة وأخرى، فباري يكاد يخرج عن طوره، لكن يحاول أن تشرح له أكثر من ذلك. ترميله أن يفهم أن زمن تلاحبه حبايتها ونسلط عليها قد ولى إلى غير رجعة. أنها مستعدة لمساعدته لكنها لم تعد تملك شيئاً يجعله يتعلق بها فقد فقد ما لديها من ماله. رجته فتاة توقيب عينيه تنفذ حشواً:

- أزوجك يا باري ارحل من هنا.

تقدم باري منها وكأنه لم يسمع ما قالت واستعمال على ليز معرفة الغرض من اقترابه. هل سيحاول احتضانها أم أنه فقد رشده من جديد؟ ترجمت جذبه التي أن أصبحت على حافة السلام فلمحت طوم مهرولاً تاحتيتها. هزعت تنزل الدرجات بسرعة خلافتها منصتة المدهو واللامبالاة:

- تعال أعرفك إلى باري، كان ماراً صدفة بالقرب من هنا فأحبب اللقاء النجوة وسيرحل بعد ذلك مباشرة. أليس كذلك يا باري؟

وما ان انتهت جلستها حتى زالت بها قدمها وحدثت تفسخاً شديداً
على ظهرها في أسفل السنام. أدركها طوم أولاً فبذلها قربها وطوقها يدواعه
يساراً باللفة وقتل:

- هل أنت بخير؟

تخسست ليز بجلع يديها ورجليها لتؤكد من سلامتها وأجابت متلعثمة:
- لا أعلم ان هناك كسوراً.

ونالقت عيونها في نظرة بريئة انك ليز لثوان ما يحيط بها، فاستدنت
رأسها الى ذراعها براسة والسجام تنعم بدفء صدره وتكمل أمارات الفرح
البادية على وجهه وخروجها سليمة من تلك الشقطة القاحلة.
لم يرض ياري بما أصابه من المهال فوقف خلفها موجهاً كلامه الى طوم:
- من أنت؟

حل طوم ليز بين ذواعيه وأجلسها على كرمي فربب ثم استدار ناحية
باري يسأل بدوره:

- مايسون، أليس كذلك؟

- هذا أنا ومن تكون؟

تجاهل طوم سؤاله مرة أخرى ونظر الى ليز مستغيباً:

- هل انتهت محادثتي؟

- اجل.

التفت الى ياري قائلاً ببرة هادئة لكن حازمة، أرقها بنظرة تردد
وعينيه ارتعشت لما ليز:

- الآن، لا مرور ليلتك هنا.

نظرت ليز الى الرجلين الوافقين أمامها تتوقع عراقاً لا تعتمد عليه. كان
باري أضخم جثة من طوم وأطول قامه ومع ذلك بدا كالمصطوك أمامه
يخفق في الأرض من غير كلام. ثم ابتعد بخطوات قساعة مترددة يرافقه
طوم. وصلا الى وسط الحديقة حيث دار بينهما حديث لم يصل الى مسمعي
ليز بل رأته ياري يحرك شفاهه بعصبية قبل صموده الى اليسار، والابتعاد
بها نحو الطريق العام. حاولت التبرؤ فاحسب بعاء شديد فلأزمت
مخاطها الى أن عاد طوم، فبادرته قائلة:

- شكراً على المساعدة.

- لا شكر على واجب، هل أنت حقاً على ما يرام؟
ارتعشت أثناء سقوطها بحافة إحدى الدرجات فاصيبت بقشوش مؤلمة
في كتفيها:

- قدوش بسيطة لا تستحق الذكر. اشديت بتعاوني في الأيام الماضية،
في رأيك بهذه الشقطة القاحلة؟

ابتسم بلطف ومسد رأسها بحنان:

- لا بأس. ماذا قال لك ياري؟

بأنه الانساعة بأجل منها متعنية لو يطوقها مرة أخرى بذرعه، لكنه
يجلس على إحدى الدرجات مستنداً الى السور الخشبي.

- جاء يعتبر عما يدور منه قبل مغره.

- وماذا قلت له؟

- طلبت منه معافاة المكان. . . لم أتوقع أبداً قدومه الى هنا. وأنت ماذا

فعلت حتى انصرف بثلث السرعة؟

- مثلك تماماً، طلبت منه الانصراف.

- هل يتصارع الناس عادة لأوامرك بهذه السهولة؟

- أجل.

فوجدت بقلته الكبيرة بنفسه. قلت أنه سيقول أحياناً، ولم تتوقع جواباً
بهذه الجدية. أحسبت انها تلقاه للبيرة الأولى، فتعابى وجهه مختلفة تجسم بين
الود والقساوة.

- سررت كثيراً لوجودك هنا عند عيشت.

- هذا دليل آخر على نجاح شراكتنا.

عضت ليز موافقة:

- انها حقاً رائعة!

شعرت بأن في رأسها فتحجسته بأناملها لتكشف تورماً صغيراً في
المؤخرة.

- من حسن حظك انك لم تكسري رجلك. سأعتمد يداي هذه الدرجات

حتى لا تجرحي على أذنيك ثانية.

نظرت الى رجلها السليمين، فقد حملها مرواحا الواسع وقماتته
التي. لاحظت انها اصابته فردة حذاتها لمحاولت التبرؤ للبحث عنها:

- علي أن أعود إلى العمل.
- ليس الآن.

وأنت حذامها على السور الخشبي في أسفل السلام. لم تقو على النهوض، فإنا زالت لركبتك. تحتاج إلى فترة راحة لتسعيد هدمها وتعاود استعمال يديها ورأسها. نصحبها طوم قاتلاً:

- استبدلي إلى عانة الكرسي وساحظم لك الشاي لتشربه على الشرفة.
أوشكت أن تنقلب دواء مهدئ خوفاً من تحول أصابة الرأس إلى صداع، لكن الألم ما زال خطيفاً ومكعباً احتماله فائتت الشجوة إلى الحبوب في حبل اشتداد الرجوع. اكتفت بالقول:
- شكراً لك.

ساعدها على النهوض بعدما جلب فودة حذالها فانككت على كتفه لتصلها، ثم خرجا سوياً إلى الشرفة حيث جلست قرب السور تنظر فتجان الشاي. أعجبها نصرفه عند سقوطها، فقد أظهر غفلة عليها وأجست للمرة الأولى بأن هناك شخصاً يحني بها ويحيطها هذا القدر من الاهتمام. لم يسن أن أثارت لسة النساء لما هذا القدر من الاحاميس كما فعلت فواج طوم وهي تطوق خصمها.

شربا الشاي صامتين، يكتفیان تبادل نظرات تغني عن آلاف الكلمات. تحببا التحدث عن ياري إلى أن قالت ليز مازحة:
- كانت من الواجب أن أقدم كه فتجانا من الشاي بعد الرحلة الطويلة التي قام بها.

- لم يقل إنه عطشان، فلا بأس الآن، التماسل من سيكون ضيفنا التالي.
البراحة جامنا السيد جيليان واليوم ياري. أنا من الذين يؤمنون بأن الكاتبة ثابتة. لكن الأمر لن يتوقف هذه المرة على هذا الرقم. ليتهم يتأخرون في المجيء.

سرت ليز من عبارات الأخيرة فكلامها لا يجيد فدموم بولا وحاشيتها إلى تيرجولين أنه يفضل مثلها إبقاء الأمور على ما هي عليه، وحدها في هذا المنزل الشاعري. وضعت فتجانا القارغ على الطاولة قائلة:

- اشعر بتحسن كبير، سأعاود العمل.
- أين تعملين الآن؟

المثارت يدها نحو غرفة الاستقبال:
- في تلك الغرفة.

كانت ليز قد أنهت نزع أوراق الجدران وجهزت السلم لتبدأ العمل في السقف حيث تزداد إزالة الأوراق صعوبة وخطراً. نظروا طوم إلى السقف متعجباً:

- لا أعطالك ستقومين بهذا العمل اليوم.
- أما بحري الآن ومن يعلم كيف سأكون غداً؟ تأثير الكمينات والخدوش يظهر عادة بعد فترة. أليس كذلك؟
- أحياناً.

- لن أجازف. علي أن أتقيد ببرنامج العمل.
لاحظت ابتسامته وكأنه يسخر من حماسها على العمل وتقاليدها في الدائم قبل يحيى صاحبها، فهضت بغضب:
- أرجوك، لا عزاً مني.

- حسناً. صندوق الاستعدادات الأولية معلق في غرفة الاستحمام التي أشغلها. دعني أقصيد كحظك الآن.

شعرت بالأحراج عندما فكرت في أنها ستخلع قميصها لادامه. سيورى كم هي نحيفة ومتصدمة عظامها النافرة. لكن كيف ستشرح له سبب قنوعها عن فعل ذلك؟ ميظنها متخلقة رجعية ومجولة.
- لا أريد أن أسبب لك مزيداً من الإزعاج فأنت أيضاً عليك القيام بعملك.

- العنصين التي أفضل القيام بالعمل على الاهتمام بشيء سأتى بالندوة حالاً.

نحست من جديد كنفها فشعرت بالمرهيب. لن تقسو على نفسها في العمل هذين البيمين. بأمكانها تأجيل السقف وستكتفي بتحضير الطلاء ومنزج الألوان. كانت حفاً محظوظة. فلم تكسر رجلها أو كاحلها، ولم تسبب في المنطقة شذراً جزيئاً أو كاملاً. اعتادت النزول والسمود على هذه الدرجات عشرات المرات يوماً وبأنت تعرف الخطورة منها لكن اليوم كانت على عجلة من أمرها لتجنب عاقبة أسوأ من هذه بكثير. عاد طوم يحمل أنوباً صغيراً يحوي مثلاً يخفف من آلام العضلات ويزيل تشنجاتها قرأ

طريقة استعماله معدداً منافعه على مسجعيها وساقاً:

- ما رأيت هذا الدواء؟ انه حاصر بالذين يزلون السلام رأساً على عقب.

- انها عادة أحوال الاقلاع عنها.

تناولت الدواء وصعدت الى غرفتها فذهنت به مواضع الألم لكنها لم تستطع لسيد كثفها. وأمسك بالشمع مزيج وكان جلدتها يحترق. انه تأثير الدواء واحتوائه وهج الصدمة. ثم ارتفعت لهاها من جديد ونزلت لتلقي طوم على الشرفة منيحاً في إزالة الطحالب من بين الشقوق.

- لم يبق موضع ألم إلا وماله دولوك، لكن علي أن أعمل والتواء مفتوحة.

وضع طوم القطار من يده مؤبداً:

- لم تنظني كذلك كما يجب، فبعض حبيبات الرمل ما تزال عالقة عليه.

- حقاً؟ لا يمكنك رؤيتها.

- سأغسلها لك.

ثم يهلها للاعتراض أو التمتع، بل أمسكها بيدها يدخلها المطبخ غير أنه لما تلوته:

- سأندبر الأمر أمام المرأة.

ثم يجب أن أمسك بقطعة من القطن بليلها في وعاء يحوي ماء ساخن وضع فيه قليلاً من المظهر. أمسك ذراعها بنعومة وراح مسح الحشرش عن كثفها بحذر. أحست بألم هائل فور ملامسة المظهر مكان الجرح فادمت عينها واحترق وجهها. ثم يطحن طوم الى تنظيف الجرح إلا بعد أن احترق كثفها حتى كاد يبان اللحم فوضع قطعة نظيفة فوقه ويثبتها بضمادة ثم أحاطها بلواحه هامساً:

- لا تيكبي.

لا تذكر أحداً قبل الآن طوقها بذراعه طلياً منها الكف عن اليكاه ولا حتى عند وفاة والدتها. رمشت بعينها المعروقتين واجابت:

- أتي لا أتيكي، اما الألم رهيب.

- هلا أويت لي خدمة.

- بكل سرور.

- انجلدي الراحة اليوم. لا أريدك أن تقومي بأي مجهود حتى صباح الغد. أوجوك.

انها نهاية الاسبوع والطقس مفر، فانتعت ليز ينيل قسط من الراحة تقضيه في الهواء الطلق قريبة منه. ربما أوقف العمل يدوره وشاركها العيلة فيلديان الى الشاطئ. على بعد ميلين من هنا.

- لم يسبق أن طلب أحد مني التوقف عن العمل.

- انك بحاجة الى من يعتني بك.

وبد يده تاركاً أنامله تعيث بشعرها بحرية ودلان فأحسها تظال أعماقها.

- أريد أن أكلمك بخصوص شراكتنا.

سألت ليز بلهفة:

- ما بها؟

راحت أصابعه تطرق عظامها بركة متناهية فأبعدت رأسها فجأة وكان أفعى لسعتها، فسحب يده موضحاً:

- سأتكلم عنها لاحقاً، عندما يخف الثورم من رأسك، لأنني بعثي عن أي التباس.

- ثم أفهم قصيدتك.

تساءلت ان كان يعني طريقة عملها معاً. لا يد وأنه يرمي الى أبعد من ذلك، الى اشياء شخصية لا علاقة لها بالعمل. فحاولت استدراجه للكلام:

- سبق وقلت انك تصلح لأن تكون الخاً طياً.

أمسك ذقتها بأصابعه مثبتاً عينيه الذاكنتين في عينها:

- أنا لا أصالح لأي شيء. لا أخال الأمر قد التيسر عليك الى هذا الحد، فأنت لا تنظرين الى كآخ كما اني لا أعتبرك احتاً لي.

اقصفت ليز عينها وتتمت:

- لا أعري ماذا أريد بعد الآن.

وبحركة مفاجئة التفتت بها بحثوها بين ذراعيه وعانقها عناقاً رشيماً ناعماً. انتهى الأمر في لحظات وكانها حلم قصير انتهى. فاستندت الى سور الشرفة لتنفث أنفاسها مستسلعة الى النار المتأججة في داخلها، الى العاصفة

التي ظنتها قد هدأت الى الايد.

نظر طوم الى الدرجات المؤدية الى المدخل معلقاً باضطراب:

- عليّ أن أترع هذه الخشاش قبل أن تزحف الى الداخل.

أجابته بنبهة طبيعية أثارت دهشتها:

- هناك دواء خاص مضاد للطحالب في غرفة الاستحمام.

ذهب طوم ليبحث عن الدواء بينما تفتت ليز لتجلس على كرسي هزاز في ظل شجرة السرو القريبة من الشرفة، تحمي نفسها من أشعة الشمس الحارقة. لا تدري سبب ارتعاشها.

أمور كثيرة ما تزال تجهلها عن طوم، انه عبوسة الغراز ما ان يحل واحداً حتى تصطدم بأخر. أحياناً كثيرة يستحيل عليها الفكاك الى فكرة أو سبر غوره، ليواجهها حاجز لا يترك فيه. في عينيه براءة الطفولة وبريق الأجرام في آن معاً. ملامح وجهه توسع بين الفسادة والرفقة. انه خطير وخطره كامن في تأثيره عليها وسرعة تعلقها به. . .

اشد وهج الشمس فارتأت الدخول خوفاً من أن تصاب برعكة أخرى، وأوشكت على التوهض حين سمعت وقع خطوات طوم على الشرفة فنظرت اليه مبتسمة.

- أراك شاحبة الوجه. هل تشعرين بالآم؟

- لا أبداً. ربما أشعة الشمس أثرت في قليلاً.

لم تعد لحشا كما أحست في ياتى الأمر، فشمورها نعو، أقصص بعيداً كل البعد عن الحرق والريبة. قالت مازحة:

- شعرت أني طرت الى وسط قرص الشمس، لو انقص للسنة المذهب، ايشم طوم مصقلاً بيديه:

- غيالك الحصبب يثير قلقي، اظن أن عليك الاستلقاء لفترة.

- اني على ما يرام، انه ارتعاش بسيط وميزول. لكنني سأفقد أوامرك وأتخذ لساعة شرط أن تعدني بالقيام بنزهة الى البحر بعد ذلك.

- موافق.

صعدت الى غرفتها حيث شملت ثيابها ولقددت على السرير محدقة في السقف. الحب يغزو قلبها من جديد، بقوة وجنون لم توقفها. شلت قلبها قد أنفل غائباً في وجه الحب بعد تحلي بارى ودون لاس عتية، لكنها تحس

الآن خافقاً مهذلاً للزائر الجديد. الشرة الأولى تشعر بالقلق حيال ذلك، فاقام بطوم عجايزة لم تعرفها مع غيره من قبل. كيف تحب التمداد لا تعرفه ولا تدري حتى حقيقة شعوره بنورها. كل ما في الأمر انه عانقها فحول حاسرها الى عيم، وانه سيحذلها عن شرائكها فأملت غيراً بالمستقبل.

انغمست عينيها تفكر بالزهرة الى الشاطئ، وتخلت نفسها جالسة قربة في مكان منعزل لا يقرب عليها سوى طيور البحر نظير حولها، والأمواج تداعب الحصى المثورة عند أقدامها. فجأة تبدل لون السماء وتلبد وجه الأديم سحابات سوداء قائمة فوجدت نفسها وحيدة في قبضة عواصف رعديّة قوية تحاطت بها من كل جهة، وراحت تقترب منها رويداً رويداً بصوتها المأدود ويريقها الحائط. يبحث عن طوم فلم يجده، حتى طيور البحر هجرتها وصمت مروج البحر. . .

أنفقت من حلقها مذعورة واختلط دوي العواصف بصراخها. تطلعت عبر النافذة فألمأت بعدما تأكدت في صفاء السماء. انه مجرد حلم كبره ناتج عن المها وتعبها. . .

تبادى الى جميعها رنين الهاتف فجمدت مكانها تتأكد من حقيقة ما تسمع، ثم ارتدت ثوب الاستحمام بسرعة، فألترين لم يتوقف وهولت الى الأسفل. مضت دقائق طويلة قبل أن تترك الهاتف، فرفعت الساعة وبي تهبها الاعتذار عن التأخير:

- الوه هنا منزل. . .

فأصعها ياري بيرودة:

- لا داعي للشرح.

نسيت الاعتذار عن تأخيرها وسأته بهلج:

- أين انت؟

- لا تقضي أنا في طريقي الى شقي. توقفت لشاول الطعام فأحييت مكاشك.

لاحظت تلغمه فهذه عادته عندما يغضب بشدة أو يتعجل.

- انيه شاء القيادة وتجنب التفكير بما حصل هنا.

أجابها بسخرية جلية:

- يا لك من إنسانة حقوة، الى هذا الحد صمك أمري؟ ما رأيك لو

أصدم بسيارتي أول شجرة أصادفها في طريقي؟

تذكرت مقتل والديها في حادث مماثل، كهنت:

« أرجوك يا باري، لا تغفل هذا.

كيف طوارئك قلبك وفعلت كل هذا؟، كيف؟ ما الذي جعله يدا؟

عنتك بهذه الطريقة؟

« ماذا تعني؟

« أعني حقيقة علاقتك بهذا المليونير اللعين.

« ماذا؟

عقدت الدهشة لسانها وخالفها الكلمات بينما تابع باري:

« لم أعرفه في البدء، فانا لم أعهد بشاب العمل، ومن يتوقع رؤية

جائعين قنوتين في لباس عامل بسيط؟ لكن عند بلوغنا السيارة أدركت

الحقيقة، غامضة بعدما قال: لا يمكنني منعك من مكائيتك أو مراسلتها لكن

أبني بعيداً عن أملاكك، فقلت قد انتك قنوت ليس كذلك فهو يرأسه إيجها.

لم تيسر لي بيت شقة، تصمط الساعة على أنها مصعوقة، خبائثة لا

تدري على منع باري من الاسترسال في كلامه:

« نصبتها لي فخاً عتيقاً، وكنت كالمغفل بينكما، أنت التي وضعت الخطأ

أنت الماكرو. يا إلهي أنا لا أصدق، كنت طوال هذه الليلة تخونيني، لكننا

سنتقي يوماً يا ليز وستكتشفين مصير من يتون باري مايسون.

لم تعد تسمع غير رنين منقطع، فقد أقفل باري السابعة تاركاً أياها في

بحر من التسللات. ارتقت على مقعد قريب تحلق في الخلف، تساءلت

عن صحة ما سمعته وحاولت اقتناع نفسها بأن باري كاذب، وأن طوم

استعمل تلك العبارات لأبعاده نهائياً عن تيرجلين وعنها، لكن باري يعرف

جائيس يتون فقد التقيا مراراً، كما أن طوم لم يذكر لها شيئاً عن شبه الشبه

بينه وبين قنوت. اختلطت القنوتون في رأسها لا تدري من تصديق. ان كان

هذا الرجل قنوت فإين طوم ريدينغ الذي كتمتها عنه ماري، وما السر في

كل هذا؟ متبعت عن الحقيقة بنفسها، فقامت الى المكتب الخشبي

وفتحت الجرار تبحث عن دليل يرشدها الى الخلفة المغلقة. ان المكتب

الذي يحمي فيه طوم معظم أوقات فراغه، فلا بد من وجود بعض الأوراق

أو المستندات التي من شأنها اثبات هويته الحقيقية. خلال زيارته

لتيرجلين وصف روبرت جيليان طوم بالمسؤول عن المكان، وأقصى

اللاتمان في هذه الغرفة وقتاً طويلاً. دفقت في كل دوح على حدة فلم تجد

شيئاً يتعلق بالحدث ولا حتى بالمصاريف أو الأجر. لكنها وقعت على أوراق

ورسائل تحمل حرفي ج. ف من غير أن تمر على قصاصة ولو صغيرة تتعلق

بطوم. كل الدلائل تشير الى أن جائيس قنوت يشغل هذا المكتب. راحت

تستعيد صبراً من الماضي القريب، من اليوم الأول لوصولها. تذكرت

طريقته في أكل التفاح. أي بستان يتخلص من قشرة تفاحة قبل أكلها؟

تذكرت يديه القاعيتين وهو يقشرها مستعملاً ذلك السكين الصغير، لم

تشها يدي يسماني قضي معظم نهاره في تشذيب الاشجار والازهار وربها.

أدركت الآن سبب بريق عينيه الغريب واكتشفت لغوها مع ذلك الحائز

القائم بينها. انه المدعور بالسلطة والثقة الفائقة كونه مليونيراً ولم يتخط بعد

الثلاثين. لكن لماذا يدعوه نفسه طوم ريدينغ؟ ماذا سيفعل بها؟ والسؤال

الأكبر الآن هو كيف مستصرف بعد أن اكتشفت كل هذا؟

عادت الى غرفتها تعزم اختيار ذلك الغريب الساكن معها بكل ما علمته

منذ دقائق. لقد كشفت هويته الحقيقية لباري مع علمه بأن الأخير لن يتوان

عن اطلاعها على ذلك عاجلاً أم آجلاً، قيا الهدف من عمله هذا؟ سخر

منها طوال الوقت وكان مستمتعاً بذلك. انه يهوي التلاعب بالأخريين شأن

كل ثري يظن نفسه قادراً على أي شيء. ربما يولاً أيضاً ضائعة في

اللذعة... ألقها رأسها، فانقلبت الباب وجلست في سريرها تفكر في حظها

العائر. لا يجب أن تسرع في الانعزال، عليها ان تصرف بتعقل واقران حتى

تتجلى الأمور. ربما فكر طوم بمصارفتها واطلاعها على كل شيء حين

أعلمها بعزمه على التحدث عن شراكتها. قد يكون لاحظ جديتها في

العمل وتغائرها في الغامه، وأدرك ما تملقه من آمال على مهنتها هذه.

سمعت طوقاً خفيفاً على باب غرفتها لم تحرك عله يطلع عن محاولته

ويتركها وشأنها. لكنه لم يتوقف عن فرج الباب فأجابت بصوت خافت

مظلمة بالثوم:

« تغض.

فتح طوم الباب ووقف ازاءه يسأها:

« كيف حال الهندسة الالامعة؟

- بغير، شكراً.

- ما زلت شاحبة اللون.

استندت رأسها إلى حافة السرير وأجابت من غير أن تنظر إليه:

- لأن لم أخرج بعد.

- هل أنت مستعدة للذهاب إلى الشاطئ؟

إن الناح في الذهاب تستمع إلى ما يريد قوله. سيطلب نصيراً مفعلاً لانتخاله أمراً آخر.

- احتاج إلى عشر دقائق لأكون جاهزة.

- حسناً سأنتظرك في الحديقة.

ارتدت ثياب الباردة وعقدت منديلاً آخر حول عرقها، ثم طلت وجهها ببعض المساحيق، فأحسنت بالانتعاش. ثم تزلت لتجده في انتظارها قرب الباب بعدما أحضر سيارتها معه من الكاراج وأوقفها أمام المدخل. فتح لها باب السيارة باحترام واللغة ثم جلس في مقعده وراء المقود. لم تكن قادرة على القيادة، فبداها حفل بالمقاجات ومن الأفضل أن تكون أعضابها هادئة حين تصل إلى الشاطئ. تستمع ما سبقه. أدارت وجهها ناحية الشافذ تنظاه بالنظر إلى الخارج بينما كانت في قراءة نفسها تفكر فيه. تستاءل أن كان هناك دراجة هوائية أم أنه يخفي سيارته المخفية في ذلك الكاراج المغلق. شعرت بنظره ثقلها بين الحين والآخر وكأنه ينظر منها كلاماً ما. لكنها لم تحرك ساكناً خوفاً من أن تقصصها كلماتها.

أوقف طوم السيارة قريباً من الشاطئ. ونظر إليها بغيث يسألها:

- استيقظت في الوقت المناسب.

كان يعلم أنها لم تكن نائمة لكنها لم تعلق على كلامه، بل نظرت إلى ما حولها تتحصى المكان. أنه مطابق لما رآته في حلمها قبل أن يرن الهاتف وتتلقي تلك المخاطبة التي أفسدت كل شيء. وحدهما كما في الحلم تماماً، يتكلمان هذه البقعة الخلابة بسماواتها الصافية وشمسها القبلية على الغيب. ليتهما لم تدرك الحقيقة ولم تعرف ماذا يفكرها. مد طوم يده يساعدها على الرجل قبلتها شاكراً، وبدأت نزهتها على الرمل الدافئ تحت أعين طيور البحر ووصولاً قرب صخرة ضخمة، وصمت ظلاً كبيراً حولها

وافترشا الرمال.

- والآن لنبدأ حديثنا المنتظر.

نظرت إليه مستفهمة:

- عن شراكتنا، أليس كذلك؟

حقق إلى البساط الأزرق الممتد أمامه يرافقه مركباً شراعياً صغيراً، ومضت ثوانٍ طويلة قبل أن يجيب:

- لم أفكر بالكلام عن العمل.

أوركت فعبده فتوروت وجشاعا، فهي تعلم أن ما يقوله يتعلق بها ويعلاقتها. كيف يمكن لرجل مثله أن يفكر بالأهتمام بفتاة مثلها؟ أنه حطها العائر ما يروح يلاحظها ويرمي الحراقيل في طريقها. لماذا هي بالذات؟ وماذا ستفعل بولا كافيل حين تعلم بالأمر وتكتشف علاقة رجلها بموظفة لديها؟ قد تفردها من العمق وينبذ حلمها بالشهرة والثروة. أو تتحدى في غيرها فتسرق من يفتلها أو يشوه وجهها. ستكون الخاسر الأكبر في كل ذلك، وستنتهي تجربتها الثالثة مع الحب كما انتهت تجربتها السابقة، إلى الالم والدموع. زملمته بنظرة باردة قاتلة يجمدها:

- ماذا تقترح إذن؟ ... علاقة غرامية؟

رفع حاجبيه بزهو وأجاب:

- ألا توافقين؟

أحسنت أنه يعتمد الهزء بها، فهو يفتلها بلهاه وربما كان على حق في ظنه هذا.

تهضت كنين منه ثمار كهربائي وصاحت:

- لا شكراً. أعلم أنك لا تواجه مثل هذا الترفض مع صديقائك ولكن

الامر يختلف معي، فهو معقد للغاية ولا أظن ...

أوشكت أن تقول أن الامر لن يعجب السيدة كافيل لكنه لم يدعها تكمل

بل قاطعها قائلاً يصدق وجدي:

- سألتك الموافقة على الزواج مني.

- والآن حان وقت الاعتراف.

فجأة ارتفع مصخب البحر وأحست وكان الأمواج تتلاطم على صدرها بدلاً من أن تكسر على الصخور.

- أنا جائس فتون.

صاحت ليز من غير وعي تقتصر في رفضها عذاباً شئ طريقه بوحشية الى اعماقها:

- لا... مستحيل.

لا تريد ان يكون احداً غير طوم. غير ذلك الانسان الذي اتساعا جروح ماضيهما، وعلم شقيتها الانسجام من جديد. ترفض ان تضيحه فتخر حلم الطفولة من جديد.

- هذا غير معقول. انك تهزء انت البستاني. اليس هذا ما قلته لي؟ توفقت عن الكلام وكأنها ادركت عقده في هذه اللحظات ونظرت اليه بتوسل تستجديه ان يقول لها انه يزور او انها في حلم. لكنه ظل صامتا كليا الصخرة الجالسان في ظلها ثم قال:

- قلت بانني طوم ودينغ، لأنني لم ارد أن يعرف أحد مكان.

- احمد... مثل بولا ام ماري ايعونديز؟ لماذا لا تريد ان تغير السيفة كافي؟

اجاب بيرة خالية من اي شعور بالندم أو العاطفة:

- لأن علاقتنا قد انتهت وليس هناك ما يمكن قوله بعد الآن.

استد ظهره بتوجيه الى الصخرة تاركاً ليز تتخبط في بحر من التساؤلات غير مصدقة ما تسمعه افئذها. ينظر الى يده ترتاح قرب يدها برسب بالرغم من اقدامه على عرض الزواج عليها.

- بدأت منذ فترة اتساءل عما سأفعله بهذا المكان، هل امرضه تلعب، احوله الى فندق ام اسكن فيه؟ سأفتح مصنعاً جديداً للخرسانة الجاهزة في ويلز قبل نهاية السنة.

ثم يعن لها المصنع الجديد بقدر ما فعل كلامه عن تيرجيلين:

- انت تملك تيرجيلين؟ عشت ان بولا صاحبة العقار.

- لم افكر ايدياً بان احب تيرجيلين. عدنا عن ان علاقتي ببولا لم تكن وثيقة الى هذا الحد.

٥ - زواج بلا حنان

لم تتوقع ان يعرض عليها الزواج، وأحست ان الأرض تدور بها بسرعة فكاد أن يضي عليها، فاستندت الى الصخرة وراها مغمضة العينين تعيد في فكرها كلمات. لا شك في ان باري على خطأ لا بل هي، والفة من ذلك. لا يعقل ان يقدم جائس فتون على عمل كهذا فيطلب يدها ولم يحش على تعارفها اسبوع. انه طوم البستاني الفقير والباحث عن زوجة تشاركه وجته المتواضعة واحلامه الناعرة. انه من النوع الذي يحب بسرعة ويفتش عن الاستقرار مع اول فتاة يصادفها. ثم يترك ساكتاً. ظل يحدق فيها بجذبة ارتسمت بوضوح على تعابير وجهه:

- هل توافقين؟

خائفاً شغافاً وعصياً أوامرهما مشرحة على الشك الكامن في نفسها ولم تشعر الا وقد ثورت هامة:

- نعم.

انه ضرب من الغباء قد يؤدي بها الى نتائج لا تعرف حقيقتها. تسرعت في ردها وكان قوة مسحورية التزعت منها هذا الجواب. انها سهام الحب اصابتها في غير موضع فأعصى سبل العاطفة بقصرها فأعادتها على مسمعه ما كان يتوق الى سماعه:

- نعم، سأزوجك.

تغيرت سمته فجأة - فيها شاباً في مقتبل العمر، بشرق الوجه، فعل جواباً فعله في نفسه وعما أثار سين ماضيه عن عياد. وكنت عياد يبرق وانفص وقال مبتها:

ابتقت ليز الآن ان هذا منزله بالرغم من اختيار بولا لتصاميمه وقطع
اثاثه. انتهى كل شيء بينهما وانطفأ انهما بالزواج والسكن فيه وبقي الأمر
سراً حتى عن ماري ادموندز السكرتيرة المقرية من بولا. ما زالت تذكر ما
سمعتة عل الخلف يوم خاطرت ماري لتسأل السباح بيده العمل قبل
الموعد المقرر. نظرت الى جايمس متوضعة:

- اذكر ان ماري حدثني عن شخص مؤول من تيرجلين. فمن هو؟
- انه جيم اوين وهو يدير شؤون المزرعة الواقعة في اول الطريق.
- اذن، لم يكن طوم ريدبنغ.

- كلا.

- لماذا اخترت هذا الاسم؟

- انه الاسم الوحيد الذي خطر ببالي.

- اليس لطوم ريدبنغ وجود؟

- لا ادري.

عادوا الشعور بالحسوة مزوجاً بالآلام خفيفة ناتجة عن تعثرها ،
واصبحت براسها يكاد يتفجر ويكتفها يني من وطأة التشنج. رفته بنظرة
شك مستعبدة في عيولها المشكلة التي تقلق راحتها:

- سألني الزواج منك؟ برك لماذا فعلت هذا؟

نظر اليها بعينه الداكنتين بفشوها غموض قلبي:

- اني بحاجة الى زوجة، وأنت بحاجة الى من يعتني بك.

ما من قوة على الأرض تقدر على اقناعها بانك جايمس فتون يريد الزواج
حياً بفعل الخيرة، فظالت بهكم واضح:

- يا لك من فاعل خير!

اوتسمت على نغره ابتسامة ذكرتها بطوم:

- اعتقد اننا ستكون زوجين مثاليين وسعيدين فأنت انقضيت لي مرة
باعتبارك الشديد بالعيش في تيرجلين.

- ومن يرفض العيش هنا طبعاً تيرجلين يحتاج الى ربة منزل، ولكن
العيش في هذه القرية النائية ليس خاتمة احلامي.

لم يأبه باعتراضها وكأنه لم يسمعه:

- متكلمين عملياً، عدد عن حصولك عل فرض الفضل لكونك

زوجي. فهذا من شأنه ان يشرع الباب واسعاً امام عجالات هائلة من
الاعمال. سأعمل على تشجيعك ودعمك مادياً.

انه عرض مغر لكها ما زالت تبحث عن اجوبة للكثير من الاسئلة
المتصاعدة في رأسها:

- لكن لماذا اخترتي اننا هناك العبد من النساء اللواتي...

ومرة اخرى لم يدعها تتم عبارتها. وسارع الى القول:

- يتزوجون معذكات فتون. نعم، هناك الكثير منهن. ولكنك كنت

عازمة على الزواج من طوم ريدبنغ.

لم يعد لصاحب هذا الاسم وجود وحل مكانه جايمس الذي لا تعرفه
عنه سوى صورة من الماضي يوم وصلت الى تيرجلين وذكرى اسبوع جيل
قضته مع بستاني رائع وجدعان صاعدة. كل ما اخبرها اياه حتى الآن عرضة
للشك. بدا وكأنه يقوم بتأدية دور معين في مسرحية حاكت قصوها بد
تريض بها شراً وتريد اذلالها ولطمعها.

امسك جايمس يدعا يداعها بحتان اشعرها برعشة خفيفة سرت في
اتحاء جسمها. رعدة مزوجة بالآلم، مجبولة بالأمل.

- فتمت بكوني طوم. ولقيت لو تقول أيام الاسبوع، ستتم الخدايح
والنفس وأقدر اخلاصك واستغاثتك وسعيتك النوب وراء لقمة العيش.

لم ينفوه بحرف عن الحب كما لو كان يعرض عليها العمل في شركته.
- لست مطمئة الى ما يحدث.

- امتحني الأيام فرصة اخرى وهي الكفيلة باصلاح كل شيء.

كونه رجل اعمال فقد اعتاد المجازفة يوماً. اما هي فلم تعد تجرؤ عل
تحدي الرس او مواجهة الأنداد. تعلمت درساً في حياتها ولن تعيد الكرة
ابداً.

- اننا نتكلم عن الزواج.

- واعتقد ان امكانية نجاحه كبيرة، ولن يعني قشة نهاية العالم.

المرث ليز الفارق الكبير بين نظرتها الى الزواج، انه يعتبره ضرباً من
ضروب المجازة التي اعتاد القيام بها، فأجابته ببأس:

- لا اعلم...

- ومن يعلم اذن؟ ما دعينا نهجل بعضها نحن الأفضل ان نعتبر علاقتنا قد

بدأت منذ الآن.

لم تقدر على الموافقة، الخوف في داخلها يكيلها ويحذر أحاسيسها.
أربكها اعترافه وأفرغها كلماته فيات خالته وجلة تدور في حلقة مفرغة.
- علي ان اكون في لندن غدًا والأسبوعان القادمان حافلان يواعد
عمل متلاحقة. لكنني وجدت الحل المناسب، اسمي رحلة عمل لمدة شهر
كامل وبمكائنا ان تزوج وترافقني - سنزور باريس، بروكسل، امستردام
وهامبورغ. لن يكون شهر عمل بكل ما للكلمة من معنى - لكنك سبق
وقلت انك تتوقن الى السفر.

- اهذه يعني اننا سنزوج بعد اسبوعين؟

اجابها بلهجة الواثق من نفسه، الواثق من حصوله عليها:

- اجل - ابن تودين ان نحفل بزفافنا؟

لم تقو على الاعتراض فتمتعت:

- في بلدي على ما اعتقد.

في المكان الذي ظنت انه سيشهد زواجها من باري. لكنها لا تستطيع
ان تزوج هذه الرجل بعد اسبوعين، ستقلب حياتها رأساً على عقب، ان
هي أضحت زوجته. اولئك الاختلاف بنفسها ولو لدقائق في غرفتها
فقال:

- يجب ان اعود الآن، هناك اشياء علي الحجازها.

- سأعديك في الصباح.

وارتست على شفيتها ابتسامة مصطنعة:

- علي حواجبك؟

- ليس تماماً.

احسنت ان الحواجز الذي كان بيتها وبين طوم قد تحول الى عشرات
الحواجز الآن، بالرغم من ان ابتسامة التحب لم تقاوم. انه انسان غريب
الآن عرفته منذ دقائق فعرفت فيه الرجل الناجح ذا السلطة المطلقة، وهي
منذ صغرها نكره النفوذ والسلطة. انه يبعث الخوف في نفسها، من القاضي
الذي ما يرح بقلق حاضرها ويحذر مستقبلها.

- اعتقد ان والدك لم يكن يستأجر.

- الى حد ما، لكن لم يكن هذا مورد رزقه.

- وماذا كان المورد؟

- ممتلكات فتون.

انه محظوظ في عمله فتجح فيه بفضل الميراث الذي خلفه له والده. على
عكس باري مايسون الذي اضطر لان يبدأ من لا شيء. حتى استغلها
واستثمر ماله.

- هل لديك عائلة؟

- كلا.

لم يكن باستطاعتها التفكير بأي شيء آخر بالرغم من مئات الأسئلة التي
عليها طرحها، ف قالت بلهجة المغلوب على امره:

- اني أسفة. احسن وكان لساني ممتود ولا استطيع تقبل الوضع الجديد.

- هل كانت الصدمة قوية؟

- اجل. كنت تملكيت النبا بطريقة مختلفة لولا التورم في رأسي.

- مر عليك الكثير اليوم. كان علي ان اخبرك من قبل. . . انا أسف.

انه الرجل الثاني الذي يعتذر منها اليوم بعد باري مايسون. ماذا سيكون
وقع نيا زفافها من جاكس عقبه؟ وعلى كل من تعرفه؟ سيكون وقع المفاجأة
عليهم قوياً للغاية، لكنه لن يكون اقوى من وقعه على نفسها.
بعض طوم ماذا يدع نحوها؟

- تعامل.

- الى اين؟

- لستأول البقاء ونحفل.

سأنته بمرود:

- ماذا اتأديك؟

كان يسير امامها متجهين نحو السيارة من غير ان يسكها او ينظر اليها:
- بما يحلو لك.

- هل الجميع ينادونك جاكس؟

- ليس الي كان لكن هذا هو اسمي.

لن يتمكن بعد الآن من مناداه طوم كذا وأنها ستجد صعوبة في مناداته
جاكس. انها تفضل ان تناديه السيد فتون ولكن الامر يبدو سخيفاً بعد
ان قبلت ان تكون زوجته. ستعود بعد فترة عليه وتحاول تسليان البستاني.

مترددة عندما تكون يفردها اسم جاييس الى ان تصبح قادرة على لفظه بطريقة راجحة لا تضمن فيها.

جلست في المقعد الأمامي بجانبه تحاول معرفة الضالعين في الزاوية:
- من يكون السيد جيليان؟

- انه سكوتيري الخاص، ابن تودين الذهب؟

- لا اعلم، ابي مكانك في الجوار، فأنا لا اعرف هذه المظلة.

عظم جو الصمت من جديد يهرباً بشعور بالضجر احسب ليز ينقله،
انه ينتظر منها ان تكلمه وان تنفذ خطتها معاً من براثن الملل. لكنها
احسبت لأنها لم تجد ما تقوله. اوقفت جاييس السيارة امام فندق صغير
مقترحا:

- لتعرب هذا المكان.

ترجلا من السيارة بنقصان التزميل عن ثيابها وشعرها، وعند دخولها
ودعة الطعام وقتت ليز تنظر جاييس وهو يتكلم مع المضيف عن المظلم.
احسبت بالبرودة هنا بعيداً عن اشعة الشمس، لكنها لم تأبه لذلك بل راحت
تحدث في الجدران المزخرفة باللون الأخضر مع خلفية فضية، وتعمل في
مخيلتها على تغييره. لم يكن السبب فيج الألوان بل لأنها لم تجد شيئاً آخر
للمعده. لم ترتبك وهي تقف في وسط القاعة، عذبة هذا الحشد بل كانت
هادئة منسجمة الى عملها الخيطي الى ان لاس فتون كتنها:

- تهربت طابولة مريجة.

تعبت ليز من كيفية عشوه على الطاولة بالرغم من ان المكان يعجب
بالزينة:

- لا احبلك فلك هذا المكان ايضاً.

- كلا، كلا؟

- هل تتردد الى هنا باستمرار؟

- كلا.

لم يحاول الاستفهام عن سبب طرحها هذه الأسئلة، وكان الأمر لا
يعنيه، لقد اعتاد معاملة الناس له بطريقة مختلفة. انه جاييس فتون الليونير
وصاحب الشهرة الواسعة في عالم الصداقة. اينما ذهب تشير الاصابع اليه
ولا يحجب من لحلي الخدم الآن حول طاولته ينتظرون اشارته منه للقيام

بخدمته. بالرغم من ثيابه الرثة فقد عرفوه وأدركوا اهميته. قوة شخصيته لا
مثلي فما يستطيع من خلالها السيطرة على الناس وقرض عليهم ما يريد.
لاحققت ليز نظرات الزبائن اليه. انها برفقة شخصية معروفة خاصة
وانه سيفتح مصنعاً جديداً في المنطقة. احسب انها وحيدة، غريبة عن
عيونهم بعيدة عن اهتمامهم. لا يبالى احد بها، فراجت تنظر الى نفسها في
مرآة قريبة لادعة على امامها لبسها اليوم. فثت انها سيلقيان الى الشاطئ.
فلم تنال سوى مما سمعته من جاييس، حتى شعرها تنبت ان تصفقه.
وصيحت تنبها بالقيحة وهي تنظر في المرأة ثانية، متسائلة عن كلفة عملية
تجميل قد تضطر لاجرائها في المستقبل. . .

ما ان اقتريا بالسيارة من مدخل المنزل حتى سمعا زبون الخائف. قد
يكون باري حاملاً لباً جديداً لكنها سترفض التكلم معه مهما كان الداعي.
ترحل جاييس بسرعة من السيارة.

- ساري من على الخائف.

ظلت في السيارة تنتظر ان يعود ليخبرها ان المكالمة لها. للمرة الأولى
تسبح لها فرصة النظر الى تيرجلين من الخارج، انه يشبه مائكة، فيه شيء
من المشوخ والسلفة. فكرت بيولا وبردة فعلها عندما تعلم انها خسرت
هذا القزول الرائع. كانت تحبه وتتكلم عنه وكأنه منزلها. انها ليست من
الغواني يتخاضون عن الحسارة خاصة اذا كانت قاذرة وتتعلق بشيرجلين
وجاييس فتون. ستصبح عدوة لاية امرأة اخرى تحظى بحب جاييس، ولم
تفكر ليز بنفسها وكان الأمر لا يعينها. لم تصبح زوجة بعد وربما ان تحمل
هذا القزول ابداً. خرج جاييس ينزل درجات الشرفة بسرعة، ففتحت باب
السيارة معتقدة انه عادها لتلود على المكالمة. لكنه فاجأها بسؤاله:

- هل انت جاهزة للمرحيل فوراً؟

- فوراً؟

- كان اشحدث ووبريت جيليان. ان اواصلك الآن الى شنتك يصبح
بامكان السفر في الصباح الباكر.

- السفر الى اين؟

- الى لندن حيث علي ان اكون غداً.

- استطيع ان اذهب بمفردتي الى القزول.

- لا أريدك أن تغودي السيارة.

احسنت بأنه لا يريدنا أن تبقى معه ولم تشأ أن تكون عاتقاً في طريقه أو سبباً لأزعاجه.

- سأحزم حقائبي.

صعدت الى غرفتها الصغيرة حيث راحت توجب حقيبتها. لا تريد ان ترحل الليلة، فيكفيها ما مر عليها حتى الآن. تنفض لروثني لياقتها هنا تدفن تمهيداً في هذا السرير الصامت بعد ان تستحم.

نزلت الى الطابق السفلي حيث كان جانيس ينتظرها في مكتبه وقد اضاءه الأنوار. وجدت الباب مفتوحاً ورائته يتكلم على الهاتف. لم تكده تصل الى الباب حتى افعل السماعة يسألها:

- جاهزة؟

- اعتقد ذلك.

- يمكنك الحدود الى الراحة في القعد الخلفي.

- سأستمتع بذلك.

لم يبد عليه انه لاحظ تيرة التهكم في كلامها، فحمل حقيبه وسار أمامها صامتاً. فوجئت ليز ياخذها سيارتها لتحل محلها سيارة فخمة برفقة. نزلت العرجات الياقية على مهل نواقبه يضع الحفائب في الصندوق الخلفي، ثم سأله:

- اين كانت هذه السيارة؟

- في المرآب الخقل.

جلست في السيارة غير مصدقة ان ما يدور حولها حقيقي، وقالت مستظمة:

- ماذا حل بسيارتنا فانا احتاجها للتجول.

- سأندبر ايصالها الى شقتك غداً.

- ارجو ذلك.

توقفاً في طريقها في إحدى المزارع عند سفح التلة حيث امير جانيس السيدة جوين ايفانز التي فتحت الباب، ان المنزل عاد شاخرة من جديد وبامكان السيد ايفانز ان يعود الى عمله كالعتاد.

كانت رحلة هادئة، فضلت فيها ليز الجلوس في القعد الخلفي هرباً من

واجب الكلام. ليست فائقة على قول اي شيء. اما جانيس فقد علق في بادئ الامر على جمال المناظر المحيطة بالطريق ولم يتفوه بعدها بكلمة. عند انجذابها من بلدتها همت ليز بارتشاده الى الطريق المؤدي الى منزلها، لكنه انهج مباشرة الى الفندق الكبير عند مدخل البلدة وأوقفت السيارة في باحته قائلاً:

- سأؤكد من انهم حجزوا لي غرفة. لن اناخر.

عاد جانيس الى السيارة من غير حقائب وسارا من جديد توشده الى الطريق، دلت على مكتبها عند مرورهما بمحلاته.

- انه هناك، المائدة الأخيرة فوق المحل. انه صغير لكنه يتسع لي ولأخراصي القليلة.

ثم هضت مشيرة باصبعها الى نهاية صغيرة متواضعة:

- لقد وصلنا، اثنان من تلك التوافذ تابعتان لشقي.

مابعداها جانيس في حل حقيبتها الى الشقة حيث التقطت ليز قبل دخولها رستين ويطافه، لا بد وأن أحد الجيران قد دسها تحت بابها، أو ان ياري قد جلبها معه أثناء بحثه عنها يوم امس. انزكت من الكتابة على الرسالة التي بها من احدي صديقاتها، فوضعتها على الطاولة مرجحة فرائدها الى وقت آخر. اما الثالثة فكانت ايضاً من شركة الكهرباء. لاحظت نظرات جانيس الفاحصة الى ارجاء الغرفة فليبرته قائلة:

- شقة متواضعة تتناسب مع راتي. هل احضر لك القهوة؟

اقترب منها تمسكاً بذراعها وقرباً من صدره قائلاً:

- لذي اعمال كثيرة عليّ انجازها هذه الليلة، من الأفضل ان اعود الآن الى الفندق وسأراك غداً، قبل رحيلي.

- حسناً، وأنا ايضاً، لدي ما انجزه الليلة. سأكون بانتظارك غداً صباحاً. وحاول ان ترتاح فأمالك اسبوع زاهر بالأعمال.

عانقها كما فعل مرة على الشرفة في تيرجلين، يوم كان طوم. عناقاً سريعاً ناعماً اشعرها هذه المرة بشيء لم تحسه من قبل. انه حقاً يتمتع بخبرة مع السيدات تجعل من الصعب عليها تسليات تصرفاته معها لفترة طويلة. - سأراك غداً.

خرج نازكاً ايها في وسط الغرفة، غارقة في فيض من الأحاسيس لا

ثوبها ان تنهي ابدأ.

ما وجدته في داخلها تغطي كل ثوباتها. شيك مزيل بتوقيع جايمس
ومسحوب على احد المصارف القريبة من شقتها. ومرفق بورقة صغيرة
خطها جايمس يده. لهم وجهها فجأة. فرمت الشيك على الطاولة تساهل
عن معنى الرسالة. امو بدل اتعابها في تيرجلين، ام تمويض ماتني عن
فشلها في الحصول على لبس البسة فتيين. ادابت ظهرها لروبرت تقرا
الرسالة المكتوبة على عجلة لكن معروف واضحة:

- عزيزي ليز... اضطراري للسفر باكراً متعني من رؤيتك. اقترح ان
يكون موعدنا في التاسع من الشهر القادم، الساعة الحادية عشرة في وار
الععدة هنا. الشيك كأمين احتياجتك ومستلزمين سيوزلك اليوم.
سأحصل بك هذا النساء. الى اللقاء. جايمس.

لم تصدق ما قرأته فاعادت الكرة ثم التفتت الى روبرت بتفحص لوجه
زينة قذبة وسالت:

- هل تعلم مضمون الرسالة؟

- اجاب من غير ان يلتفت اليها:

- اجل. شاي الحارة يا آنسة لانا.

- شكراً.

ثم نشأ مناقشة امر شخصي كهذا مع احد موظفي جايمس. لكن الامر
بأكمله غير منطقي. هل يتوقع جايمس منها ملاقاته بكل بساطة حسب
الموعود؟ نظرت الى روبرت بظرف عيها. لم يكن صادقاً في جنبه لها. فلم
تلمح على تصرفه فقد عرف يولا ولا شك في انه يؤمن بأن جايمس اصيب
بس من الجنون جعله يفضل ليز لانا على يولا كاتيل.

سألتها سكرتير جايمس بقول:

- هل باستطاعتي مساعدتك في شيء ما؟ ستغادرين بعد الزواج مباشرة
على ما اظن. اذا صادفك مشكلة...

لديا مشاكل عديدة لكن لا علاقة لها بلبستها ففادته متصعة المذوء:
- لم افكر بعد في كل هذا، والان هل تسمح لي ياكنال فطوري؟
اخرج من جيب ستره بطاقة بياض صغيرة وضربها على الطاولة امامها:
- بكل تأكيد. هذا رقم هاتفي ان احتجت لشيء. سيحصل جايمس بك
في المساء. هل بإمكانك الحصول على جواز سفرلك؟

لم تنظر حتى الآن بجذبة الى عرض الزواج، وتوقعت ان يزورها غداً
وقد تراجع عنه. وان لم يفعل مشياده مديورها الى السؤال عن سبب ثقته بها
وبقهرها على ان تكون الزوجة التي يحتاج، ما دامت هي نفسها غير وافقة
من ذلك. ميتهما الجميع ياتخون لاضاعتها فرصة كهذه ان رفضت
الزواج منه. لكن الرهان صعب والمعارفة خطيرة، ولن يدفع سواها لمن
قتلها. سيحول حياتها جحيماً ان عذته. حضرت فنجانا من الشاي
وتعددت تقرا الرسائل المرسلتين من موزان مديتها منذ ايام الدراسة.
كثرت تجربها عن النساء الذي تعيش مع زوجها وتحسها على ميتهما وعلى
بذلهاا عطفية حرة من قيود الحياة الزوجية ومشاكلها. في الحاجة تحذوها من
الزواج بالرغم من حسنة الزايفة. لم تكن تنتظر رسالة كهذه كي تحذر
الزواج. فاعرف موجود منذ البداية، الخوف من الفشل ومن الصدمة. لن
تتحمل كارثة عاطفية اخرى في حياتها لانها على يقين من انها ستكون
القاضية.

رئت المرافضا في الحزن ثم خلعت ثيابها وارتدت عباءة حريرية
ابتاعها منذ فترة طويلة من احد المحلات الشرقية في ويزر. تلبدت على
سروها تشد قليلاً من الراحة بعد هذا النهار الحافل، وتناولت مجلة
تصفحتها على ذلك ينسها صداها.

شمرت بالنعاس بعد فترة. فانسلت تحت الغطاء برفق مشجبة الانكاه
على كتفها الذي ما يروح يولها. حاولت ان نظره صورة جايمس من غيلتها
لكنها لم تستطع عاودها احداث النهار بتسلسل بطيء فاقفلت راحتها ولم
لها سوى ساعات ليلية من النوم. حطمت في الصباح تناول فطورها حين
سمعت جرس الباب يقرع وفوجئت بروبرت جيلان واقفاً امام شقتها
معتزلاً:

- انا آسف لازعاجك في هذه الساعة. هل بإمكانك الدخول؟

دعته للدخول وما ان اقبلت الباب حتى ثاولها رسالة مخترمة قائلاً:

- كلني جايمس بالاعتذار منك نهاية عه لاضطراه الى الرحيل باكراً.

فطعت ليز الرسالة ببرودة. توقعت ان يأتي جايمس بنفسه ليخبرها
بموتوله عن رايه. ولكنه ارادى على ما يبدو اطلاعها على الامر خطياً. لكن

ما يزال جوارها في حرج المكتب، فقد هبته لرحلتها، أتت لم تبصر الفود
الى اسبانيا. ناولته اياه من غير ان تنفذه بكلمة. فقال مودعا:
- شكراً. طاب يومك يا أنة لانام.
- مع السلامة.

ما ان تأكدت من رحيله حتى اسرعت الى التقاط الشيك وربته مع
الرسالة في حرج مكتبها وأفلته حاسية كرهها في داخلها. احست بحاجة
متانة الى من يخبره بما يحصل. الى انسان ذي عقل راجح يتفهم وضعها
وحالها شعورها، قادر على اسداء النصيح اليها وعلى الحفاظ على السر.
لقد حرج الأمر من يدها ولم تعد قادرة على تحمل المزيد. بريارة كات
الاسم الوحيد الذي فكرت فيه، منذ ان بدأت عملها في متجر زوجها التي
اظهرت هذه المرأة اهتماماً زائداً بها وبموجبها وشجعنها على الاستمرار.
وعندما قررت العمل بمفردها كمصممة ديكور عدلت بريارة بمساعدة
زوجها على استئجار غرفة لتكون بمثابة مكتب لها. توصلت صداقتها مع
الأيام وغدت السيدة كوكي صديقة ليز المفضلة. دأب التي كوكي بعد رحيل
ليز من متجره، على ارشاد زبائنه الى مكتبها، ومن جهتها اعتادت ليز
الحصول على حاجاتها من معدات عن طريق متجره. افرجها كثيراً بما
حصول ليز على العميل في تيرجلين وادراها النجاح بصدق ونجحة كعادتها في
كل مرة ينسجم لها الحظ. كانت بريارة في المتجر عند دخول ليز، فهدعت
ملاقاتها، بجسمها المكتنز وشعرها الأسود الأملس والمشدود الى الوراء،
مرحبة:

- اهلاً يا ليز، ما هذه المفاجأة الحلوة؟

اكتفت ليز بالابتسام وأفركت بريارة ان هناك ما يزعجها، فخلل وجود
ليز في تيرجلين، اتصال باري بها مرات عديدة محاولاً تسقط اخبار صديقتها
المفقودة من غير جدوى. فبريارة طلتها بمضربان العطلة سيواء. وعندما
عاودت الاتصال به، اخبرها ان ليز ذهبت الى ويلز، قيات تنتظر مشكلة
منها للاطمئنان عليها.

- ماذا يجري يا ليز؟

- يجب ان احدث اليك في امر هام.

- تعالي نصدد الى فوق.

انتقلنا الى الطابق العلوي حيث تسكن بريارة وزوجها، وجلسا في
غرفة فسيحة تطل على الشارع الممت. توقعت بريارة ان يكون باري
موضوع الحديث:

- هل من مشاكل مع باري؟

- كلا. تعرفت الى رجل آخر منذ اسبوع، وعرض علي الزواج.

مرت ثوان استغفمت بريارة بعدها:

- اخبريني عنه.

- لن تصدقي ما سأقولك يا بريارة، انه جذاب شكلاً ومالاً.

هضت صديقتها بحماس:

- خبير رائع.

- واكثر من رائع، انه جاكيس فتون.

سمعت بريارة ان ليز تعمل على تحضير تيرجلين لجايس فتون المليونير

وزوجته اللطيفة بولا كافييل، قام ثيس بيت شقة تنتظر ايضاً من ليز

- مضى على وجودي معه في تيرجلين اسبوع واحد. توصلت صداقتنا

الى ان اخبرني البارحة بأن علاقته ببولا قد انتهت وعرض علي الزواج

صاحت بريارة بلهول:

- صحيح؟

لو اخبرتها ليز بما جرى لمسهل الأمر عليها وزالت علامات البهشة عن

وجهها. لكنها كتعت حقيقة العقد بينها وبين جاكيس قائلة:

- قال انه بحاجة الى زوجة بعد ان مل من مهاترات من حوله وريائهم.

انه معجب بتزاهي.

اكتأت بريارة على حافة المقعد لتحق في ليز:

- وأنت، ما هو شعورك؟

- لا ادري، اظن اني خائفة. سنعقد قراننا بعد اسبوعين.

- هل هو هنا؟

- كلا، لقد رحل ولا اعتقد اني سأراه قبل الموعد، لا ادري ماذا العمل

قالت بريارة بجديّة تشبه الأمر:

- تزوجيه. لن تسخ لك هذه الفرصة مرة اخرى.

- اعلم ذلك.

.. ان شاء الله علق فتون في شبكتك. انه رجل يحفظ لاختياره اياد
روحة له. هل سيتم الرفاف هذا؟

لم تلتك ليز يوماً صديق شعور برعاية زوجها. وهي وثقة من ان فرح
صديقها الآن ليس زائلاً بل انعكاساً لما يحصل في داخلها.

.. هذا ما قاله. لكن لا تجري احداً بالامر. فلتست وثقة حتى الآن من
صديق جاريه وما زلت انتك في انه يقوم بكل هذا لاشغال بار الغيرة في قلب
بول. املاً في عودتها اليه عند عيشها بقرارها.

لم تمر برعاية بتجربة مماثلة. لكنها تدرك ان لا شيء مستحيل عند رجل
لأنه مثل جانيس. هذا النوع من الأشخاص لا يتوان عن فعل اي شيء
لحل حربه وحتى استغلال الآخرين والتلاعب بهم منهم.

.. من المرجح انه قطع علاقته ببول شخصاً من رايها وتعرفها. بعد ان
ادرك حاجته الى شخص مختلف قلباً من محيطه وبعد ان أجواءه السابقة.
شخص يمكنه التمكن اليه. فلم يجد افضل منك اهداً هذه الثقة. لا تنسى
يا عزيزي ان النوع الذي تتجهن اليه يصبح نادراً في ايامنا هذه.
ابتسمت ليز قائلة:

.. انت نعم الصديق يا بريارة.

.. انظر إليك يا ليز.

لم تشاطر ليز في قرارة نفسها صديقها الثري. فهي تعلم ان لعرض
جانيس الزواج منها اسباباً ودوافع تختلف عن التي اعتبرها بها. والحب
الذي تؤمن به بريارة وتعلم هي به. ليس احد هذه الاسباب أو الدوافع.
انه رواج لا عاصفة فيه ولا حتان...

٦- قفزة في المجهول

بوخت ليز. حتى دحولها مكتبها. فالرسائل العديدة المشورة على
حالتها. انها تفضل تشايع صديقة أو معنوية بحاجة الى هدسة ديكور
والتي. حضرت كيف لزم مثل هذه الاتفاقات. فهي لم تحصل بعد على
عريس سفت من جانيس.

من عند من ان يكون لأن في ترحيل سبكتها في عملها وما هي في
مكتبها تتكلم في القدر. لا تدري ماذا يحصل لها من اعمال جديدة عليها ان
تخطى حد سفت. تتجهن الى ش تابه من وقتها أصغر أعمالها المراكمة.
أصبحت بحاجة منحة لسطح ولم تحصل من الراحة. فكشيت ورقة
صغيرة. تعتمد فيها عن تلقي المكائن وزيارات العمل. وضعتها على
صورتها وعادتك منحة الى شقتها.

ما توقف هاتفها عن الرنين طوال اليوم. أصدقاء فضوليون يسألون عن
حدا. قطع عداقتها حاري. فاجر البشر بسرعة ولا فائدة من نفيه بعد.
.. يعفون ان ياري هو صاحب القرار وقد اقبله بعدما تعرف الى فاة
حري في اسباب. تركتهم وقضهم من غير ان تأتي على ذكر جانيس فتون.
في مساء قامت بريارة برباتها. فطعمتها ليز عن الشيك والرسالة اللذين
سنتهما عن روبرت جيليان هذا الصباح. لم تكتم بريارة دهشتها لدى
فراغها واعجابها بهذا العرض الغري. ثم طلبت من ليز ان تصف لها
حسن ففادت:

.. اسمر جذاب. مروج القامة. لا أدري كيف اصقه لك. يشد اليه
حيون النساء منها كاذ حذاه. ومرد ذلك الى شخصيته القدة. انه من

النوع الذي يشاهد برفقة المشاهير، أمثال يولا كافريل.

- هذا ما يفسر صداقتها.

ون الملتف بجانب ليز فرفلت الساعة لتسمع جايس هاتفاً:

- ليز؟

- أجل.

- اعتذر لسقري المفاجيء. هذا الصباح. أيناسيك الموعد الذي حددته

لك؟

- أجل، أجل.

- حسناً، سأعود بعد عشرة أيام. إن حدثت التي يمكنك الاتصال بي

عن طريق روبرت.

طريقته الباردة في الكلام أعففتها لكنها لم تنفوه بكلمة، فأردف جايس:

- أفضل أن يتم الزفاف بحدوه كلي، فهل تمانعين في ذلك؟

من غير وعي وكأنها لا تملك شفتيها، فتمت:

- كلا.

- هل توافقين على تأجيل الحفل إلى حين عودتي؟ (ولم ينتظر ردها بل

أردف) كيف حالك؟

ظنت أنه لن يسألها عن نفسها أبداً، وأحسّت بصداع مفاجيء. شبه

بالذي أصابها بعد نعتها في تيرجلين. أجابت والغصة تخنقها:

- بخير... الحمد لله.

- هل زال الألم؟

كانت قد نزعّت الضمادة ولم يبق سوى آثار خدوش سطحية.

- أجل.

ليس الألم ما يشغل بالها بل تفكيرها بما ستقدم عليه بعد أيام معدودة.

ستزوج من رجل لا يبدو أنه يفرق بين الزواج وبين أي موعد في مفكرته.

- حسناً يا ليز سأفصل بك لاحقاً.

أعادت ليز الساعة إلى مكانها بعدما أفلت جايس الخط. سألتها بربارة

بحسرية:

- هل كان...؟

- أجل كان هذا جايس.

- يبدو أنه يتعاشى المكالمات الطويلة.

جلست ليز شاخصة إلى الشيك والرمال وقد وضعت فوقها فتجاني

الثاني وصمعت الفطائر تريد اغتافهما عن ناظرها.

- إنه يفضل عرساً هادئاً، وتأجيل الحفل إلى حين عودته من رحلة

العمل.

- أهذا كل ما قلته؟

- أجل.

- كأنه يعتقد صيفه. ماذا ستفعلين؟ الوقت يمر بسرعة وتأجيل الحفل لا

يعني أعمال أمور أخرى. عليك شراء جهاز عرسك وتبديل شاهدين، عدا

عن الأوراق الثبوتية ومشفة الحصول عليها. هل سيهتم جايس بكل هذا؟

- لا أدري. من جهتي لم أفعل شيئاً، ولم أقم بأية ترتيبات. فلأن لم أخبر

أحدًا سواك. سأكون هنا في التاسع من الشهر القادم وسنقرر عندئذ ما

يجب فعله.

لم تنجح إيمانها في إخفاء حزن صامت بأن في عينيها، فأردفت

متلعمة غير آبهة بمحاولات بربارة للتكلم:

- كلهم يتذكرون دوغلاس يابلي ويعتقدون أن باري خدعني وتخل

عني، تعلمت من الماضي ما فيه الكفاية ودفعت الثمن من دموعي وألمي،

فلا أريد أن أخيف مأساة جديدة إلى حياتي بسبب حماقة أخرى قد أرتكبها

فتجعلني موضع سخرة الآخرين.

أمضت ليز النهار التالي في متجر بربارة تشرف على طلي التواجهات

القديمة والانطلاق على أحدث تصاميم القفوشات، على ذلك بصرفها عن

التفكير بالزواج ورجائس. كانت تحب من يسألها عن سبب وجودها هنا

عوضاً عن ويلز، بأن العمل هناك توقف لفترة. لا شك في أن باري يعلم

بوجودها هنا، فحبطت نفسها على عدم تلقيها عجايزات هاتفة منه. أزالته

نهائياً من حياتها وساعدها في ذلك تفهم أصدانها لحالتها وامتناعهم عن

إحراجها بدعواتهم فسيحّن لها في المجال كي تغلب على محنتها. اتصل

جايس بها ثلاث مرات ولم تتعد مكالماته حدود التردد والمجاملة، مذكراً

أياها في كل منها بموعدها والتاريخي «- أمضت ليز الأيام، التي تقصّلها عن

الموعد، في شبه غيبوبة نفسية. ضباب كثيف من التشوش يخلف حواسها

مانعاً اباعاً من التركيز. وكان الأمر مجرد إجراء لا علاقة لها به، إلى أن اتصل جايس قبل يوم من الموعد ليقول:

« سألتك بك غداً قبل موعدنا بربع ساعة.

وسأنته بتلغيم:

« أما زلت تعني ما قلته؟

« أعني ماذا؟

« الزواج.

« هل تفكرين في التراجع؟

أدخلها كلامه فهي غير معتادة على ابتسام الخلف لها خاصة في الحيرة. أخذها مبرئين متالبيين، أما الآن فهو يفتح لها ذراعيه ضاحكاً يدعوها للاستفادة من الفرصة السانحة لجايس فتقول بطلب الزواج منها. ستقبل بما يقدمه لها وتدخل طالمة البغى المظلم مرة أخرى، لعل قنبرتها في الجهول تبدل بملح حياتها وتنقلها من الرتبة التي تصطبج بها. أجابت بشيء من التصميم:

« لا، لا أريد التراجع.

« حسناً، إلى يوم غدا. سأصطحبك في الحادية عشرة إلا ربعة.

« سأكون في انتظارك.

وقبعت الساعة بقتل. أمور كثيرة عليها القيام بها. أتفقت من ضياعها فجأة لتكتشف أنها لم تنس شيئاً حتى الآن. يجب أن تحرم حفاتها وتوضب ما يتكفيها من ثياب لمدة شهر على الأقل. تذكرت ما قللك من ثياب ومعظمها لا يصلح لأن ترتديها زوجة فتتزين القبور. لم يعد الأمر متعلقاً بها وحدها، ستصبح بعد ساعات أسيرة التقاليد وأولاد الناس وتعليقاتهم. الوضع الجديد، سيترغم عليها التعامل مع الناس والظهور أمامهم بطريقة مختلفة تلبي إمكاناتها الجديدة. ما زالت الثياب التي ابتاعها لرحلتها مع ياري في الحزاة. معظمها صالح فقط للزهات وللأعمال المنزلية، فأختارت بعضها وتخصصت ما لديها من أثواب للسهرة وأدرت حاجتها لشراء المزيد منها.

وضعت لائحة بمشترياتها، وعلى رأسها فستان العرس، غاي من أثوابها لا يصلح لحفل الزفاف، وتدارت سبابة الهاتف تطلب بربابة:

« هل تراقبتني للتسوق؟

شعرت بريارة بأن الأمر عاجل، فضجكت في سرها. اقرب الموعد ولم يظهر ما يدل على أن جايس يقوم بعدة ما. كتبت الأمر عن أصلقاتها ولم تعلم به سوى زوجها، وكانت عرات عديدة أن تصل بنتون لتستفسر منه عن صديق نوابه وتتخفق من جدية عرضه. أما الآن فأنها شبه مؤكدة من أن الأمر لم يكن مجرد هزاز ثقيل.

« الآن، بات الأمر وشيكاً.

« اعتقد ذلك.

جندت العروس حملتها الشرائية ما بقي معها من مالها الخاص بالرغم من حيازتها الشيك الذي أرسله جايس. فهي لم تضعه في حسابة المصرف بعد. خربت أن تحفص المبلغ الأكبر لشراء فستان عرس يليق بها، والباقي تنفق به عدداً من الأثاث تصلح للحفلات والدعوات. مشدو عكس ما يتصورها رفائ جايس، وستظهر لهم أنها ليست فقيرة.

والوقت بربابة إلى أحد المحلات الفخمة في إحدى الضواحي. لم يسبق أن دخلناه من قبل، بل كانتا تكتشيان بالزور أمامه نظران من خلال واجهته الفاخرة إلى الأثاث الرائعة المعروضة فيه، مبهوتين بأسعاره الخيالية. راحت ليز تستعرض الفساتين البيضاء الساحرة مستعنة إلى تعليق البائعات الساعفات حولها، كل منهن تعطي وأنها عذوة القاع ليز بالشراء. أما بربابة فالتصمت بهدوء لتدق مساعها الأسعار متفاهرة بالبحث عن ثوب لها.

صصت ليز على شراء الثوب مهما كان ثمنه، فالشامية زودتها بمذاعة مقابضة ضد تأثير الأسعار، فراحت تجرب ثوباً بعد ثوب إلى أن اعجبها واحد أبيض عليه زخرفة ناعمة على الكتفين وحول الرقبة. اختارت له قبعة حريرية تناميه وفطارين أبيضين يخطبان معتم ساعديها.

لم تستعن بربابة من كتم دعشتها طويلاً، غداً أن خرجتا من المحل حتى يادرتا قائلة:

« يبدو أن زواجك من مليونير قد أفدك صوابك.

« ألم تشتري ثوب زفاف جميل وباهظاً يوم زواجك؟

« طبعاً اشتريت ثوباً، وسأرتديه غداً لأثبت أني ما زلت وشيقة القوام كما

كنت منذ خمسة عشرة عاماً. لتكف عن المزمار الآن وتدير أمر شعرك.

قالت ليز بلهجة ناعية:

- قالت الأوان الآن على الاهتمام بشعري، سأغسله وأحلقه بنفسى عند عروقي إلى المنزل. ما أن أفكر بأنى عبيرة على الظهور غداً بشخصية مختلفة، حتى يتأثني الصداع والاضطراب.

أملت ليز من ثوب الزفاف أن يلهمي المادعويين القلائل عن التعليق على ضيقها وهزلها، وأن يلجم النسبة جيرانها عن القمصان والاضرابات. حتى شعرها رفضت أن تصفقه يد المزين خوفاً من أن يثير ذلك فضول صديقاتها فيأدرنها بالأسئلة والاستفسار عن سبب استعجالها، وحزم حقيبتها. عدا عن أن شعور غير زوجها من جاكس لم تون، سيحول منزلها المتواضع ملراً دائماً لرجال الصحافة والمصورين، وسيحرك شهية صحف لندن، التي اعتادت نشر أخبار يولا وجاكس في صفحاتها الاجتماعية، فضج في المجال لثورة دعائية هي بنى عنها. في المقابل أثار طليعه ابتلاء الأمر سرراً وبينها، فإذا كنتم روبرت جيليان الحبيب وجاراه في ذلك جاكس فهذا معناه أن باب المفاجآت ما زال مفتوحاً وأن الغناء الزوجي وارد في أية لحظة.

أضحت ليز ليشتها مع بربارة وزوجها متفادية بذلك البقاء وحدها في منزلها. انها وثقة من كونها الوحيدتين القادرتين على مديد العون إليها في حال غفل جاكس عنها، وإغلاعه عن الزواج منها. اعتادت العيش معها وقائياً في شقتها. نرائج إلى وجودها مع رجل مثل آلن كول، فيعاملها كأنحت له ونسبشيره في كل شيء. سنواته الأربعون تركت آثارها في رأسه شعراً رمادياً، وفي كلامه لغة وخبرة هي بأس الحاجة إليها. لم يرزقا هو وزوجته ولداً فاعتمدا ليز دختها الصغرى. صباح اليوم التالي غادر الثلاثة المنزل متوجهين إلى شقة ليز استعداداً للموعد. اجست بربارة بضيق شديد وانقباض لم تدرك كتبها، لكنها جاهدت في إخفائها، عن ليز متجنبة الخوض في أي موضوع معها. لم يرقها تصرف جاكس وطلية بإبقاء الأمر سرا. الساعات لمر طويلة بطيئة، ودقاتها تؤثر أعضائها وتحطم بقايا هدوء يعيش لحظات الحشيرة.

دخلت ليز غرفة النوم تساعدها بربارة في ارتداء الفستان الأبيض وفي

التبرج بينما عاد آلن إلى متجوه، لم تكن العروس احسن حالا من رفيقها متزامن امتناع وجهها مع اقتراب الموعد إلى حد لم يعد ينفع معه ما وضعت من مساحيق غل وجشيتها. كانت طوال الوقت شاردة الذهن، تفكر بما سيحدث بعد نصف ساعة، وتساءل عن سبب احجام جاكس عن الاتصال بها أو إرسال أحد يطمئنها. هل تراجع عن عروته فجأة بعد أن حصد نتيجة لعبه القلوة، وعادت إليه يولا صاغرة طائفة؟

فجأة سمعت نراعاً متواصلاً على الباب، فأمسكت ثوبها تكاد تمزقه من شدة اضطرابها. فتحت بربرة الباب لتجد آلن وقد عاد باكراً ليستعد بدووه للزفاف. حذج ليز بنظرة رقيقة:

- ما هذا الثوب الرائع يا ليز! وهذه القبعة ستغن الجميع. منذ حدثني وأنا أهتم بالقبعات الكبيرة. هل تذكرين قبعتك يا بربارة؟ تلك التي سقطت...

قاطعت بربارة مكلمة:

- عن الجسر الخشبي حيث اعتدنا التنزه كل مساء. كانت قبعة جميلة انتهت في ثغر ذلك النهر الملعون.

هتف آلن بمرارة مصطنعة:

- يا لها من مأساة!

شاركتها ليز الضحك ناسية لوهلة اضطرابها وارتعاشها المتواصل.

- ما رأيكما بفنجان من القهوة يندى أعصابنا؟

سارعت ليز إلى الرفض شاكرة:

- لا تحب حسائي يا آلن، فانا...

ثم تدعها بربارة تنهي عبارتها:

- يجب ألا ترفضني لأنى طلياً في مثل هذا اليوم.

ورافقت زوجها إلى المطبخ لتهمس في أذنه:

- انها فكرة صائبة. مستحسن الآن من استقباله بمفردها.

- هل تعتقدن أنه سيأتي؟

- لا أريد التفكير بذلك (ونظرت إليه بقلق) سيأتي، فلا شيء يدعو

للحلق الأذى بها.

لم تكذب تبني كلامها حتى فرغ الباب من حديد، فهزولت ليز من غرفتها نحو الباب لكنها وجدت في مكانها للحظات تلتقط أنفاساً حارية، وتنهضت ساعتها. انها الحادية عشرة الا بعض دقائق، فتوقعت ان يكون القادم روبرت جيليان يعمل اليها رسالة اخرى. لكن دهشها كانت عظيمة وهي تنظر الى جايس مرندياً بذلة رمادية أنيقة زلذته متحرراً وجاذية. وقفت امامه مذهولة وتحت:

هـذا انت.

لم تتوهمي بحبي؟

بكل تأكيد.

دعته للدخول غير مصدفة انه هذا. كان صادفاً فيا فانه ولم يكن يجدها حين طلب يدها على الشاطئ.

تطلعت الى باب المصباح المفتوح قائلة:

أصبرتك عن السيد والسيدة كول اللذين كنت تعمل عندهما، انها آخر اصدقاتي.

رحب صديقهاا وبالزائر المستقره أحس ترحيب، لكن جايس كان على عجلة من أمره.

الوقت يدهنا، اسعدني لقلوكما. سنلتقي في دار العمدة.

نظر الى وهو يهم بفتح باب سيارته الى سيارة اخرى فخمة متوقفة امام منزل ليز قائلا:

انها لجائيس على ما اعتقد. حبيبنا محظوظة للغاية.

أجابته بريارة بانفعال فظاهر:

لماذا لم يقبلها عند وصوله؟

ربما يقوم بذلك الآن.

ولماذا لم يفعل ذلك امامنا؟

أظن انه يفضل الاستمتاع بذلك على انفراد.

ربما لكنه لم يبد أي استعداد لذلك. أراهنك على انها سيلحقان بنا قوفاً.

كان لقاء جايس يعروسه يارداً للغاية، وبريارة كانت عملة في طلبها، فهو لم يطوقها بذراعيه ولم يصدر عنه أي اطراء على ثوبه وكأبه غير متأن. بل

كثير ماقول

هـلا ذهبتا

أخبرت ليز قبعتها بارتباك وأحكمت ثبيتها على رأسها ثم رفعت فستانها بيديها اللتين هي لا يظا الأرض أو تمتد به في سبيلها. أظلمها حائس في طريقها الى السيارة على رغبته في قضاء شهر العسل في الخارج. ميزوران بازيس أولاً ومغادران بعدها الى بروكسل. كتعتت قومي. برأسها موافقة.

هـ صحت

ليل ولوجها السيارة أوقفها احد حيرانها مائلا:

اناهان لحضور زفاف؟

نعم.

ثامتها الرجى بأعجاب من غير ان يصدر عنه ما يشير الى ان ليز هي العروس. جلست ليز في مقعدهما واجهة تنظر الى الجعد. سألها جايس دهشة

هـ ألا يعرف الخيران بزواجك اليوم؟

كتعت الأمر عن الجميع ما عدا بريارة والآن. أليس هذا ما أوميت به؟

هـ يا لك من فتاة عصبية! لم اتوقع ذلك منك.

هـ هل أخبرت أحداً؟

نعم.

وصلوا الى دار العمدة من غير ان يصادفوا أحداً. المكان خالي إلا من بعض الموظفين وأصحاب المقاملات. لا رجال صاعدة ولا مديورين. دخل الأربعة غرفة صغيرة حيث رحب بهم رجل يبي المظلة ذراع الطول وبدأ قرا مراسم الزفاف من غير ان يبدو عليه انه عرف جايس فتتول على خضيمه انفسر أطفال على أنه كوك والعروسين وروبرت جيليان وزوجته اللذين انضيا الى الباقيين متأخرين. ارتفع صوت ليز موافقة على ان تكون زوجة جايس فتتول وعذت يدها تستقبل خاتماً من الذهب الخالص مرصعاً بقطع حبات من الألماس، دخلت اصبعها بسهولة أدهشها، فلم يسبق ان سألها احد عن قياس اصبعها.

التي نظرة مريضة على جايس على واقفاً أزماءه يجب على أسئلة الممثلة،
فأجست غريباً عنها. وسألت ان كان حقاً بفرك أهداء ما يقوم به في هذه
اللحظة. ما زالت حتى الآن غير مقتنعة بما يحصل. ربما قرر جايس
الذهاب في لعبته حتى النهاية ضارباً عرض الحائط بكل القيم ومتجاهلاً
العكاس لعبته على حياتها. غلفت عيناه في عينها للمحطات قراءات لها
صورة يولاً بوضوح في عينيه الداكيتين.

وقع الاثنان على سجل احمر كبير وخرجا الى قاعة فسيحة يتفيلان
التهاني. قبلتها بربرة بحرارة وعيناها مغروقتان بالدموع. ثم تقدم
روبرت منبها مهتلاً وقدم زوجته ليليان الى اليز. فحينها برجه ضاحك وهماها
بقودها على ذواجها من جايس متبينة لها السعادة والهاء. بالرغم من
توددها، لم ترتع اليز لها، فهي على يقين من ان روبرت وزوجته ينصتدان
البسمة والاهتمام اكراماً لجايس فقط. في عيونها برق غريب يقضج
مقتها وازدهارها، فلم تستطع علامات السعادة الزائفة ان تحجبه عن نظر
اليز. لا شك في انها يمان يولاً كافيل اكثر، فهي تصلح لأن تكون مكانها
اليوم لما تتمتع به من شعبية وشهرة لمكانها من استحقاق لقب زوجة المليونير
فتون اكثر منها. ومشاركته امبراطوريته الكبيرة.

بات قلبها أعظم، يلقي بحمله على تفكيرها وشروء نظراتها، فلم تشعر
بأزاع جايس تطوق خصرها. فكرت كيف ستمضي حياتها في ثيرجلين
وحيدة، في غرفة الصاعدة الخجولة وسكونه الطافي. تساءلت عن مدى
نجاحها كزوجة وربة منزل، وكيف ستخلص من سذاجة ظالماً أخرجتها
وأزبكت حياتها. لن تنجح أبداً في التغلب على عاداتها القديمة، ولن تشر
بالراحة الا في عملها، وفي خروضا مهيتها ونميتها. لكن شأن ما بين
العمل في الذكور وبين تدبير أمر منزل كبير كثيرجلين.

لم ينف ارتباك اليز عن بربرة وقد لاحظت تفهمها وشروءها، فهنست
قائلة:

- لن ندعكنا نخافران الآن. ما رأيكم جميعاً بتناول الغداء في منزلنا؟
أرادت ان تلهي من دوع اليز قبل الرحيل، فوجه جايس، بالرغم من
جاذبيته التي لا تقاومها عينا امرأة، بدا قائماً وغابت الابتسامة عن شفتيه
طوال الحفل، وهذا يؤثر كثيراً على صديقتها صاحبة الحس المرهف والحالة

أبداً. وزلا من شكوكها عدم تحبوب اليز مع ذراع جايس تعطلها. علمت
بربرة منذ البداية بخفوة رواج اليز من فتون لكنها ارتأت الصمت خوفاً
من الاساءة الى اليز. كان على اليز ان تفكر ملياً بخطواتها، لكن ليز يرفع
الندم بعد الآن وأقصى ما يمكنها عمله هو ان تمنى لها حياة سعيدة
ورغبة. تلذمت من صديقتها وأمسكت يدها تضغط عليها مبتسمة:

- ما رأي العريسين في الترحيل؟

سارع جايس الى الاجابة:

- انا متأكد من ان روبرت وليليان سيقبلان دعوتك بسرور. اما زوجتي
وانا فنعتذر شاكرين لاضطرارنا الى السفر.

راقت اليز استشد الضمير ببعده، كل الى ميارنه غفلين وراءهم ذكرى
بأهنة الزفاف خجول سرج. لا وود ولا زينة، انحصر الأمر على تلقي
التهاني وقبالات الرذاع وكأنها ذاعية الى جنازتها. حتى زوجها اعتد لم
يتبدلها. ليس هذا ما يفعله العريس قور الشفاء مراسم الزفاف؟

مدت يدها ملوحة الى مودعها، تساءل بقلق عن سبب احجامه عن
تفيلها. لم تشعر الا وهد جايس تربت على كتفها مبتسماً بغترة وكأنه يفتها
على حسن تصرفها ويذبيها حتى الآن. شعرت لبرها بمعاملة السخيفة لها
كطفلة وضمت في مدرسة داخلية تظف قرب المسؤول مودعة أهلها.
تذكرت كلامه عن حاجته الى زوجة وقد حصل الآن على مبتغاه. خافه في
اصبعها واسم عائلته قرب اسمها على جواز سفرها الجديد: اليز فتون.
أوشكت ان تضحك من شدة تأثرها وارتباكها. شعرت بحاجة ماسة
لاخراج ما يتمل في داخلها من احساس. فمت الانفراد بنفسها لدقائق
حتى تدرج دموعاً سخية عليها لحجب لها الراحة. ماذا سيظنها جايس ان
أخبرته عن شعورها؟ سيعتبرها حتى بالجنون أو بالقلوسة.

في طريقها الى مكتبها اللاتيان ببعض حاجياتها، لم تنطق اليز بكلمة.
اضبضت عينها كمعدية في كل نزعة، تحاول السيطرة على اعصابها. لم
نمهد هذا التشنج في اعصابها من قبل وللمرة الأولى تمس اسنانها بصلطك
غضبياً وخوفاً.

ما ان توقفت السيارة حتى هرعته نحو مكتبها غير قادرة حتى على الرد
على ترحيب جبرائها يا. تبعها جايس على مهل وفتح لها الباب مستهفياً:

- هل هناك ما يضايقك؟

- لا أبداً. اغراضني على الكتيب.

الملك جاليس في الشقاق اغراضها وحاجاتها الصغيرة التي تركها عادة في مكتبها، فيها راحت لير تتأمل في أرجاء الغرفة من غير هدف. فتحصنت وراءها، لم تأكدت من إطفاء الأنوار وعادت فاستعاضها عن حديد. لم تكن تدري بالفعل عما تبحث وأن كنت ستعود إلى هذا الكتيب. شيء ما ينتمى من الثبات ويدفعها إلى الحركة باستمرار. تزعت قبعتها ودخلت مطيخاً صغيراً ترتب محتوياته المبعثرة. غسلت يديها وأرغت منبوكة على كرسي خشبي وجيد. مضت دقائق طويلة قبل أن يقطن جاليس لغيابها قدخل وراءها ليفاجأ بلونها الشاحب:

- هل أنت على ما يرام يا ليلا؟

لم تجبه وحطت وجهها بيديها لتخفي عن ناظره. فأزاحها برفق ومرر يده على جبينها بحثاً ثم فتح التلاجة الصغيرة وسكب لها كوباً من الماء.

- اشربي بعض الماء البارد فهذا سيساعدك على الترويض. تناولت الكوب يدين مرعبتين تفكر بالقلق المظلم الذي دخلته اليوم. ستكون السيدة فتنة من غير أن تبسمن نجاسها في تحمل وزر هذا القلق وما يجعله من واجبات تجاه زوجها، خاصة الليلة.

تقررت إليه بعينين ذابلتين أتعينها التفكير وأبكيها الفلق. كانت تعلم بأجنادته من العشق، وسمعت عن مغامراته الكثيرة مع مختلف أنواع النساء. كيف سيكون نصرته معها الليلة، هل سيكون رقيقاً ومحباً أم أنها مجرد ليلة عادية يضيئها إلى سجل لآلهة السابقة؟

أفرغت كأس الماء في جوفها دفعة واحدة.

- ألن نأكل شيئاً؟

- لا شكراً.

- ألم تشعر بالجوع بعد؟

- أبداً.

توقعت أن يضمها إلى صدره ويغبرها عن جوعه إلى كلامها وحانها، أو أن يذلها ولو للدقائق. لكنه لم يفعل بل تركها ووجدتها تشعر بالامبالاة منذ الآن. لماذا تزوجها إن لم يردحها شريكة حياته؟ كان بإمكانه البقاء كل شيء

في أي وقت شاء.

أخبطت عينيها من جديد وسأله:

- يبدو أنك بدأت تتدم على ما فعلت.

أجابها ببرودة زادتها حسرة وألماً:

- لا أبداً. أنا متأكد من حسن اختياري. شكوتين الزوجة التي أحتاج، وسأحاول أن أوفر لك كل متطلباتك.

- متطلباتي! ماذا تعرف عنها؟

- بما فيه الكفاية.

كانت أن تصارحه بما تشعره. وأن تعطي رأيها يزواجهما الغامض وما تتوقع منه. نسبت ليز قنعتها على مكتبها حين غادره متوجهين إلى المطار، قادت سيدة عادية تراقق زوجها في رحلته. شعرت بالراحة لأنها الخليفة منها. وفردت أعبادها قور عودها إلى براداة، فأتى بحب القبعات الكبيرة. اليوم اكتشفت مساحة الفرق بينه وبين جاليس، فهي لا تعرف شيئاً عن دوافع زوجها ولا عن الأشياء التي تعجبه والتي لا ترقه. نصرف، وما يزال، كالغريب كلاماً وحركات، وكأنها تعارفا منذ نصف ساعة فقط.

أصغرت إلى كلامه طوال الطريق مكتفية برود مقتصبة، فوصلت إلى المطار من غير أن يتطرقا إلى أبعد من موضوع الطقس وسماع أخبار الأفاعي والتعليق عليها.

عند جلوسها في مقعدها على متن الطائرة، أخبرها جاليس عن الشخص الذي سيستمع إليه أولاً في باريس. دافيد لوكس، مدير أعماله في العاصمة الفرنسية. أعلمها بعد ذلك عن برنامج عمله:

- سأضطر لحضور بعض الحفلات والمؤتمرات، وأتوقع منك أن تشاركني حضورها وإرائقي في زياراتي الاجتماعية، سيكون لديك الوقت الكافي للتسوق والتجول أيضاً.

- بفردي؟

- كما يحلو لك. بإمكانك تدبر أحد لمراقبتك.

- ألن تراقبني أنت؟

- أتفق ذلك، لكن وفي لا يسمح.

تناول أوراقاً من حقيبتها الجلدية الفاخرة وراح بتفحصها متجاهلاً

علامات الذبول المرتسمة على وجعها، ولما فقدت الأمل من عداوته، تناولت إحدى المجالات ثقلب صفحاتها بعصية، إنها رحلة عمل كبل أن تكون شهر عمل، وهو كان برفقة بولا كافيل لثلاث ساعات عدة ليمضيها معها في السوق والتجول. اكتشفت متأخرة كم هو قاس. وما أثر عليه عمله في الصلب والحديد، فأصبح يتصرف مع الناس كما يتعامل مع قطع الأحصنة وأذناب الحديد. لكن ما يبعثها هو معرفة أن كانت سلات في القصر نفسه.

خرجت من مطار باريس، ليجدا في انتظارهما سيارة فخمة مع سائق بري رسمي مرتب. استقلها إلى الفندق حيث سيمكثان ليلة افاتها في فرنسا. استقبلها شاب أشقر قصير القامة مطهراً اهتماماً كبيراً بجائيس، وظلها للرحلة الأولى أنها سكرتيرته. لكن تفهيم جائيس لما غير تصرفه تجاهها فصحكت عنه سعادة ورحب بها من جديد بخفاضة أكبر. وانصرف بعد أن التفت وجائيس على اللقاء بعد ساعة.

خرج جائيس إلى شرفة جناحها الفخم برأب زحمة السير، بينما راحت كيز تنفخ أرجاء الجناح بعينين خبيرتين زادها اتساعاً أعجابها بما تروى. قرع الباب ليدخل خادم جارا عربة صفت عليها أطباق الطعام بطريقة تبر الشهية.

أكلت كيز بينهم بعد نهارها المتعب واكضى جائيس بتناول بعض الفاكهة والعصير ليعود بعدها إلى النافذة من غير أن يتنوه بكلمة. حيرها تصرفاته وشاقها أن تكتشف كل مبهات عطورها دفعة واحدة وفي ليلتها الأولى معه. ماذا سيظن دايفيد فوكس حين يراها على هذه الحال؟ لن يصدق أنها في شهر العمل وأنها وجعها الأولى معاً بعد الزفاف.

أحببت بالارتياح وهي تراقب جائيس يجمع أوراقه متأهياً لملاقاة دايفيد. عند رجليه أقفلت الباب خلفه وعادت لتمعن النظر في الأثاث تنفخ كل قطعة على حدة، استعادت حريتها الآن، غير مأسورة بملاحظة تصرفاته أو تفسير عباراته. فتحت حفاياها وعلقت ثيابها في الخزانة ثم حاولت أن تلقي نفسها فاستحمت وبدلت ثيابها من غير أن تتمكن للحظة من طرد صورته من مخيلتها. قال إنه سيعود في العاشرة، وراحت

تنظر إلى ساعاتها يفتق يفتق قلنسها قبل موعد الزفاف. لمست لو رانكتها الطاء عفرى ساعتها ثم أخرج عودته هذه الليلة. لينة أخذ بوعده هذا الصباح ولم يطرأ بها، فلا شاهد على ذلك غير بريارة وأني. خروجها البهلة وفر عليها امرأاً كبيراً، فعملها أن تغلق ثيابا حمراء وتندس في الفراش خفية. كيف كانت مستسلمة على ذلك وهي تحمل من التفاهة نظراتها، تطلعت إلى نفسها في المرآة مرتدية قميص نومها النظيف لتدرك كم تنظر إلى الجاذبية. لاحظت الحبيب تحت وجعها والدمع منها، وأحسّت بيلع عظام ترفوئها الماردين. وصوتها الصراخ يصرخ تحت قميصها كل القنصم اللواتي تراهن في المجلات بلذتها جمالا، حتى القبيحات منهن. لمست وجعها بأناملها وبشمت متنته:

- ما أنا سوى فتاة وأمة، ما بالي أقف كاتيلها، هنا؟

جلست نفسها بوسمت منغلغل ولم تنبه إلى جائيس يدخل عرقا الجلود ويقاها جالسة في وسط السرير، حياها قائلا:

- مساء الخير، أراك ما ولت مستيقظة.

قررت عند ذهابه أن تظاهر بالنوم حين يعود. يا ليتها فعلت ذلك، فكلامه يدل على أنه كان يتوقع رؤيتها ثالثة عند عودته. لم تنس بيت شنة. راقبت يدخل الحمام فلاغتسال، ولما خرج سألها القديمين كانت ما تزال جامدة في مكانها، ومقها بنظرة ذهول عاتية:

- بريك يا ليز، هلا استرخيت قليلا.

- هل كانت ليلتك مشبة؟

- كانت ليلة صاخبة لكني لمست متعباً.

أحبست بقمصها تكاد تفتتها. فسأها فجأة:

- لماذا تزوجتي يا ليز؟

- لا... لا أدري.

لم تكن تعلم بحق لماذا تزوجته، جعل كل شيء كالهام من غير أن تدرك السبب. حدثت في صدره وتساءلت عن عدد اللواتي استند رؤ وسمن إليه. حاولت أن تتجنب نظراته فميتة الداكستان تكاد أن تلهجها. تقدم منها ببطة قائلا:

- صحيح أن أسلك ثروة طائلة لكنني أتوقع الحصول على مقابل.

هيمت برعب وقد جحطت عنها ما تحس انها سيفعل عليها:
- لا شك في ذلك.

- لا تغلبي فاعلم بعج بالنساء، ولا أثري اللجوء الى القوة. كل ما
استأجبه هو زوجة تريعي وتضيق حداً لتهاون النساء للزواج مني، ولا أحفل
ان كان زوجي منها شكلياً أم لا.

- أصبح ما تقول!

- ان كان هذا ما تريدينه فانا موافق.

واردف مستباً. قومي بمثل دورك على اكمل وجه وسألتزم بالسلمة،
وأصعبك في مهنتك.

تطورت اليه يمرر اصبعه على وجنتها برفق تنبهاً بعارته:

- شيء واحد لا أحتمله وهو الاكثار في طرح الأسئلة، فهذا يزعجني
كثيراً.

شعرت بشعيرة تسري في عودها الفقري من جراء عهده الميطر.

لكنه فحطك فجأة وخلع سكرة بيجامته قائلاً:

- والان، عليك باغماض عينك. فانا لا اريد ان الحير يجري حياتك.

صاح ما توقعت، فقد خلع ملابسه وكأنه اعتاد على ذلك. تطرت الى

بشرته الداكنة وعضلاته القشوة ومنكبيه الخريصين، وهو يتجه الى الباب

يقطعه ثم يطلقه القصد للفرق الغرفة ومن فيها في غلام داس. لم تحرق

على الحركة ووضعت الرسافة في حضنها وانكألت الى حافة السرير، تنظس

الحاتم في اصبعها. انه الشيء الوحيد الذي يذكرها بما حدث هذا النهار.

سمعت سرير سرير وهو يركي عليه وما كيث ان راح يقط في نوم

عميق، تسحبت ليز الغطاء ووضعت فوق رأسها، عليها تفلح في ابداء شبح

الاردى عن عينيها.

٧- الحب ساعة قديمة

نامت عند الفجر ساعة وحيدة استيقظت بعدها لتجد جامس نهباً

للخروج. أغضضت عينيها من جديد تنظاها بالتوم على يتقاضى عن

ايقاظها. اوندى فميصاً خربياً اخضر اللون، زين كميها بزوين ذهبيتين،

وعقد ربطه عنق فاخرة. راقته من تحت الغطاء متمية كويغرايه وعضي

النهار بكامله معها، فهذا من شأنه ان يربحها ونسبها احداث الليلة

الماضية. انه نهارها الأول في باريس ومن شهر العسل وبالرغم من ذلك

سبحر تاركاً لهاها فريسة الوحدة. لكنها ستجد ما يلبيها عن التفكير به

ويحفظها العائر. سمعت طرقة على الباب، وراحت جامس يخرج من

الغرفة، وما هي الا خطوات معدودة حتى سمعت همسات في غرفة

الاستقبال وصوت عوية تنجبه ناحية غرفتها. نهضت تستد ظهريها الى حافة

السرير تنظر عودة زوجها.

ادخل جامس عربة الاظفار وأوقفها قرب السرير.

- صباح الخير يا ليز.

- صباح الخير.

- هل أنت مستعدة لتناول الاظفار؟

- سأكتفي بقليل من القهوة.

بات يعرف كيف تحب قهوتها، قليل من الطيب والسكر. ناولها قهوتها

بينما حمل قهوتاه وتوجه الى غرفة الاستقبال من جديد. راقته من خلال

نمعة الباب يهلل الى مكثبه. اماره حاليته بالندبات، فاكهة بصوت عالٍ:

سمعت اشد التمس وصيغته من اشد التمس ووجدها.

الليلة. هل تتكلمين الفرنسية؟

- بعض العبارات التي تعلمتها في المدرسة.

- لا بأس. حاولي أن تكوني جاهزة في تمام السادسة.

لم ندر أن كان يحيى يرد هذا إن المصاحبة بالفرنسية كانت أم أنهم يتكلمون بالانكليزية. لم نحاول الاستعانة. كانت نريد أن نرحل في ترحاح ونقرر ما مضى. انسى شرب قهوتي في غرفة النوم، ثم ارتدتي سترته مشيرة إلى حافظة نقود موضوعة على الطاولة:

- سامعيل على منصبى وأنتى لمهدي لك، أما الآن فيمكنك التصرف بهذا المبلغ الصغير. وإن أردت شراء ثياب فستكتفى بمشلى بدفع الثمن.

- من؟

- ميشيل بنوا. إنها تعمل في مكتب فليبي وسرافك خلال تحويلك في

باريس.

وضع قنجانته على العربة من غير أن يتناول الفطارة ويخرج مودعا:

- طاب يومك وإلى اللقاء في السادسة.

ولفت لير قهوتها بيده نظرت إلى حافظة النقود جازوا. لم ير لها كلامه من المال وكأنه يفعل ما يملكه عليه الواجب. قهوتها ما يكتفيها من مال غدا اليوم كمن يعرض على الآخر النزول إلى الشارع والامتناع بالتبديل. عشتها كزوجة تحرقها المصالح على المال لشراء ما تحتاجه لكن ليس يده الطريقة. لن تستغل هذا الواقع ولن تطالبه بشئ مما تحتاج. إن كان يظنها تسمى وراء ثروتها فهو غفلى.

فتمت حافظة النقود لتفاجأ بقصصها المبلغ الموجود فيها. أحست ثمتا لخربتها. أنه يملكها كسيلة ويجعلها بلعة المال كما اعتاد أن يفعل مع غيرها. أقبلت الحافظة بغير ورمتها على الطاولة.

استعجلت وارتدت ثيابا بسيطة على غير عادتها لجليلها موعد قدوم رفيقتها. أرادت أن ترتدي ثوبا خريفاً وقرعة البسرة التي اشتريتها قبل زفافها لكنها استعاضت عن ذلك بسروال أزرق وفبيص فضي أبيض اللون. إنها الآن سائحة تظوف في مدينة لم تزورها قبلًا، فلا حاجة للتفكير كزوجة جاكيس فتستول قبل أن يحين موعد العشاء.

سمعت زين أفانك في غرفة الجلوس فهرعت لترفع الساعة لسمع

موظف القفلق ينتهبها بوصول الأتمة بنوا، فأجابت:

- شكراً. سأزول في الحال.

حملت حقيبتها بعد أن دسّت فيها حافظة النقود التي تركها جاكيس، ونزلت إلى الطابق السفلي لتفاجأ عند خروجها من القميد بحشد بشري هائل يملأ أرجاء الردهة الكبيرة. احتارت كيف تهندي إلى تلك الأتمة وهي لا تعرف عنها سوى الاسم فقط.

وقفت أزاء حوض للأزهار تحيل الطرف في الردهة الواسعة من غير أن يقع نظرها على فتاة تقف وحدها، أو يبدو عليها أنها تبحث عن أحد. همت بالتوجه إلى مكتب الاستعلامات تطلب المساعدة، لكنها التفت يذلة بأذعة مريضة القامة، ترتدي قسماً أخضر وتزين صدرها بوردة صفراء كبيرة، وعلى رأسها قبعة. هفت الفتاة بالفرنسية:

- أرجو العذرة يا سيدتي، هل أنت السيدة فتون؟

اجابت ليز مثلثة من وقع المفاجأة:

- آه، أجل.

أزعيبتها نظرات الأتمة إليها فتصنعت ابتسامة ياردة وقالت:

- حسناً، ماذا ستفعل اليوم؟ فانا حديثة العهد في هذه المدينة.

سألتها ميشيل بالانكليزية غافلة على لكتها الفرنسية:

- ألم تزوري باريس من قبل؟ هذا غير معقول!

- لكنها الحقيقة يا أستاذة؟

- هل تحبين زيارة محلات الألبسة؟

- بكل ترحيب

قيلت ليز الأمر الواقع على مضض، فهي تدرك أن معظم أصدقاء جاكيس يعرفون بولا كافيل، فأول ما يتبادر إلى ذهنهم هو إجراء المفارقة بينها وبين الممثلة الشهيرة. حركاتهم يشوبها التصنع والتكلف، وفي كلامهم المصنوع هزه وإزعاج. إنها ترى ذلك بوضوح الآن، في تعابير وجه ميشيل وفي ابتسامتها وعينيها. لا شك في أنها ستعود إلى مقر عملها غداً وتبدأ الكلام عنها بسخرية تستدر ضحك بقية الموظفين.

طالفت ليز مع دليلتها أشهر شوارع باريس، حيث محلات الثياب الفاخرة. أحست ليز أنها في عالم مختلف لم تحلم برؤيته. سحرها الأتومب

البدوية بالرواية الرائعة المتناقلة لكنها أصبحت عن الشراء خوفاً من التفتادات دليلها المتعرجة.

عادة بعد ساعات الى الفندق حيث تناولنا الغداء، واعتذرت في ساعة لا تضربها الى كتابة بعض الرسائل وعتية رز بنها مرة أخرى قبل ان تغادر باريس مع جاكس.

- أنا رهن اشارتك يا سيدة فتون.

اجابتها ليز مصافحة:

- لقد قمت بواجبك خير قيام اليوم، وأنا أشكرك كثيراً على ذلك. الى اللقاء.

تنفست ليز الصعداء حين دخلت غرفتها وارتحت حل السرير. هربت من تلك الفرنسية وكأها تهرب من كابوس يطاردها. أغمضت عينها تشاء بعض الراحة. لكنها ما لبثت ان فضت وتنازلت حقيبتها متجهة من جديد الى ردهة الفندق، فسبح وحدها وستنظر ما يناسبها من أغراض من غير وعاية تلك الفرنسية.

تسمرت ليز في مكانها حين رأت الأنسة بنوا ما تزال في الفندق فطالبت إحدى السيدات، ضاحكة تومس بدليها وكأها تسرد قصة مضحكة للغاية، فأبأها شعورها بأن الكلام يدور حولها. خرجت من الفندق لا تلوي على شيء. متجاملة وجرد ميشيل، واستقلت سيارة أجرة نقلتها الى متحف اللوفر الشهير حيث طافت في أرجائه المليئة بالتحف والأثار الخالدة. وقفت مذهولة أمام لوحة الميثاليزا، وأحست كأن فيها شيئاً عنها. تلك الانسامة الباهتة والحزن الساقط في العينين ذكرها بنفسها وبحياتها التي لم تعرف الاستقرار أبداً. لم تسكن من الاستقرار في طوائفها لا زيارتها بجوع مع جاكس، ففطنت راجعة الى جناحها في الفندق. لم تلاحظ في الغرف ما يدل على عودة جاكس أثناء غيابها، فاستحييت وارتدت الثوب الذي لبسه خلال الزفاف ثم جلست أمام المرأة تترجع بعناية فائقة.

قبل السادسة بقليل سمعت قرعاً خفيفاً على باب غرفة اليوم وصوت جاكس هائلاً:

- مرحباً يا زوجي العزيزة.

- أهلاً يا جاكس.

- ستغادر بعد عشر دقائق. تبدين في متهم الاتانة.

- صحيح؟ شكراً.

دخل جاكس يقتل بينها جلست ليز قرب التافلة كما فعلت ليلة أمس وهذا الصباح. انه الكائن الفضل لديها في شهر العمل بالرغم من ان جاكس لم يحاول بدأ مشاركتها في جلستها هذه. هذا لدى خروجه من الحمام رائحة كعادته. بيلته الزرقاء وصفاً وجهه. سألتها وهو يقتل حياء:

- هل راقتك ميشيل الى السوق اليوم؟

- اجل.

- وماذا اشتريت؟

- لا شيء.

بدأ عليه الاستغراب وكأنه يتوقع منها العكس. ولم لا؟ فهي زوجته وتحتاج الى تشكيلة كبيرة من الألباب لنسلا فراغ خزائنها. قالت بتهكم جلي:

- لدي الطباخ بأن الأنسة بنوا مستخدم تقريباً مفصلاً عن أي ثوب اختاره.

- علق جاكس بمزيد من الدهشة:

- هل لهذا تأثير على اختيارك؟

- لا أعتقد ذلك.

- لا يمكنك الاستمرار في ارتداء هذا الثوب الى ما لا نهاية بالرغم من جلاله.

- جليلاً؟، فزوحك سرقة حياتك، اليس كذلك؟ سأباعد حدة ثوباً جديداً شرط ان أعجب وحدي.

- كما تشائين، والأنا هلا نزلنا الى الردهة فضيوفنا ينتظرون.

انضم جاكس وليز الى المدعوين في مطعم الفندق العنم. رجالان في عتق العمر، ييار بيليرين مهندس معماري بشين القامة قصيرها، وجول لاكايش صاحب أكبر اسطبل في باريس. بدت على الزوجتين علامات الرفاة والجاه. تسعت زوجة السيد بيليرين بقسط وافر من الجمال لم يخلف عن نظرات ليز بشعرها الأحمر الطويل وعينها الواسعتين الشريعتين واللثين

لم تقارفا جاكيس لحظة واحدة. لاحقت ليز فارق السن بينها وبين زوجها وأدركت في لحظات الدافع إلى زواجها منه. أما السيدة لاكليش فهي بارسية صرف، في سن زوجها، زافها ثوبها الأسود الضفافي أناقة وأثورة. قدم جاكيس زوجته إلى أصدقائه، كل بمفرده، وعاقفا ما رآته في عيونهم من نظرات استهجان وفي ترحيبهم من برودة واستهتار، ولم تمكن من كتب انفعالها إلا بعد أن أقنعت نفسها بأنها في مكتبها تستقبل زبانتها. اعتبرهم زبائن عاديون. ففي هذه الحالة حفظ لا تحسرحلا ولا انبهرت في لحظات. بل ستكون ليز لا تام مهتمة الذيكر العادية وتحافظ على هدوئها مستعدة إلى مناقضاتهم النافهة، وتراقب حركاتهم المضطربة وتسمى نفسها كليا. كانت وجبة شبيهة حفلات بالأطباق الفرنسية المتنوعة، سمك مشوي مع صلصة السباق والطفل، ثم قطع من الأرز مغطاة بشرائح البرتقال وقطع الثور والهيلين. بعدها قدمت التواء الجبن التي تافوا ما تغلو منها مائدة فرنسية. تبادلوا الأحاديث كاصداق قداما وتكلموا الانكليزية اكراماً لليز.

انبت لرنانك لاكليش طعامها والتفت إلى ليز طائبة نصيحتها:
- انتقلنا حديثاً إلى منزل جديد، ولست راضية أبداً عن غرفة النوم. سارك. ايها يوم السبت لاني لا أدري ماذا أفعل.
لا تعرف ليز شيئاً عن يوم السبت ومع ذلك ابتسمت مصغية إلى حديثها تكمل عبارتها:

- ليست غرفة واسعة لكن سقفها عال جداً.

سألت ليز بجديّة:

- ما لون السجادة فيها؟

- خضراء.

- طلاء السقف باللون نفسه سيخلق تناسقاً بين ارتفاع السقف وضيق الغرفة.

أودأت مدام لاكليش برأسها موافقة:

- هذا كلام منطقي. هل ستابعين عملك بعدما أصبحت السيدة

لمتون؟

سارع جاكيس إلى الرد مبسماً ابتسامة ذات مغزى:

- أوجهي حقوق خاصة تتعلق بمهنتها ووضع يده على يد ليز مشاعراً وسعداً الخفية تكمن في اكتمالها مهنتها.

للمرة الأولى يظهر جاكيس أمام الآخرين اعجاباً بعملها وتساءلت ليز عن صحة شعوره. لكن أكان صادقاً أم لا، فقد جعلها تحس بأنه يعترف بعملها أمام أصدقائه، ويغتنر بتجارتها فيه. استمر جاكيس على هذا التناول بقية السهرة. يشد يداها أنجزته من أعمال ثالث شهرة كبيرة. عند عودتها إلى الجناح باتت ليز يوقها وهي تساعد في خلع سترته:
- أرجو ألا تكون مبيت لك احراجاً الليلة.

اضاء جاكيس ضوءاً خفياً قرب السرير واتجه إلى النافذة يسحب الستائر مبألاً:

- أي احراج يا ليز؟

- كلهم ناجحون في أعمالهم، اليس كذلك؟ ويتوقعون أن تكون زوجتك مميزة مثلهم.
- أأنت كذلك؟

شمرت بالارياح لسامعها جوابه بالرغم من عدم قدرتها على رؤية تعابير وجهه والتأكد من أنه لا يسخر منها. وافتت قربه تنظر إلى الساحة وفقد انخفض زحمة السير. فبدت شبه مبهورة لا حياة فيها. أشارت بأصبعها إلى لحد المحلات وقالت:

- هناك محل لبيع الزهور. راقبه هذا الصراح وفضلت الحصول على باقة زهر بدلاً من ذلك البائع في حافظتك.
- حسناً. متحصلين على باقة ورد.

ليس هذا ما قصدته، فهي لا تريد أن تطلبها منه، بل أن يشتريها من نفاذ نفسه ويهدمها إليها. طابعاً على وجهها قبله ناعمة كما فعل ذلك الشاب في الصباح. وقفاً جيباً إلى جنب كما فعل مرة على الشرفة في تيز جازين. لكنه في تلك الليلة ضمها إلى صدره وعانقها، ومنذ أن أصبحت زوجته لم تشعر بدفء يده إلا نادراً. همت بالكلام:

فدا... .

لكنه قاطعها قائلاً:

- سأغادر في الصباح الباكر وأعود متأخراً. ان احتجت إلى شيء ما... .

أدركت أنه سيقتول لها كي تحصل بكتبه، فسارعت إلى القول:

- سأقوم بنزهة في الجوار لأستري ثوباً جديداً. هل ستذهب إلى منزل لاكلينش يوم السبت؟

- أجل. وستعود يوم الأحد، فهم يقبضون عادة حفلات رائعة.

أجست بشغف إلى أن تكون قرب، ويتوق إلى ذراعيه شيطان يخمسها، فالتصفت به قائلة:

- إذن سأحتاج إلى ما أرديه لتلك الحفلة.

نظر جايس إلى الشارع غير أنه بحركتها:

- لا تنسي الماء نظرة على غرفة النوم، لكن انقي نظرها إلى كونك عترة. انها مشهورة بكرهها الشديد للاتفاق وستحاول جاهدة أن تشترك من غير مقابل.

ايسمت ليز بدهاء وقالت:

- كوني صبيغة لا يعني من الطالبة بيدل الانعاب. أليس كذلك؟

استدار فجأة ناحيتها وطوقها بذراعيه:

- وبها.

استندت رأسها إلى كتفه ترقب القمر يلقي خيوطه الفضية على الشارع. فتعكس على حجارة الأرصفة مشكلة لوحة رائعة. أغضضت عينها تمنى سماع عبارة ناعمة منه فلا فراغاً هائلاً يتخطى فيه قلبها. ليه يقول الآن، أحيك. لن نخش الحب معه أن عاملها كما فعل الليلة في مطعم الفندق. فجأة، علا زئير الهاتف فأشعل جايس النور ووقع الساعة في غرفة الجلوس. انها مكانة عمل تتعلق بيوم غد، فجلس على أحد المقاعد يندون ملاحظات لم تكن شيئاً لليز، فدخلت الخدام تستعد للنوم. عند حرجوها فإنه جالساً إلى مكتبه يتصفح مجموعة من الأوراق نشرها امعه. ولم يقض وقت قصير حتى عاد إلى الغرفة وتناول كتاباً من حقيبته مكتئباً بالقول:

- تصبحين على خير.

أقفل الباب خلفه تاركاً ايها في السرير غارقة في بحر من النسيان. لا تدري ان كان ما يزال في مكتبه ام خرج. فالساعة لم تنشر إلى العاد وربما نزل إلى المطعم من جديد أو إلى الشارع. همت بفتح الباب لئلا يظنها، لكن شعوراً غريباً ابتاعه جامدة، فهي في قرارة نفسها لا

تعرف مكانه، امتلصت في النهاية إلى نوم عميق. كانت تعية من الطواف في شوارع باريس، ومن لعب دور السيدة فتون أمام الضيوف.

استقطت في الصباح كتاباتها على صوت عربة الاطفال فكانت فرصتها الوحيدة لترى جايس قبل مغادرته الفندق.

أضحت ضاراً ممعاً من غير أن تشعر بالوحدة، فقد اعتادتها منذ زمن. اشترت خريطة لمدينة باريس فزلزلت أماكن ملائمة وأودعت غيبتها. ذهبت إلى برج إيفل، ساحة مونمارتر وإلى حدائق التويليري. في طريقها دخلت علا صغيراً في احد الأزقة وابتاعته ثوباً غمدياً، كحلي اللون لترتديه ليلة السبت، وقبضها زهرياً، لم يسبق أن ارتدت شيئاً كهذا ولكن عليها من الآن أن تتألف والأجزاء المحبطة بها. عند عودتها، طليت العشاء إلى غرفتها وجلست لتأهم الطعام بنهم لشدة جوعها بسبب نزهتها الطويلة، وأمامها باقة ورد كبيرة تزين صدر الغرفة. حصلت على ما تريد لكنها تشك في أن تكون يد جايس التي اختارت الورود. لا يدوانه كلف حاداً بذلك. قد تكون تلك الأنسة الفرنسية الوحيدة بالسهر على خدمتها وتأمين احتياجاتها.

بعد العشاء، جلست على الأريكة الكبيرة في غرفة الاستقبال، تقرأ في كتاب صغير وجدته على الطاولة عند دخولها. برنامج سياسي كامل، زيارة الملاحف وحضور المسرحيات وغيرها من الأمور لتأهياها عن الشعور بالوحدة وغباب جايس عنها. مزقت ليز الكتاب ورمته في سلة المهملات لتذكر في الساعات التي تعضيها بمفردها في هذا الجناح العن، مع خيارين لا ثالث لهما. أما التسوق وإقيام على وجهها في الشوارع المزدحمة، وأما الجلوس بقرب النافذة تراقب هل الزهور.

كانت في سريرها عندما سمعت يغل الباب الرئيسي خلفه، فتأملت:

- جايس.

دخل غرفة النوم من غير أن يضيء النور فأحست بتخلف يسري في جسمها. فلم تقو على الحركة وجاءت حتى أشعلت النور الصغير قرب سريرها. وقف ينظر إليها مبسماً. لم يكن له وجودها بقميص النوم الشبه الكثير، ربما لأنه اعتاد هذه الشاهد قبات يمتنع بتماعة ضلعا.

لم يسبق أن أمضت الليل مع رجل بمفردها قبل أن أدخلت هذا الحاتم في

أصبغها، لكن الأمر يختلف بالنسبة لجائيس. إنه قادر على التحول في اللحظة من غير حرج. لن نقوى أبداً على فعل ذلك أمامه بالرغم من كونها زوجته. نهضت تتكىء على مرفقها قائلة بصوت متهدج: - ليتني استطعت... الحصول على غرفة خاصة بي. هل هذا ممكن؟ - لا لا!

خلع ستروته وعلقها في الخزانة وبدأ بتقليم قميصه: - غير أني أفضل أن يبدو الأمر وكأنه زواج مثالي، على الأقل في شهر العسل. باستطاعتك الحصول على غرفة خاصة عند عودتنا إلى تورجلين. ستحتاجين أيضاً إلى مكتب. قابعتي عن مكتب وشقة لممتلك.

هبطت ليز بزعمو: - شقتي ومكتبي المقديجين؟ - اختاري ما تشائين، فهذا جزء من الاتفاق. أأعدك بالدعم؟ ماذا تتكلم عن اتفاق، فلتعالج مسألة رايك لأنك ستحتاجينه - لماذا؟ لأكون الزوجة التي تريد؟ - أجل.

- أصبح لك تزوجت حتى تتخلص من الخراج الفتيات في طلب الزواج منك؟ لا أفهم، فالأمر يبدو عكس ذلك. تزوجني لأنك في الحقيقة لا تريد زوجة.

وقف جائيس في وسط الغرفة يستمع إليها هذه ثم أجاب: - أنك تبالغين في تفسيرك الأمور - أنا إنسانة عادية وحسب. - نظر إليها متوقفاً: - لا تحاولي خداعي يا ليز.

إنه على حق وهي تعلم ذلك. أحياناً لا تفكر على فهم نفسها، فانكأت على حافة السرير تسأله غير مبالية بمقابلة كلامها:

- أليس هذا السبب الحقيقي لزواجك مني، لأنني إنسانة عادية فاجأها بهوته وبرودته عجيبة: - اخترتك لأنني لم أريد زوجة قد يصبح لها نفوذ عليّ. لا أريد الرضوخ لسلطة أية امرأة.

قلته يسخر غير مصدقة أن هذا الوجه القاسي يفتش سيطرة امرأة ومطلوبها. لكنه لم يشم وتقلعت عضلات وجهه. لا يد أنه مر بشجرة مؤلة لا يريد أن تتكرر مرة أخرى. إنها ولا شك بولا. - ألا تريد أن تحب أحداً؟

وعنها بنظرة حزينة اختصرت ما يعمل في نفسه وأجاب بتهكم: - بل على العكس، شرط أن يقتصر الأمر على الناحية العاطفية. أدركت الآن أنه تزوجها بسبب ثقته بها ومن غير أن يشعر بشيء. نحوها. خزاعها وروثه من عدم قدرتها على إيداعه جعلها يختارها هي واستغل ضعفها للهروب من تجربته الآثمة. استعملها درعاً يقيه من شرارات الماضي ولسماعه، فعقد اتفاقاً ونعاهداً على الشراكة لكن عليها أن تحمي أيضاً نفسها من الأذى. ما قاله الآن جرحها بالرغم من علمها المسبق بحقيقة شعوره نحوها، فقد سألت عن سبب اختيار قائلة مثلها لزوجته له في ليلة عرسها، وكانت جوابه مؤلماً كما الآن. قررت التحدث عن شيء آخر لا يتعلق به. ولذكرت نزهتها اليوم فقالت تكتم دعماً يكاد يتفجر غريزاً:

- اشتريت ثوباً جميلاً اليوم. إنه في الخزانة. - ألقى جائيس نظرة سريعة على الخزانة معلماً: - هذا؟ هل هو للليل أو للذهاب؟ - ارتبكها نظراته الغاضبة إلى الثوب: - للذهاب على ما اعتقد... سأرتديه غداً مساءً وسيبدو أجمل عندما ألبس.

- أرجو ذلك. - ذكرها جوابه ببولا وعظمهرها البديع. لا شك في أن مراقبتها له في أية مهرة من شأنها أن تقضي جزءاً هاماً من الفرح والهبة لما تنتص به من جمال وشهرة.

استعدت ليز منذ الصباح الباكر للذهاب إلى منزلها لاكتينيش، فلبست شعراً في عمل بجوار للفندق يعتبر الأفضل والأغنى في باريس كلها، وقلمت أطرافها وسببتها. لم تر شعراً بهذا الشكل منذ فترة طويلة، فقد اعتادت غسله وتصفيفه بنفسها وتشطبه بطريقة عادية ليتهدل على كتفها.

أما اليوم ونزولاً عند ظليها، يذل عامل التحل جهداً بارزاً في تغيير نرجسته
قيمت حينها المكتسبتين أكبر وأجل.

خرجت من المحل راقية وانجبت مباشرة الى القنلق وجلست أمام
المراة تنظر بعين فاحصة الى نفسها، ثم نهضت تحتال فرحة بين غرفتها
وغرفة الاستقبال وكأنها عارضة ازياء، فجأة، سمعت تصفيقاً ناعماً
فاستدارت للجد جاييس واقفاً قرب الباب مبتسماً، فجمدت في مكانها يعلو
وجبتها الاحمرار.

- مرحباً يا ليز، تهدين فرحة على غير عادة.

- لاني غيرت نرججة شعري (ودارت حول نفسها تسأله) ما رأيك؟
أوما براسه اعجاباً وتناول ثلاث علب جلدية زرقاء من حقيبتها.

- معي هدية لك.

لا شك في انها علب مجوهرات فضحكت في سرها لانه لم يسبق لها ان
حصلت على هدية مماثلة منذ ان ولدت عن امها سباعية ذهبية قديمة. فكتحت
العلبة الاولى وشهقت شهقة عالية لا تصدق ما تراه عينها:

- يا الهي!

سوار من الذهب الخالص مرصع بالاناس ليرتاج على راحة يدها
كالتنجيم الساطع في قبة السماء. لم تتمكن من فتح العلبةين البائتين، فبداها
ترجعتان وعيناهما زالقتان جاحظتان. تقدم جاييس ضاحكاً يساعدها.
احست بانها مستغيب عن الوعي حول المفاجأة، غير مبالية بما سيظنه جاييس
لرؤيتها بهذه الحالة من الذهول. عقد من اللؤلؤ ليزين جبينها، علفت به
حيات من الجلاء مقطعة بماء الذهب. في العلبة الصغيرة يرقد زوج من
الحلق ترينه هو الآخر حيات لؤلؤ ليناسب مع العقد. هتفت بدلال:

- لم انتخب لاني بعد ولكني سأفعل ذلك قريباً.

- لا داعي لذلك، يكفي ان تضعيها على اذنك.

اخرجتها من العلبة برق:

- لكنني قد اقلدها، سيظهر صوابي ان فعلت.

ضحك جاييس من هده:

- لا تهتمي لذلك،

- عند أصاب ماخون، هدايتي. لا انتظ قنلق عدة مشكلة. ما

شوي الجديد.

- لست معفاهة على الجواهر، اليس كذلك؟

احكمت تثبيت السوار حول معصمها محبة:

- كلا، لكنها تناسبني تماماً. انها تطابق ما كنت أفكر بشرائه لو بقي لدي
المال الكافي.

- يبدو انك مررت بأزمة مالية، ألم تدخري بعض المال؟

انجبت نحو المرأة لتضع الحلق تبحث عن جواب متع. لن تجربه عن
استغلال باري لها وانماها كل ما غفلت على مؤسسه فستبدو عندها مقفلة
للغاية.

- أتعني من مهنتي؟ ما زلت في بداية الطريق وبيرجلين كان فرصتي
الكبرى.

قال جاييس بطمئنا:

- لن تضطري بعد الآن لانتظار الفرص.

- انها حقاً هدية رائعة سأستمتع بوضعها الليلة. شكراً يا جاييس.

يسكن جون لاكنش و زوجته فرناند ضواحي باريس، في منزل رافع
شامخ على تلة صغيرة. ليس كبيراً كبرجلين لكنه يشرف مثله على مناظر
طبيعية خلابة. نهر صغير يشق طريقه بين ترع خضراء محاطة بمنازل تسورها
أشجار الجوز والسرور الضخمة. انه منزل ريفي صرف يجرب فيه جون
من عماله العمل في باريس والامتناع بأسطبله ينشد القرد والراحة مع
زوجته.

رحب صاحبا المنزل بليز وجاييس بحرارة وقاداهما الى غرفتها ليرجعا
قليلاً قبل الانضمام الى بقية القديسين. دخلت ليز الطعام على الفور وخرج
بعد دقائق وقد اودعت ثوبها الجديد، مشرقة الوجه. راقها نرججة شعراً
تبلبله نعمة. انفضى تقريباً ثوبها الباهت وركبت وجباتها آل نفوراً
وعيناهما انقر الساعاً وسحراً.

احكمت شد الحلق على اذنيها وانضت الى جاييس، المتعدد على السرور
يرجع احد حالاته، مماثلة بغيره.

- كيف ابدو يا جاييس؟

- عرفت.

هو أيضا بدا مدعشاً وجذاباً، يستقره الحمر والسرور والحريرى. غنى يصف شعرة بيده، فتصير لوانها من الذهب، ثم تعلم كل العلم انه لم يفعل ذلك، فالاعمال والارواح تار ملهبة والخامر الوحيد هو الذي تطاله السنة التار. - حان الوقت يا جاكس، من الأفضل ان نضم الى...

« كما ترونين يا سيدتي الجميلة، نزلنا الصلابة، عسكة يذراعه مشعرة بالتفكير كيف سيضيان ليديها هيا، لحد الخلفه سيعدون الى تلك القرفة ما يسببها الحراة كثيرا نظراً لوجود مرير واحد فيها، لم تعرضي على قلبه ولا نحت الامر منه، عليها لعب دور السيدة فتتوك حتى النهاية حذافاً على سميتها وتضبطاً فلا تلتقي.

أبشئت لي لحظة وصرفها الى أسفل انها ستكون بحظ أنظار الساهرين بعدداً لتعليقاتهم، وقربحت عند دخولها القاعة بالحدى السيدات تصارع الى تغليب جاكس مستوحشة باهتمام؛

« أين العزيزة بولا؟

استمع جاكس من غير ان يجيب وأكمل طريقه تسكاً بذراعيها بطرفان أرجاء القاعة.

لم تكن الشهرة في جعلها مبدعة كبديتها، وتلقى المدهون بولا اكراماً جاكس، فحلفت لتعليقاتهم وانصرفت لوز الى الكلام مع السيدة لافلتيش، مبدعة رأيا في ما يجب عمله في فترة النوم، وكيفية مرج الألوان لتتوصله على ما يتناسب مع لون الأثاث. أصعبت صاحبة المنزل بذكاها ومهارتها، فأبتها قريبا طوال الشهرة تلتزمها الى أصدقائها كاذكي مبدعة على الاطلاق. معظم الرجال من أصحاب المعامل والمصانع ورجال الأعمال، فلم تقتصر الحفلة على النساء فقط، بل دارت أحاديث جانبية حول امور العمل والامانج وغيرها من التفاصيل المتعلقة بشؤون الانثى وشجونه. راقبت ليز زوجها يتحدث الى الباقيين جاذبا اليه الانثى، فاستحوذ على اصحاب الحاضرين وراحوا يتهايمسون فيما بينهم ولم تدرك ليز ما اذا كانت هي المقصودة بوشواتهم أم جاكس نفسه، لم تتمالك احدى السيدات نفسها فاقتربت من ليز مستعجلة:

« انت مغرولة لزواجك من هذا الرجل، اجابت ليز متظاهرة بالبساطة: - شكراً.

أبدت الشهرة الى ما بعد منتصف الليل وتحويت في النهاية الى جلسة هدي منها الأزواج حول مائدة النساء بينما نورعت الزوجات في حفلات متباعدة يتحدثن عن آخر الأزياء وأحدث الترميمات وغيرها من الأمور المضيئة مما بحث في الكثير منهن الملل والتعالي.

سبقت ليز زوجها الى الغرفة ليزيل عن وجهها آثار التبرج وتبعد للنوم، صغرت شعورها أمام المرأة ثم الحمام ثم ارنات قميص النوم، وبخرت لتفاجأ بجاكس جالسا على الأريكة يتفحص أوراقه ويراجع مذكراته للمرة الأخيرة. غلفت ليزها في الحراة والدمسة في الفراش. ليس راسياً كخافية لكن عليها ان تتفاجئ مع رجل يدعورها زوجته وتزداد تعلقاً به يوماً بعد يوم بالرغم من انكارها ذلك ولمتابعة عن معاملتها بهذه الصفة. لا يجب ان تسمح لنفسها بالوقوع في هواء، فهذا ليس جزءاً من الانفاق. لن تلقى منه سوى الألم والعذاب ما دام لا يعترف بالحب ويرفضه. تحدثت نعية على حافة السرير تحاول التظاهر بالنوم علمه بمتع عن لبها او التحدث اليها، لكن، ما ان اغضضت عينيها حتى استلقى قريبا قائلاً:

« أتمنى لهذا الوضع، لكن الغرضين يتحولن بروح عملية عالية، - لا بأس.

علت ضحكته رنانة:

« أتصدقين ان قلت اني لم احاول أبداً استبدال القوة مع فناء؟

قلت لو يثرب منها أكثر، ويضجها الى صدره الداق. يرقه فيجعلها تبكي وتضحك في آن معاً، ويشعرها بأنها امرأة تشفق الحب والحنان لكنه لن يتحرك من مكانه ولن يصدر عنه غير الكلام. نظرت الى الحضان لتتلف عن نظرتها كاختلافها حول الحب، فهو لن يجب انه امرأة فرصة التسلط عليه بعد تجربته مع بولا.

« أجل اني أصدقك. لا أعنيك خارجاً عن طورك وخاصة معي.

أكد على موقفه متدياً وجهه من رأسها، فشرعت بلهائه يرخف على عفتها وحول انبها مسبباً شحشات خفيفة من الارتعاش في نفسها.

هل ترحلين بي؟

أجابت وجهها ناحيته تخطي في بشرته الدافئة وتفران بينها وبين قطاة السبرير الناصع البياض، أحست بجل شديد في لحيه، لكنها لا تدري عاقبة ذلك، وفدأ سيحصل إن قالت له أجل؟ لن تعمد زوجته بالاسم فقط فعل يعبر هذا من الأمر شيئاً؟ إنها تريد وتتمناه زوجاً هاسكل جوارحها شرط أن يحبسها أحياناً توشك أن تنفد في وجهه كفي بضمها أو يقبلها لكنها لم تفكر أبداً في عواقب فعلها. إن تليل أبدأ بأن تذهب أبعد من ذلك معه، إلى أن نتأكد من حبه وخلاصه هذا.

أرجعت رأسها مجدداً وأجابت بحزم عنقوف:

لا شكراً.

لم يزعجه رفضها وأردف محافظاً على إيمانه:

قد تجدين الأمر ممتعاً.

لم تعده الرفض ليس كذلك؟

لا وجود له في حياتي.

هذه ما توقعته (وأردفت مبتسمة) لم يكن تصرفي سيئاً القليلة. لم أرتك

كيا كنت أظن. من ساقابل غداً؟

تبلد جاني تنهيدة طويلة واستدار يراجعه حلق العروة يستعيد برنامج الرحلة التالية. سهرة أخرى يقضيها معاً، متكئين على وسادتها في سرير واحد، يجرها عن الأيام الثقيلة وعن رحلتها إلى بروكسل واسترادم ثم هامبورغ حيث سيجتمع إلى عميله ويقابل بعض الزبائن. كلمها عن دورها وعن الاجتماعات التي ستعدها مع زوجات مثلي الشركات، وقبضها بلذاعة لعمليها. استمعت إليه بارتياح مخمصة حينها تحلم بالأماكن التي ستزورها. أحبت بأنامته تداعب ضفائرها مقترحة:

من الأفضل أن نتخذ إلى النوم.

لم تعترض، فاضاً النور وقده من جديد إلى جانبها وما لبث أن علا شعيرة. غطى النوم عينها وأحست بحر شديد يكاد يبلقها، ويعرق يارد يتصب من جنبها وغلتها. يد حاسي الخربة منها تفللها، تخشى الاستسلام لنوم فربما تحركت ناحيته من غير أن تشعر. لازمت حافة السرير لفترة تكن في النهاية وضعت عيناها السطوة الكري فأنغمستها

مستسلمة لنوم عميق. استيقظت بعد وقت قصير مذهورة على صوت رعد لوي، ولا شعورياً سمعت القطاة تضيء به وجهها، والتصفت بجانيس موقفة. أثنى جانيس مذهولاً:

ما الأمر يا ليز؟

هل كان ذلك وعداً؟

نصت جانيس لبرهة ثم أجاب:

أجل، لماذا؟

توقعت ليز على نفسها راضية راحتها على قدمها وغمغمت:

الخشي العرود وخاصة في الليل.

المشاجرة أولاً، والآن الرعد ليلاً.

كابوسان رافقا حياتها منذ طفولتها ولم تنر على التخلص من عقدهما، فكبرت وكبرا معها يلقان راحتها ويقضان مضجعهما.

أجل

لماذا؟

هممت بصعوبة

لا أدري.

خيمت لحظات صمت على الغرفة، لم يسعها خلافاً ما يشير إلى اقتراب العاصفة

إذا سمعت الرعد مرة أخرى، انطلقيني وسأجده ما يلهيك عن التفكير

عاد إلى النوم من جديد بينما بقيت ليز جالسة نصت بالثناء حامية رأسها باتوسادة. لم يتهدأ إلى مسيحها سوى ثقب يوم قريب، لهذا روعها واستسلمت لحدوها

لن تنال خفة عن إبطاه إذا أحست بهبوب العاصفة ستطوقه بذراعها إن اضطرت وستدفع وجهها في صدره. خوفها من الرعد يفوق حاجتها منه وإلى نومه سوي محبته نفسها من العاصفة. تكن شيئاً لم يحدث، ففقت من جديد غير آية يده تعض يدها.

٨- الحقائق النفسية

أتاحت رحلة العمل لليز، الفرصة لتدرك السبب الحقيقي لثراء جاييس، وافته أثناء العمل فلاحظت مدى سطوته وقدرته في هذا المجال، وامكاناته الفائلة في قبول أي عرض وتأييده بها بغير أن يحجبها كنهه ومثابرتة، لا يعرف الانزمام أو التراجع أمام أي شيء، فهاجسه الوحيد الشاغل، انه هناك قريباً لكن تكثرة انشغاله بالامساك والاجتماعات لم تحط بالجلوس معه بمفرده إلا نادراً. كانت يلتقيها مساءً قبل النوم وأحياناً كثيرة يغلبها التعاس قبل مجيئه.

تكتشف أثناء اقامتها في باريس من تغير بعض عاداتها، فأجابت الى حد ما لعب دور السيدة عتيقة. ارتدت الثوب مختلف الأقسام، جديدة التصاميم بدت فيها حذابة. تطورت ملامح وجهها واستطعت تتربص عن الأكثر من المصاحفين. مع الأيام توطدت أواصر الألفة بينها وبين أصدقاء جاييس ولتكت من كسب ودهم، من جهة عملها جاييس كروخ مثالي أمام الآخرين. وعندما يثلب بعضها بتصرف معها بطاعة وتسامح، فاعلمت معه أوقاتاً مسلية أظهر فيها الكثير من التفهم والصبر خاصة عندما يلجأون الى النوم. لم يغلب أبداً ممارسة حق الزوجي معها، فأنزل ذلك شكوكها وكادت تنهه يتأمين حاجاته مع غيرها. لكنها كانت مقلقة على برامج عمله وانها كانه يعتقد الاجتماعات، ومتأكد من أن لا وقت لديه لأمر كهذه، كانت تكذب وتقول انهم انفسها بأنها غير مهتمة بما يفعل، لكنها في الحقيقة لا تحصل وجود امرأة أخرى تبارعها ما يتفلسف، وحتى في شهر عمل كهذا.

تكتث من اتاع نفسها في النهاية بصواب رؤاها من جاييس، مادياً واجتماعياً. فذلك متوافر معها بكثرة وهي الآن زوجة رجل أعمال شهير وناجح، وقريباً ستعود الى بلدها لتكوين سيدة منزل احلامها. قد لا يتوهم زواجها منه، فيقرر جاييس في أحد الأيام ارسال أوراق الطلاق لثراء بعد أن يكتشف انه اعطى في اختيار المروس المناسبة، ومن الأفضل أن يعود الى أحضان بلده، لكنها ستحفظ معاملها ولن تنسره مع الزواج، وهذا اجل ما يسمها. وعندها جاييس يمد يد العون اليها في هذا المجال، وهي لم تال جهداً الفاء. رحلتها في جمع الكثير من المعلومات والتصاميم الجديدة، وأخرها ابتكرته شركات الديكور من فنون التزيين والهندسة، فمالات صفحتها عديدة بتصاميم، عن غرف نوم وغرف جلوس ومعامات وحدايق، ستادات من رحلتها باكتسابها خبرة جديدة في مهنتها، ومسحة طريفة من الشخصية وودعها بها الشاب الفاعلة والمثل الوفير.

لم تشعر بأي المزاج عند التراب موعده مغادرتها باريس، المتناقت الى مزاج قوي السهل، تريد العودة الى تلك الجدران الخشبية الضيقة، والحد من المتعبسة المتناوبة، تشاهد منظر الغروب وانزواء الشمس خلف تلك التوابل الخضراء المحيطة ببرجين.

هبطت الثقافة في البلدة المخصصة لها وسط حديقة تيرجولين، وترجل منها جاييس ليساعد ليز في هبوط السلام. تقست الصعداء عندما دأبت الأرض، فقد صادفها في الحدة الأجنبية على ما هو متبع او تفعل طوال حياتها. تذكر أن حبيبها من هذه العلوطة كانت غريبة. انها كالسيارة انصهرت، وقد طست أحدها ليز.

لا بد من بعض التغير في الحقائق، وفي جدران المنزل الخارجية، المخصصة ليز، فقد جازت بعناية وترتيبها والسور الخشبي قد طوي بالتيان. أعصاب القنديل اختطت تماماً، والورود فلا المكان يزهر وولال. تم تشييد أشجار الغار فيدا الوادي السحيق اقرب وبات بإمكان ليز التمتع بالشهد القديم عن كثب من نافذة غرفتها.

بأنزغم من التحسين التي طرأ عليه، لم يفقد تيرجولين مسحة البساطة والانزواء التي تزيده جمالاً وسعراً. انه صورة مطابقة لما تصورته ليز عند قدومها الى هنا للعمل. منزل عجموز جليل غداً الشيب شعره قابع على

عرشه بين حوريات الزورود.

هكذا وصفه لها طوم في تلك الليلة على العشاء. تذكره جالساً امامها يتكلم عن حدائقه ومشاريعه فأحسّت بشوق الى رؤيته من جديد في شخص جاييس، ولنت أن ترجع شخصية طوم الى زوجها. عفا عليها جاييس وهو يساعدنا في الالتئام عن الطوفان قبل ان تطلع. - ارجو أن تحمي يده السعادة داخل المنزل أيضاً. لم نفرك الغرض من كلامه فطرت الى المنزل. نحن النظر في السائر المعلقة على قسم من نوافذ الغرف وليلاً على الانتهاء من العمل فيها. أسرعنا الخطى نحو الباب ملهوفة لالتقاء نظرة على كل زاوية من الزوايا. اغلقت الاعشاب عن الدرجات، والسور الحديدية على الشرفة بشع بلونه الجديد. كان الباب مفتوحاً خلف ازامه امرأة مرتدية ثوباً فضياً طويلاً يشعرها الرمادي ووجهها الباسم. حيائها جاييس ومد يده مصافحاً ومقدماً ايها الى ايز:

- اقدم لك السيدة هورايين متساعدنا في تدبير المنزل.

تبادلت السيدتان بالقبضاب كلمات الترحيب والمجاملة، فليز كانت مأخوذة بنفحص غرفة الاستقبال والبنديق محتوياتها. انها كما توقعنها، ألوانها متناسية جدراناً واثاثاً. بلاطها الرخامي يزيدنا فخامة واجبة. غاب الغبار وغيوطة العنكبوت عن الزوايا والجدران الى الأبد. كل شيء يوحي بالنضارة والحياة. فأحسّت ان اجزاء المنزل كلها ترحب بعودتها. الفت نظرة فاحصة على غرفتي الكتب والطعام، لم تبدوا راضيتين كما اليوم، نضجان جبالاً وتنسيفاً، وانخفض منها صدق الفراغ والوحشة. أوراق الجدران جديدة مزخرفة، نقشت عليها رسوم الورد بدقة كما صممتها ايز. وأعيد تنظيف الاثاث وطلبه فبدأ ارقدا في جوه العائيق برائحة العفلاء. تساءلت ليز عن شعور بولا وقد تبدت حلمها بمشاركة جاييس العيش في هذا الفردوس الصغير. انها الآن سيدة هذا المنزل بدلاً منها، فأحسّت بالرتاء لحالة غريبها وفي الوقت نفسه بالخوف. شعرت بالضياع من جديد فهذا المنزل لم يعد كما تركته لست أسابيع خلت. . . بقي عدد من الغرف من غير تجهيز فضحككت في سرها. انها بحاجة الى القيام بعمل ما اتناه اقلتها هنا ويستهي المنزل الذي يمثل أحلام طفولتها وشبابها، مستخضر فيه

كل امنياتها ويملؤه بكل ما حرمها القدر منه.

جالس جاييس على مقعد وثير معلقاً:

- لقد تخليت عن منزلي الآخر في سبيل الابداء على تيرجولين فانا اعطيت هذا المنزل.

أدركت ليز من كلامه استحالة مشاهدة المنزل الذي ولد وعاش فيه في بلدة باكتنهام شابر. دخلت السيدة هورايين ويرفقتها شاب في مقتبل العمر بدا وكأنه البستاني، وسألت جاييس:

- هل أمر جاك بنقل الحفائب الى الغرفة يا سيدي؟

التقى الفتى النحية ووقف قرب السيدة هورايين يتبادل ابتسامة ترحيب مع سيد المنزل.

وضع جاييس يده على كتف ليز قائلاً:

- لم نختر الغرفة التي ستنام فيها. ولكن ليز ستقوم بذلك في الحال. صعدا معاً الى الطابق العلوي ولما أيقنت ليز ابتعادهما عن مسامي السيدة هورايين قالت:

- لا أكثر كثيراً لنوع الغرفة. كل ما يهمني أن أكون بمفردي فيها. أجاب جاييس بلهجة غظة:

- لا تكوني سخيفة. أنت زوجتي ومن حقلك الحصول على أحسن غرفة في المنزل، وأفضل أن تكون قريبة من غرفتي.

لمست ليز بالضياع كامل:

- حسناً.

وقفا أمام غرفة النوم الرئيسية التي ابنت هندستها قبل رحيلها لتجد ستائر جديدة تناسب زخرفتها واللوان السرير الخشبي الفاخر والسجادة الكبيرة المنددة في ارجاء الغرفة. تحول حلمها الى حقيقة. فهكذا تخيلت الغرفة أثناء تحضير ديكورها، لتليق بنجمة سينائية مشهورة كبولا كافيل. أحسست ليز عن الدخول وبقيت واقفة في الرواق من غير حراك، تشم رائحة عطر ذكي أدركت على الفور انه عطر بولا. انها الوحيدة التي تستعمل هذا النوع من العطور وكانه صنع خصيصاً لها. كانت الرائحة قوية، مما يدل على أن صاحبها ما زالت في الداخل، أو انها غادرتها منذ لحظات. توجه جاييس الى غرفة الزينة تبعه ليز بقضول يعلب عليه الغلق

والخوف. ان كانت يولا ما تزال في الداخل فستركها مع جايس وتعود ادراجها بسرعة.

وجدت الغرفة خالية، إلا من اثاثها الجديد. دورها تعبق أيضاً برائحة العطر وفي وسط الطاولة الموضوعية بحذاء الجدار، صورة كبيرة ليولا تظهرها ضاحكة جية. ولفت ليز خلف جايس نقراً ومائة قصيرة، تجاسرت يولا وكبتها بأمر شفاهها.

- أهلا بك يا حبيبي في تيرجلين.

توكت ليز لغفاتها سرية الظهور بجلاء حل وجهها، فجايس يقربها قهراً ولا يستطيع ان يلاحظ ما يتساقط من بين كتفيه، جامداً في مكانه جلق في الوجه الضاحك أمامه. فغلقت مثلعبته:

- يبدو ان يولا لا تصديق ان ما يتكلمنا فيه انتهى، وقات الأولن على هذه الأساليب.

لم يجب، وكأنه لم يسمع ما قالت، فاردفت:

- لكن لا شيء يجزئك حل وضع حد لمعاتكنا، لهذا يميزه نوع زواجنا. بإمكانك اختيار المرأة التي تريد، اما ارجوك تجنب السداع ولكن مسرعةً نجي.

- لن نخدع أحداً الآخر، باستطاعتك البحث عن مساعدتك ان أردت لكن، على أيضاً أن أعلم بذلك. وأخبرك من مية معرفتي بالأمر عن طريق أحد مائنا.

وافقت ليز على كلامه مغلوطة حل لمرها، فهي تجنب منذ البداية معرفة علاقاتها بغيرها.

- حسناً كلامك جيد.

مر جايس بحذاءها خارجاً من الغرفة، فبعته حتى السلام لتراه يدخل غرفة مكتبه ويفتح الباب خلفه. أيقنت انه يحاول الاتصال بيولا. فهو ولا شك يعلم ان يبعدها وهي ليست بعيدة من هنا لأنه لم يمس على مغادرتها تيرجلين فترة طويلة.

لم تكن قبيرة بطبعها، ولا تصارعت الى فريق صورة غريبتها وجولتها الى السلاء صبرية بدلاً من ان تهني نفسها باختيار الغرفة الشاسعة.

سارت حتى نهاية الرواق ودخلت غرفة جاهزة طليت جدرانها مؤخرًا.

أقيمت هذه الغرفة منذ اللحظة الأولى في عملها فيها. وقفت في وسطها فمن النظر في محتوياتها تشبه الانصباب. أكلتها الثعب وأزعجها ما أمر عليها في الشهر النصرم إضافة الى ما رافق رحلتها من تقصص سيء وعواصف وجديفة. أحست نفسها تائهة في مشاهد القضاء ولا أحد بإمكانه مساعدتها.

عادت الى مزاولة عملها في ما تبقى من غريب غير جاهزة ورفضت عرض جايس باحضار طريق كامل من العمال لمساعدتها. أرادت انهاء العمل بنفسها فذلك من متطلبات الشهرة التي تسع إليها. شعرت بحاجة الى من يدبر شؤون مكتبة الكنائس قرب مسكن بيريرا والى، وتكثرت بعد جهد من تدبير ذلك بعد ان أمضت اسبوعاً كاملاً في ضيافة سيدليتها القديسين وأغاثت ترتيب المكتب بمساعدتها.

لم يظهر جايس نقاصاً في عذبة العون الى زوجته وأبدى استعداداً دائماً لتجديتها ودعمها. حاول بما لديه من معارف وعلاقات وطيدة مع مختلف الشخصيات الفاعلة في المنطقة ان يجد لها الطريق لفتك لشار الشهرة بسهولة قصوى. لكنها فضلت قطع المسافة عمقوة خطوة وحكي الثمار بيديها وعرفى بيرينا. تحول تيرجلين من منزل قديم مهجور الى شبه صالة يؤمه الزوار من مختلف المناطق المجاورة، والحق الحلم الذي راود ليز منذ طفولتها وانماثل عليها العروفس من كل حايمة وجوب. تناقلت الألسن اسمها وغزت شهرتها مدناً جديدة، ومناطق قديمة. زادها تألقاً انتشار قصة زواجها من جايس فتوت، الخبير الذي تزوج من مهندسة ديكور، أصبحت أعمالها موضوع أحدث الناس وتعليقاتهم. ابتسم هذا الحظ في الميدان الوحيد الذي أقيمت، عملها وبنة مستقبلها مشرقاً وناجياً.

وزع جايس وقته بين تيرجلين والشركة، فأمضى في منزله ساعات مريحة بالترتين، سعيداً بالتحول تيرجلين الى مكان يضيح بالحركة والطاقة، ولتعرفه في هذه المناسبة الى اصدقاء زوجته. خلال قضيتها شهر العمل، كتبت ليز الى اصدقاءها الذين عرف معظمهم بأمر الزواج عن طريق الصحف والمجلات. شرحت لهم ظروف زواجها، معتبرة عن عدم دعوتهم الى حفل الزفاف. لم يلحها أي منهم على تصديقها، فهم يعرفونها على حقيقتها معظمهم قدم في الأسابيع الأولى إضافة الى قرابة وابن اللذين

أنضبا غطلة الأسبوع عند ليز. أعجب الجميع بالنزل وأطروا على جودة عملها وحسن ذوقها. متمنين لها طيب العيش ورفاهية الحياة تحت سقفه. أشدهم حماساً كان آلن، فظهر سعادة لا توصف بوضع ليز وشهرتها. أما بربرة فأبذت بعض التحفظ، فظهر ليز بظهور العروس السعيدة والحاصلة على كل ما ترغب لم يصرف صديقها عن الخوص في أمور شخصية أكثر أهمية معها. لم يرق أمر الفرفنتين المنفصلتين لبربرة وأثار فضولها.

لا يغفل أن يتم زواجه، لم يرض عن زواجهما أكثر من عدة أسابيع، في غرفتين منفصلتين، بدلاً من أن يسرقا الحببات ليكونا جنياً إلى جنب. سألت بربرة آلن أثناء زواجهما في الحديقة المحيطة بثيرجلين:

«لا تظن يا آلن أن هناك سبباً مهماً لاختلاف كل منهما في غرفة؟»

«ربما هذه عادة السكان هنا.

لم تقنع بربرة بجواب زوجها مستعجلة وصفت ليز الزواج بأنه اتفاق أكثر مما هو علاقة سعيدة لفصحة حب. فبالرغم من أن ليز تبدو أحياناً جذابة، يبقى جايمس فتون الرجل الذي لا يفضل شخصية لوالته وحيداً. قالت لخطي: زوجيها:

«لا، لا أظنها عادة محلية.

أحاطت إلى خصمها بذراعه عجباً بتعجب:

«وهذا رأيي أيضاً يا حبيبي.

أفقت ليز، انقلب ختم جايمس من منزلة القديم إلى تيرجلين، فكلمهم عرفوا بولا ولا شك في أنهم يمشوا الفارسة بينا وبين سيدتهم السابقة. منذ وضوهم، أبدوا طاعة وغوراً تامين لكن، لم يظهر أحد منهم حماساً يذكر لتناول الحديث معها مكتفين بالقيام بأعمالهم والانصراف بعد ذلك إلى الأبنيتهم بأمرهم المباشرة.

عندما حاولت أن تسر غور السيدة هورابن لتبوضح بعض الأمور حول طقوس جايمس، وعن والده وخاصة عن والفته التي أسلمت الروح بعد ولادته بساعات. كانت تصفهم ذاتها بجدار من الصمت، يشبها عن الاسترسال في محادثاتها، خوفاً من ردة فعل الحادثة المعجوز. الثاني الوحيد الذي حاز مودة ليز هو آل جيلاي، فروبرت تحمل في الآونة الأخيرة

عن نهوب المدمية وانكشفت فيه شخصية ذكية، فذة وحكيمة، ترقق أحياناً إلى روح عذبة وشعر بأحلامها الشديدة الجماس. كما رويته ليليان فقد دأبت على مواظبتها كظلتها، من غرفة إلى أخرى تسليها بشربها أثناء العمل. وأنها لعبت سناً أكدها من جيلها حليفة زوجها، فقد أخبرتها ليليان عن دهشتها عندما أعلمها جايمس بزمه على الزواج في حفل بسيط، بعيداً عن الدعاية والآفة، وأصررت إليها متى مرور روبرت مؤيداً جايمس سعيداً وراضياً مع عروسته وفي منزله. عامل جايمس فتون ليز باحترام واحترام، فلم يحفل عليها بشيء، ولم يعد يوماً إلى تيرجلين إلا بمحلاً بالمذايا كما من غير مناسبات، فحوت خرافتها مجموعة نقية من الجواهر تناسب مع قطع سائفة لثمنها في الحفلات والسهرات. صفتها كروية انصرفت على منحها اسمه ومعاملته لها، فلم يتخط يوماً باب غرفة نومها، وفي المرات التي يسطر فيها للمعيت في منزل أحد الاصدقاء، يتعامل في غرفة واحدة ابتعاداً للشك الخاف في سريرين منفصلين.

أحياناً كثيرة يضطر جايمس إلى الاعتماد على تيرجلين أياً ما عقد، تبقى ليز وحدها، فريسة أفكارها وتسلل لانها، تستسلم للأرض باحة عن جواب يربحها ويغمد ما تناحج في داخلها ولا تعرف بحقيقته، فتروها أحياناً إلى الاجتهاد في العمل وأحياناً أخرى إلى مفعول القهوة. ترفض الاقرار بأن سبب قلقها هو كرهها الخافت للساعات التي يقضيها بعيداً عنها، وخوفها من أن يقضي ليته مع امرأة أخرى بحثاً عن ما لم تستطع تقديمه له.

لم يكن تجرأ شيئاً عن سير أعماله بعد عودته، وهي بدورها لم تحاول يوماً الاستجداء فنبئت أسيرة أرواحها وضحية أرقها وشربها. تحول ليلها إلى بحر من الدموع يبلل وسادتها ولا يبدأ إلا مع شروق الشمس. تلاحقها صورة بولا ويحتم خيالها على صدرها كلما حاولت الخماض عتبتها، فتفيض مدعورة تحاول طرد هذا الفاجس القاتل من مخيلتها، خوفاً خوفها إلى ورقة خريف ترتعد في مهب ربح العيرة والشك فغابت الأشرقة عن وجهها اختفت البسمة في غربة طويلة عن شفتيها.

مرت أسابيع ستة على رجوعها إلى تيرجلين اعتادت ليز خلالها السهر والتفكير، فلا تنام إلا في ساعة متأخرة من الليل بعد أن تفقد الأمل من عودة جايمس. باتت مقتنعة بأن هناك سبباً آخر غير العمل يصرفه عنها، وعليها

أن تكون مستعدة لتلقي الصدمة وانتثار الخطم. دعا جاكس في إحدى
الأمسيات آل جيليان وثلاثة من أصدقائه المقربين. بن وهو منتج تلفزيوني
وزوجته هيلغا المسنة، لكنها لا تضاهي بولا جمالاً وشهرة، وزعل آخر يملك
شركة طيران خاصة ويدعى ريكس.

أمضى الجميع سهرة ممتعة. جلسوا في غرفة الطعام وقد فتحت
نوافذها على الشرفة، وأمامهم صفت أطباق الطعام الشهية التي عملت
السيدة موران يوماً كاملاً لتحضيوها. جلست هيلغا على حافة الطاولة
لتحيرهم عن مسرحية تأمل الظهور في أحد فصلها. حدثهم مطولاً عنها،
شريحة سيقانها، الأساري، وفكرة بن في تحويلها إلى مسلسل تلفزيوني.
أصغت ليز إليها باعجاب، وراقبتها بشغف إذ روي دورها ببراعة وكانها
على خشبة المسرح وأمام جمهور غفير. فجأة نحت خيالاً بقف قرب إحدى
النوافذ، وجمعت عيناها من حول المفاجأة. أيقنت أن أحدهما كان صديقا
وأن وقت الصدمة قد حان، فبولا كاثيل وحدها القادرة على الشجب بها وها
هي تنهيا لذلك. لم يسمع أحد من المدعوين هدير محرك سيارة، وربما
طغى ضجعة هيلغا على وقع أقدام بولا على الشرفة. ثوان، ظلت ليز أن
تراقبها قد ظهرت أمام النافذة بفعل ساحر أو أنها مجرد شبح. تارة فها
بسبب الأوهام التي تعبت بها هذه الأيام. لكنها بولا كاثيل حقيقة. فلم
تتمكن من إلقاء ارتباكها وهي ترقبها داخل الشرفة فأولمت الشهوة على
الطاولة وسرى السائل الأسود في كل مكان. بدت بولا جذابة ساحرة
يشعرها المتهدل بدلال وانحراء على ثوبها الأبيض الفاخر والكاشف عن جزء
جيد من مفاصلها. تخرج منها رائحة عطر ذكية، تلمعت من ليز وعدها
مسرتان في عينيها بتحد بارد، وباعتها بالقول:

«لا تخزي يا صغيرتي، أنا بولا ولحمها رديها (واستندرت نحو جاكس،
بمشمة) أليس كذلك يا سيد قنتونا؟»

نكت جاكس دفعت سيكلاره وأجاب بدهور كلي:
«بكل تأكيد»

أظهر المدعوون اهتماماً كبيراً ببولا ورحبوا بها بحرارة من غير أن يبدوا
بالشرخ الذي أصاب علاقتها بجاكس. كل ما يطمونه أنه تزوج هيلغا
وفي سرية تامة. أحضرت ليز بالملابس التي لا تلتصق بها

وتجوعها من سيده المنزل إلى زائرة لا مكان لها بين المدعوين. وحدهما،
وورثت وزوجته شعراً بالخلق لعشها بحديقة ما يجري، وتقدمهما عراف
زبارة بولا القادرة. أذهلها موقف جاكس، فلم يصدر عنه أدنى تمسك
واجترأ على دخول تلك الأفعى منزله بهذه الطريقة، بل أظهر حذوا
وثوداً غريبين وكأنه كان يتوقع قتيمة. مدت بولا يدها لجاكس وهو يحاول
الوقوف، قالت:

«أرجوك الجلوس يا عزيزي فانا لا أريد السبب بأي (علاج لكم
تجميع الحاضرون معترضين على عبارتها وبلا صوت جاكس هاتفاً:
«ما هذا الكلام يا بولا؟»

لم يبد عليها أنها سمعت ما قاله فقد كانت مشغولة بتوزيع نظراتها بين
طاولات الطعام وأرجاء الغرفة.

«كما تقيمتها قداماً (وحولت نظرها إلى ليز متابعه) طبعاً مع بعض
المفروشات».

لم تكن قاسية في عبارتها وبدت مزاحاً أكثر منها لوماً، وأضاحت بتوهم:
«حسناً، ليز أوفقي قنجان قوية. هل هناك المزيد منها؟»

قدم لها ريكس كرسياً بينما تأملت ليز قنجاناً نظيفاً لعملاء لها. لكن بولا
سارعت إلى القول بلهجة غمرة:

«دعني أنكنك بذلك فقد يسلط من يدك.
تنتورت هيلغا إليها، تتناول القنجان من يد ليز وتسكب فيه قليلاً من

القهوة، سائلة:
«كيف وصلت إلى هنا؟»

«أوصيني صغرتي في الباب الخارجي (واندخت بحلق) فان أسكن
في الجوار بعد أن شئكت جناً صغيراً جعل على البحر»

علت علامات الدهشة وجوه الحاضرين ما عدا جاكس، فلو ركت ليز
علمه المسبق بشراء غرضها ذلك المنزل. أضافت بولا بابتهاج تراقب وقع
كلماتها على المستمعين:

«أحب العيش في هذه المنطقة وأفكر في الإقامة نهائياً فيها بالرغم من أن
منزلي الجديد لا يفي بالغرض. لكنه سيد حاجاتي في الوقت الحاضر.
دأبت ليز على تنيع أحجار بولا ورؤيته صورها في الصحف منذ عودتها إلى

تيرجلين. صفحات كاملة تتكلم عن نشاطاتها الفنية، وتحكي بأسباب من رحلاتها الشاجعة الى أميركا وأسيا وعن عزمها على تقديم مسرحية جديدة. لكنها لم تناقش هذه الاخبار مع أحد، ولم يأت أي من اللين زاروها لتهنئتها على ذكر يولا. لا بد وأن المؤلفين لاحظوا زيارتها المستسر خائس مكتبه وكتموا الأمر عنها وأخفوا قصة المنزل الجديد. نظرت ليز الى يولا صامتة بنظرات الباقيس، تكاد تلتهمها وأيقنت أن المعرفة وافعة لا محالة. هنا الآن وعليها توقع الأسوأ عنها. فهي تظن في مكان قريب من هناك، ويسكب قهوتها من الأبريق الفضي الذي اعتادت استعماله قبل وفي الغرفة التي جهزت خصيصاً لها. جامدت لتتفنى عن مقعدها موجهة كلامها الى الصديقة:

«لا بد وأن منزلك بات جاهزاً، فهل لي بالقاء نظرة عليه.

أجابت يولا بنتمة اعتادت استعمالها يوم كانت ليز موظفة لديها، من غير أن تشيح بنظرها عنها:

«ليس الآن، ربما فيما بعد. ما زلت مهندستي المفضلة بالرغم من سعي المواصل لايجاد بديل. فمن كان يتوقع ما حصل؟

احتقن وجه ليز وكادت عرونها تنفجر، فلم تكتم يولا ضحكاتها قائلة:

«لا ياس يا صغيري، لقد ساعدت الآن (والتيشت الى الآخرين سائلة) ما أخبار كل منكم فانا لم أركم منذ دعور؟

الفت عل جاكيس نظرة عابرة لم تحف عل أحد، وكأنها تهم الحاضرين عدم حاجتها لمعرفة أخباره لأنها تعرفها من جاكيس نفسه. جلست الى الطاولة كصيفة شرف كما لو كانوا ينظرونها لتكمل المجموعة. أصدقه

قديماً، تجمعهم ذكريات حلوة وقصص غريبة، كل منهم لعب دوراً مختلفاً فيها، بشده اللين الى استعادتها ورواية قصوها من جديد. جلست ليز

صامتة تستمع إليهم بدمعة غير مصدقة تأثر يولا عل الحاضرين. لم يأبه لها أحد بعد قدومها، فزالت شعور بالراحة راوذا في بداية المسهرة ليحل محله احساس بالأزواء والوحدة.

حتى جاكيس نخل عنها ليحدث الى يولا وكان أسباب خلافها تبحر في دقائق. ينصرفان كصديقين حميين، تضحك له وتسد رأسها الى كتفه بدلال فيطوقها بذراعه بترده صارخ. شعرت ليز

بأخرج أزاء موقف زوجها فقامت كالطالبة الصغيرة في مقعدها تحثث في

طبقها شاردة مستسلمة للأمر الواقع. لم تسمع غريمتها تدعو أصدقاءها لزيارة منزلها الجديد غداً للسياحة، ولم تنبه إليها تنظر الى جاكيس بعينها الساحرين. وكأنها تشهده على جمال موقع المنزل ومتعة السياحة في الخليج القريب منه. انها مثلة قديرة لا تعترف بالخسارة بل تسعى دائماً الى نقل ما تريد بشي الراسل. شعرت ليز بوجود أيقاف غريمتها عن الاسترسال في لعب دور العاشقة السرية أمام أصدقائها فقاطعتها قائلة:

«من الأفضل أن أسارع الى تنظيف قماش الطاولة قبل أن يصعب علي إزالة آثار القهوة.

نهضت تغل الألباني والفتاجين عل عربة صغيرة بينها علا صوت يولا مقترحة:

«هل نتقل الى غرفة أخرى أم الى الشرفة؟ فالهواء منعش في الخارج، تركتهم ليز يتناقشون أمر الانتقال وجرت العربة الى المطبخ حيث سلمتها الى السيدة هورابين، ودخلت غرفة الغسيل لتنظيف قماش الطاولة

الحريرري. تبعها ليليان جيليان، ولما أصبحت في الداخل سألتها باهتمام وقلق:

«ماذا ستملين بشأن دعوة يولا غداً يا عزيزي؟ أتراني ان تعذري عن تلبيتها.

بدأ صوتها كصوت بربرة وأحسنت ليز للمرة الأولى خلال هذه المسهرة باهتمام أحد بها بالرغم من علمها بعقم مساعدة ليليان لها.

«أعتقدين أن هذا هو اخل المناسب؟

«في الحقيقة لا أعلم. لكن اذا قررت الذهاب فعليك أيقاف يولا عند حدها، ولا تسحي لها بنمضية وقت طويل مع جاكيس. ماذا سيقول

اليابون عنك؟

ابتسمت ليز بحسرة لتحيل نفسها لحاول مناقشة يولا في انقائها وجمالها، فلا أمل في ذلك أبداً. اردفت ليليان بجديّة:

«انها تظهر لك بوضوح عدم استسلامها وعدم تقبلها لما حصل. وجهت لك ضربة موجعة بشراتها ذلك المنزل في الجوار، وهذا سيحرم

زواجك من جاكيس قرص النجاج. ادركت ليز أن آل جيليان لم يكتشفوا الحقيقة بعد، ولم يعرفوا أن حقوقها

تقتصر على الناحية المالية فقط. لئلا يعلمان بأن زوجها قد انعم عليهما حتى الآن بأعداها ولا شيء غير ذلك، وإذا أراد أن يصبح وريث يولا من جديد فليز يبتني أحد. أجابته تدافع عن زواجها القديم غير مبالية بما ينطبع في قلبها.

- أنا أتق بجائيس ثقة عمياء.

- أنت تحبينه، اليس كذلك؟ ولم تنتظر رد ليز وأردفت: إذن عليك استباق الأمور يا عزيزتي. ولأنا مستعجلة يولا إلى هنا في غضون أيام. أعطني ما في يديك وعودي إلى ضيقك.

خطفت قماش الطاولة من يدي ليز ووضعت قبلاً من مسحوق التجميل فوقه وبالمسحة تنظفه تاركة ليز في حيرة من أمرها. لم تجد ليز ضيقها في معرفة الطعام وأبانت أنهم عمداً استباحة يولا وخرجوا للجنوس على الشرفة نظفة على المناظر الخلابة. تحسفة غير جارية. ذكرت يدوية يولا وكيف تجابه تحديها لها. لم تقبل الاستسلام بهذه السهولة وتدخل عن جائيس أيعقل أن تنقلب أمانيها وأملها إلى صدمة أخرى تضيقها إلى صدمتها السابقة؟ لن تدع يولا تكيل لها الضربات من غير أن تدافع عن نفسها. ولئن سمح لأي كان أن يعل مكانها في تيرجلين أو في قلب جائيس.

أمضى الجميع سهرة ممتعة. لم تتوقف هالغا ويولا عن الحديث أبدأ، فلبسها من الأخبار عن الفن والممثلين والمخرجين الشيء الكثير. ورايت ليليان على دفع ليز إلى الأقسام كلها لاحتفلت شرودها وعبوسها من غير أن تقوى على جعلها تتكلم طوال السهرة. كانت تفكر في الغد وتستعد للمواجهة الفاصلة. ستغامر بكل ما تملك، فاما أن تحس الحلم واما أن تحوّل إلى حقيقة. تحسب بها إلى الأبد. لن تتوان عن فعل أي شيء لتدافع عن لقبها ومنافذها حتى النهاية. ولن توضع بسهولة كيا يتوقع البعض أن يفعل. إنها السيدة فتوى الآن وستبقى. دقت الساعة ساعة جلوس منتصف الليل، فسارعت ليليان إلى القول بعد تألّب طويل:

- أنا أسفة لكن وقت نومي قد حان، أليس كذلك يا وويرت؟

أشرق وجه ليز فجأة وتبادلت مع ليليان ابتسامة سريعة لم يلاحظها الآخرون. لا يحسها ما سيحصل بين جائيس ويولا قلن تكون موجودة لتشاهدن، أجابته يولا بصوت أجش وهي تنظر فيامرعة إلى جائيس:

- هل سأقضي الليلة هنا أم سينكرم أحدكم بإرسالني إلى منزلي؟ سارعت ليز إلى القول:

- سأفعلك بسيارتي.

تهافت يولا مذهولة لحرص ليز غير المتوقع. ورمستها بشدة حادة متسحرة:

- هل هذه زوجة؟ من طلب مساعدتك ليها الطفلة البليهة؟

ساد الجميع صمت مفاجئ. وسارع وويرت إلى تدارك الموقف مثلاً:

- هل تسمحين، ان...

لكن جائيس قطع عليه عبارته مزجها كلامه إلى يولا متجاهلاً تهجمها على زوجته:

- ها يا يولا، غني للجميع ليلة هائلة. سأرسلك نفسي.

استدارت ناحية منسمة وخاملت الفاني:

- أهاب معاذركم. كلكم مدعوون غداً لتعزية النهار في منزلي. أليس كذلك؟

علا صوت جائيس رجده موافقاً:

- بكل تأكيد يا عزيزتي.

خرجوا ساعاً متجهين إلى السيارة، بينما التكتأت ليز إلى ذراع ليليان متعجبة الانبهار، قتمعت صديقتهما يحنق:

- ما أقسى هذه المخلوقة، انها لا تتوان عن الخلق الأدنى بأي كان.

استدارت لتتفكر ان يعترض أحد على كلامها، لكنهم ظلوا ساكنين يرون حالة ليز. لم تأبه بعضهم أو لواتهم، أرادت فقط الابتعاد عن هذا المكان، فاستمرت قائلة:

- اتقي لكم ليلة هائلة.

ردوا التحية وانصرفوا كل إلى عرقته بينما بقيت وحدها على الشرفة فسكبت قليلاً من القهوة وتناولت سبكاراً وصعدت إلى غرفتها. انيا تعباً للغاية، لكن عينها أينما النوم. كلام وويرت عن إمكانية هبوب عواصف الليلة أزعجها وطردها للنعاس من عقلتها. ان صحت توقعاته بشأن العاصفة، قلن تخرج حية من غرفتها صباحاً، انته فتوتها واستلقت على سريرها لا تدري ان كانت تنتظر العاصفة أم عودة جائيس. لم تكشف

مدى حبه له إلا النيلة. تزوجته من غير أن تشارك من صديق شعورها
بحزنه. أما الأب فهي نفس هذا الحب يعني في جوفها. ويحبهم جو/حها
أبته ويألفها هذا الشعور نفس الماضي ويخطف مستقبلها معه. لم تعد أهمها
الأمور أو الشهرة ولا حتى تبرجها. حبه لها هو ما تريد الآن.

استيقظت بعد فترة لاهية تكاد تفتق. سداها يحققان بشدة والوسادة
مبينة تحت وجهها. فتحت عينها لتضاجأ ببريق هائل بجلا غرفتها وبمعي
بصيرتها. وبصوت الرعد يدوي في كل مكان أحست وكأن العاصفة
دخلت غرفتها. فوضعت يديها على عينيها لتحبس الرؤية عنها لكن سهام
البريق غلبت من بين أظفارها. شعرت بضداع رهيب يلف رأسها ويمتد إلى
كل أحد. حسنها. اعتادت على هبوب العاصفة في الليل. أن تغطي
رأسها بالحصان. وأنشوط في سريرها حتى رواها. لكن أن فعلت ذلك
الليلة فستحس أنها بحاجة إلى تنشق الهواء واستعادة انفسها.

تذكرت الليلة التي نلت مقفل والمياه كانت عند عنقها وفوجئت
ببوسه. عاصفة ففكرت من سريرها مذعورة. وهزولت إلى غرفة عينيها
نشد الأمان والطمأنينة. وما أن اقربت من سريرها حتى ودتها على أعقابها
بقسوة هائلة:

لا تنصرفي بحماقة. عودي حالاً إلى غرفتك.

خروجها من غرفتها وأقبلت دونها الأب. ثاركة أباه في بحر الظلام
غريسة الخوف والقلق. أدركت بيز يومها أنها عقدت الحب والاهتمام
بفقدانها وانفصالها. ولكن تتمكن بعد الآن من ابتعاد من تركن إليه عند
حاجته. الشعور نفسه يتألبها هذه الليلة. واحساس عجوز بالوحدة
بخلتها. فجائس بعيد عنها بمضي وقتاً متعاً مع يولا كافيلاً. لو كان يقوم هنا
ناظي عذ يولا بل لعاد مباشرة ليطلب إلى جانبها طوال الليل. يحضنها بين
ذراعيه مهدئاً ووعها

تخلصت من القواشي بعد أنيها. تشي بمحاذاة الجدار لتحمي نفسها
من ثورة الرعد والبرق. لتحت الباب بصعوبة بيده مرتبكة وسارت في
الرواق إلى أن وصلت غرفة مجاورة. كانت تعلم أنها خالية. وأن جانيس لم
يعد بعد ومع ذلك تلتصت من الباب وقرعته بحدوه. فجاءت سمعت جلبة
خفيفة وما هي إلا ثوان. فتح بعدها الباب وبان جانيس أمامها فتمتمت:

لا أفسد لأزواجك. لكنني عاقبة جداً. ولا أستطيع التحمل أكثر
ساعتين أرجو.

طولها يذراعيها. فارتدت على صدره متبركة تدرك دفءاً غريباً. ربت
على ظهرها بحثاً مطمئناً:

اطمئني يا ليز. قالت في أمان الآن.

لم تسمع هذه العبارة من أحد قبلاً ما عدا علوم. وهي الآن بين ذراعي
علوم فهو لم يبق في منزل يولا. ضمها كالقطر إلى صدره. وحملها إلى السرير
حيث أنزلها يرفق ثم قرباً من جبينه إليه. يذاعب شعرها بأظفاله مضمناً:

أعتقد بأنه لن يصيبك مكره ما فعلت حياً.

لم تصدق ما تسمعه أذناها. فالتصقت به تنعم بدفءه وطبعته على أظفار
عنقه قبلة ناعمة. ثم رفعت رأسها تجاهه وهستت بصداق:

عائتي. أحبي كما أحبك.

شعرت بذراعيه تضاهاها من جبينه. قبرت رجلاً قرحة في نفسها
وقرب وجهها من وجهه.

انه أحب اختي التي طالما حلمت به. رائع وجيد. انه يحبها
وشعرها بالأمان والقوة. لم تعد تحس بالعاصفة أو تسمع صوت الرعد.
فالعاصفة التي اشعلتها تصرفات زوجها كانت أقوى من كل شيء.

أفاقت من نومها متأخرة لتجد نفسها وحيدة في سرير جانيس. غريباً
الساعة يشير إلى العاشرة. فاستلقت من جديد تعلق في السقف متمنية
في قراءة نفسها أو بقي بقربها حتى تستيقظ. أو يعود الآن ليضجها مرة أخرى
إلى صدره. أيتها أيقظها بحمة حلوة تشف أذنها وتصل إلى قلبها. لم ترد أن
تستيقظ وحيدة هذا الصباح.

انهمكت إلى غرفتها. فافتلت وأرندت ليابها وتزينت ثم نزلت إلى
الطابق السفلي. أحست بنشاط غير طبيعي في أرجاء المنزل. فسألت
البيدة هورايين:

هل استيقظ الجميع؟

اجل يا سيدتي. انهم يتناولون الافطار.

ادركت ليز لحظة انكسارها اليهم أنهم على وشك الانتهاء. فاعترت
وجنتها حجباً وهي ترافق عيونهم لتلتهمها عثا واستفساراً. واعتذرت

- أنا أسفة لاستيقاظي هذه الساعة.

هضت هلعاً باهتمام:

- كانت عاصفة رهيبة، حرمتني النوم طوال الليل.

تدخل جايس مفسراً:

- أخبرتهم أن العاصفة أزعجتك ولم يجر الأرق. منك إلا عند الفجر.

ابسم فما إنسانة نافذة لا معنى لها. وتوقعت أن ينفض عن كرسه

مرحياً لكنه لم يفعل. فجلست وسكنت لنفسها فتبدان قهراً. لمضت هلعاً

قائلة:

- حساً، سأجلب ثوب الاستحمام وأهين نفسي، متى سذهب يا

جايس؟

تدعني جايس ساعة وأجيب:

- خلال نصف ساعة.

هضت ليز بيرة هادئة مستنظمة:

- إلى منزل بولا؟

رد جايس بطريقة أشعرتها بشغافه مؤلمة، فالكل يعلم بنزعة اليوم:

- أجل يا ليز.

تولعت بعد ما جرى هذه الليلة أن يعدل عن الذهاب إلى منزل بولا،

وأن تعادها من حياته إلى الأبد. وشئت فقولها بالخطأ، من غير أن

تشر بمراوغتها فقد نسبت انشاقة السكر. تفكر بتجربتها العاصفة الليلة

العاتية ومدى تأثرها عليها. لكنها لم تترك أثراً يذكر عن جايس، فوالنسبة

له كانت ليلة عادية ولا تختلف بشيء عن غيرها.

٩- الفانوس السحري

حسن وورث في المقعد الأمامي إلى جانب جايس بينما شاركت ليليان

السيدة فتون في احتلال المقعد الخلفي وتبعهم الباقيون في سيارة أخرى. لم

تعط النساء لانت ليز فرصة للراحة. فغادرت تضح في رأسها كالبحر المأدور،

وتضارب في سرعة مذهلة بحثاً عن خيط رفيع يديها إلى الحقيقة، فلا

تجد، تذكرت أنها لم تنظر إلى ساعتها عندما قرعت باب غرفة جايس

المبارحة، وما كانت الحافسة ورماً أكثر. قد يكون أمضى الليل بأكمله عند

بولا وجاء مع مدابة العاصفة. انقضت عليها بقل تزوج بشعور عارم

بالغيرة وكنت أحسبها خدعة أن تحس كل شيء في لحظات. التأت على

كذب ليليان نصت غير عندما أتت الحديث الدائر. تولعت عند استيقاظها

أن يستمر سوء الأحوال الجوية هذا النهار أيضاً فيضطر الجميع للبقاء في

نير جلدي. نحن النساء أضرمت من حديد، وصفادوم النساء ولا مقر من

غلبة دعوة تلك المذبة اللعينة. أنها تعلم كل العلم أن اليوم سيكون

الأطول في حياتها، فمضت النهار على الشاطئ لن ينتهي في ساعة أو

ثلاث، بل مستعدة بالجلسة حتى الغسق وربما أكثر من ذلك، عدا عن أنها لا

تستطيع العودة ثوب الاستحمام قهراً. من عاداتها أن ترتدي ثوباً من لفاف من

قطعة واحدة وفوقه قميص ناعم يستر ثغور عظامها، أما اليوم فقد قبلت

بالواقع صاغرة وراجية ألا يعمد اليافون إلى مقارنة جسمها الشحيل بجسم

بولا كذليل الرائع.

انحرف جايس إلى الجهة اليمنى من الطريق سالكاً درباً مليئة خضرة بان

في نياتها الخليج الصغير الذي قدأنت عنه بولا، وعلى جوانبيه مساحات

وملئة بيضاء تتخللها مسخرو قبيحة ملصاة . انه يشبه المكان الذي شهد عرض جانيس للزواج منها . فسادت ان كانت بولا قاتيل قد حصلت على العرض نفسه في هذا المكان أيضاً ليلة البارحة .

بدأ منزل بولا وحيداً في ذلك الامتداد الرمل الشاسع ، ولعمري بالقرانه البراقة تحت اشعة الشمس . لا يد وأنه كان يخص أحد الصيادين أو ان احدهم بناء لتضيق أوقات الراحة فيه ، لكن بولا عرفت كيف تعيد ترميمه ، ليغدو جديداً يليق بمكانتها ، لمطلت أبراه بلون أزرق زاه يتناسق ولون البحر الممتد أمامه . انه المكان المثالي لتضيق المطلة بالرغم من جو الوسعة الخيم عليه في فصل الشتاء ، والمخطر المحقق به حين تقوى حركات المد قنقر الامواج بابه ويهدد بانه . حاولت ليز التلهي بالقاء نظرة عملة على المكان عليها تصرف نفسها عن التفكير بما سيحدث بعد دقائق ، فهذا من شأنه إثارة أعصابها واضعاف عزيمتها على مقاومة غريبتها . وما ان توقفت السيارات حتى هزعت بولا الى جانيس تطوقه بذراعيها مرحبة :
- أهلا بك في منزلك .

ضحك جانيس معلناً :

- يا له من ترحيب حار ومفاجئ .

تمت لم يتقدورها مشاركتها الضحك أو قول ما يذهب بولا لب شاعنت الصورة في تيرجلين ولم تبه كثيراً بها ولا بالمعارة الكثيرة عليها والتي عادت استمساها الآن في ترحيبها لكنها لم تر ما يدعو للضحك في تصرف بولا الوقح .

توجلت بقية المدعوين ودخل الجميع المنزل لمعادلة غرقه ، ما عدا روبرت وجانيس اللذين توجهوا الى الشاطئ ، لتنتزه ويأخذ الأراء في بعض الاعمال ، وإيليان التي سارعت الى الاستلقاء على حافة أحد أحواض الزهور . تعرض جسمها لأشعة الشمس

لم يكن في الداخل ما يستحق الذكر أو الترقف عنده . لا شيء في البيت يدل على انه بولا في الأقامة منذ طويته . لقد حصلت عليه سب وجود جانيس في تيرجلين وليس سباً بالعيش في هذه المنطقة المتعزلة . أشاحت ليز بنظرها الى الخارج تفكر بقول إيليان ليلة أمس . كل شيء يهز ما تفرغت به في غرفة القيل ، قبل ان تعلق بجذبة المودعة في تيرجلين ، ويقلقها هنا

ما هم سوى محطة عابرة في طريقها الى تنفيذ غشقتها اللعين . ليس يتفقوا ليز الاخرى على زيارات بولا لجانيس أو حتى الدخيل لوضع حد لها . كل ما يمكنها عمله هو تخبئ البقاء في المنزل ، وتحاشي رؤية الاثنين مجتمعين ، مترحبن بجميع أصدقائه ، وتستمر على خدمتهم وتأمين راحتهم مهما طلبت فاقهم في منزلا لكن . عندها يتعلق الأمر ببولا قاتيل فستترك القبول ولن تعود إلا بعد رؤاها والاشعة عطرها من أرجائه .

شدني الجيب «عجبا شديداً بالشرط طغى عليه التصنع والرياء خوفاً من إثارة سخط بولا ، وأشدت ملها بأثائه المريع وتضجبه الحسن ، فالتفجرت أساور صاحبه واستدارت نحو ليز تسأله :

- ما وأليك يا ليز ، هل أعجبك منزل ؟

تدركت ليز أن بولا لاحظت عيوسها فتصمتت الاقسام عجيبة :

- كثير ، انه حقاً منزل رائع .

- حسناً ، لكن لا أظن اني سأعهد اليك بأمر تزيينه وخاصة بعد ما حصل في المرة الأخيرة فقد غدا أجرك بأعطاء نوعاً ما .

انها تعني زواجها من جانيس ، وتتمهها باستغلال فرصة عملها في تيرجلين لإيقاعه في شباكها . تجاهلت ليز تهجم بولا عليها وسألتها ببساطة :

- هل مستحيلين طويلاً هنا كي نتمدي الى تزيين المكان ؟ يدولي انه

صمم لقضاء فصل الصيف فقط .

شمت عينا بولا ببريق قريب :

- أحييت هذه المنطقة وصيحت على العيش فيها

تذكرت ليز ما قالته محدثها ليلة البارحة ، فالت بهمكم .

- انما ليس في هذا المنزل ، أليس كذلك ؟

السحب الضيف الى الخارج تاركين بولا وليز بمفردهما ، فهم لم يتسوا بعد ما حصل ليلة أمس ، وكيف كانت السهرة أن تتحول الى عراك . تفصلوا الخروج الى الشاطئ ، كي لا يشهدوا مشاجرة جدية بين الفتاتين ، لعدم وجود جانيس يخرج موقفهم ، انهم يعرفون بولا حق المعرفة فلم يخفوا على ليز أثناء خروجهم بنقرة وقاء .

أردفت بولا قرع سمائها الخلاق الباب :

« كلاً ما يعلم أن ما حصل سرعدي، والسبب الحقيقي لزواج جاكس منك.

لزمست ليز المصمت وحاولت مغادرة الغرفة، لكن بولاً أسرعته تقف خائلاً بينها وبين الباب مخافة إيلها يهدوء:

« ظن أني سأعود اليه مسافرة فور مساعي اليا، لكنني لم أفعل لاعتقادي أنه لن يفسد في ذلك حتى النهاية. فليدع يخاف ونسيت غداه الفعيل، كوني واقعية يا ليز. أراد امتلاكك ليزر غيري وهو يستغل الآن لتحقيق مآربه. لم تغري ليز على تحريك شفيتها لأنها إن فعلت سيكون كلامها صراخاً غامضاً. لا تعرف ما قد تنفوه به، لكنها تحس للمرة الأولى رغبة شديدة بالمصباح في وجه أحمد. استدارت نحو الباب المؤدي إلى المطبخ لتوسل السيدة بينها لتردفت بولاً يدهاء:

« إن كنت تبحثين عن ماري الاموندر فلك في المكان المناسب. طردتها لأنها منعتك لك بالعمل في تيرجلين أثناء وجود جاكس هناك. همت ليز بصوت يقرب الحشرجة:

« ماذا؟ ماري لم تعرف بوجود جاكس وأنا متأكدة من ذلك. لا يمكنك معالجتها على ذنب لم تقترفه.

« بإمكانك أن أفعل أي شيء، هل فهمت؟ أي شيء.

فتح الباب فجأة ودخلت ليليان لتسمع ليز تصيح:

« اطردت ماري الاموندر لأنها وافقت على أن يبدأ العمل قبل الموعد المحدد؟ هذا ليس عدلاً وستدعين على هذا الجرم.

أثقت بولاً نظرة خاطفة على ليليان ثم أجابت بأستغراب:

« يبدو أن زواجك من ماريون قد أفقدك صوابك. انتظين نفسك مهمة في هذه المرحلة؟ أيا ماريون أفقت على الانفصال بسبب حصولك على وظيفة أفضل.

« أين؟

« لا أعرف.

« سأكتشف ذلك بنفسي.

توجهت بولاً إلى المطبخ تصفح شعرها قائلة:

« حسناً، بلغتها سلامي إن عثرت عليها.

وعادت تحمل ثلاث زجاجات من عصير البرتقال المثلج، وسلمتها إلى ليليان قائلة:

« جزئي هذا العصير يا ليليان لكن اياك أن تقدمي منه إلى ليز، فستظن لشدة الانزعاج التي وسبت فيه سناً.

شكرتها ليليان معتذرة عن قول العصير، وأمسكت بقرع ليز هائسة:

« تعالي شخرج، فأنت بحاجة إلى هواء منعش.

ساعدتها في النزول إلى الشاطئ، وما إن إبعثتا قليلاً حتى باعرتها قائلة:

« اظن أن تصرفها مع ماري قانوني، فبولاً لا تقدم على طرد أحد من غير أن تحسب حساب العواقب. إنها خيرة في مثل هذه الأمور، وبأذا ما ينبغي موظفيها أكثر من شهورين ومن ثم تستبدلهم بآخرين.

« لكن ماري يدمر مسرورة بالعمل مع بولاً ولا يفعل إن تقترف خطأ قد يفسدها وظيفتها. حدث كل هذا بسبب بدني العمل قبل الموعد المحدد، مما أزعج بولاً فقصبت جام غضبها على سكرتيرتها المسكينة.

« لا أعرف ماري الاموندر جيداً، فقد الطقيها عدة مرات في منزل بولاً. لكنني لا أظنها متلافية مشقة في العثور على وظيفة أخرى.

انخفضت ليز عينيها وقامت بحسرة:

« إلا إذا لمعت بولاً عن إعطائها إفاة غير لما ذلك. هلا استظمت من روبرت حول هذا الموضوع؟ لأنني إن حاولت الاستعلام عن ذلك من جاكس، فسيتهمني بالتدخل في ما لا يعني. قصدت من إطلاعني على ما حدث، أن تربطني وتجمعني الشجر بالذنب لما حصل لماري.

وافقت ليليان على كلامها، ثم أمسكت بيدها مبسمة تسأفا:

« لماذا لا نسبحين؟ فإليها منعشة والسباحة تريح الأعصاب.

« لا أقدر أن أسبح الآن.

« حسناً، سنكتفي بتناول كوب من الماء البارد ونلوم بترعة على طول الشاطئ». ما رأيك؟

اعتذرت ليز بعد حين عن القيام بترعة، وجلبست على إحدى المصخور تقرب روبرت وليليان يتعدان. رويداً رويداً عن تأخرها، إلى يمينها، أصبحت بولاً وهبطت في الحفرة المائدة بينها وراح ويكس وبين يشعلان النار.

كانت بولا قد أوصت في الصباح الباكر على الطعام من مطعم قريب،
فاعتذرت من ضيوعها على عدم العائدات القليلة. لم يبال أحد بنوعية
الطعام، فالتفتس جبل والمكان رائع، وهذان الأمران كافيان لاستباح نزهة
اليوم.

اصطط زوبير وتوليان إلى مفادرة المكان باكراً لأرتاحتهما بعد، سائرين،
وبقي الآخران ينعمون بأشعة الشمس الدافئة. تحدثت بولا إلى جانب
جايس مستندة لخدعها إلى راحة يده، بينما استلثمت هلفا إلى جانبها غير آبهة
بحيات الرمل الأبيض نقلاً لشعرها.

من عادة بولا أن تبقى في الماء مدة طويلة لاستناعتها بأن ذلك يساعد على
التعاش الجسدي، وتخلصه من تعب العمل والسيور. أما اليوم فقد تخلت عن
عادتها واتصبت لاعتباطها كله على البقاء قرب جايس. لم تفارق أهداء، إن
مشت مشيت معه، وإن جلست جلست معه وتسيرت طريقة تربية فيها تحت
منازل ذراعها.

نظرت إليها تلعب مظلها، قولا وهلفا مثلثان يجهدان لفت الانتظار
وإيراز مقائنها. أما هي فلا متأثر لديها تيزها ولا مجال لفتت به الانتظار.
لكن هذا لم يزعجها اليوم، ولم تجعل من الظهور ثوب الاستحمام
للشمس، فغطته مشرة رقيقة تفصل إلى ركبتيها.

نظرت بولا إليها بازدياد قتالة:

- ألم يمر الوقت لتكتفي لنا عن مفاتك يا ليز؟ انك تشعريننا بقدم
فصل الشتاء بينك هذه.

أجابت ليز بإثبات:

- بشرتي... بشرتي الحساسة لا تسمح لي بالتعرض للشمس.
ودعيت هلفا تعرض الساعدة، ومدت يدها إلى حقيبها لتناول زجاجة
صغيرة تارلتها إلى جايس:

- استعملي هذا النوع من الزيت، فيجسمي بشرتك من أشعة
الشمس.

فتح جايس الزجاجة وهم يوضع القليل منها على يده ليمسح به جسم
ليز. لكنها اعتذرت عن قبول مساعدته متسعة الاعتسام:

- شكراً، بإمكانني القيام بذلك بمفردي.

ناولها الزجاجة ووقف يراقبها تسرع في مسح وجهها وذراعها فبارحت
بولا إلى القول وهي تنظر إليه متسمة بدهاء:

- سأجربه عندما تشهين منه يا ليز.

للمرة الأولى منذ وصولها إلى منزل بولا، وجه جايس الحديث إلى ليز:

- هل تسيحين معي؟

اعتذرت ليز للمرة الثانية:

- لا أجد، السباحة.

- سأعلمك.

- أفضل أن تكون تجربتي الأولى في حوض سباحة صغير، حيث بإمكانني
الاستراحة ساعة مساء.

امسكت بولا بذراع جايس بدلال واضح هائلة:

- حسناً، لم يبق سوى أن تراقبنا الآن.

لم تتحرك ليز من مكانها، وأقبلت الزجاجة ثم أعطتها في الحقيبة. إن
لفظت إليها بولا، فستطلب من جايس أن يمسحها جسمها، ولكن يرفضها
هذا المشهد أهداء.

هفتت بولا مرة أخرى:

- ألا تخبرين ذلك؟

ولم تتطرق جواب ليز بل هرعت نحو الماء ملقاة غريبة. منظر الماء يغري
بالغوص وبالارتقاء في الحضان ذلك الامتداد الأزرق، أصبحت ليز برغبة
جادة بالنسب والذهوب في الماء، كما يفعل بن وهلفا، لكنها خشيت أن تنصرف
بغربة قد تثير ضحكهم.

تقدم منها جايس وسجداً على ركبتيه يسأها من جديد:

- ألا تسيحين معي يا ليز؟

- لا شكراً أفضل البقاء هنا.

راقبتهم من بعيد يلعبون ويتفرون في الماء، ثم لحت جايس وبولا
إلى أن كادا يفيان عن ناظرها. بإمكانها أن تميز جايس للون شعره
سود الداكن، وهو يظهر ويختفي بين الأمواج الهادئة وبولا تبعه عن
كثب. توتفا في عرض البحر ولم تعد تشاهد سوى نقطتين قافتين بعيدتين
وانعكاس أشعة الشمس على صفحة الماء يبهج بصورها ويجعل من العصور أن

تفرق بينهما، ابتعدا مسافة طويلة هرباً من مراقبتها، طالتت الى ريكس
وقد توقف عن القراءة ليشعل سيكارة، سألته:
- هل بإمكانك رؤيتها؟
التفت ريكس ناحيتها:
- رؤية من؟
هتفت ليز بقارح الصيرة:
- جاكس وبولا.
ابتسم ببرودة زعزعت صواب ليز وأجاب:
- لا تقلقي، قبولاً سياسة ناجحة، وجاكس يعوم أفضل من السك
نفسه (تارخاً منظاره) استعمل هذا للأطمئنان أكثر.
ركزت ليز المنظار على عينيها وراحت تثبت بجهاز تصحيح الرؤية حتى
وضحت الصورة أمامها. رأت هذا أولاً، وقد سطع وجهها في الماء
كالفلوس البحري لكثرة ما وضعت من مساحيق، انه منظار رائع يهرب
السافات بطريقة هائلة. تركت حلقاً تنفوس في الماء وراحت تبحث عن
جاكس في ذلك الميسط الأزرق الغائم، وتساوت غفقات قلبها حين
أرسمت صورته أمام عينيها وأحست بأنائها تتماثل لا شعورياً لحاول
لمسه. كان يتحدث، وادركت ذلك من تحرك شفاهه ولثنت لو بإمكانها
سماع ما يقول، أو حتى قراءة الشفاه. لا، لا تريد أن تسمع معازلة ليز
في تلك اللحظة الممتعة، حيث لا يراها أو يسمعها أحد.
هذا قلقها بعدما تأكدت من سلامتها، فأرجعت المنظار الى ريكس
متسمة:
- شكراً، انه حقا رائع.
- ما هو الرائع؟
- رائع أمر هذا المنظار. شعرت أنه هناك معها ورفاه الماء يكاد يصيب
وجهي.

أدرك ريكس لعينها فلم يرد إحداهما:
- أريد أن أعتك على عملك الرائع في تيرجلون.
- شكراً لأطرائك.
- ليس أطراه بل شعور معجب بالظن. لدي غرقان في منزلي تحت.

الى إعادة تزيين، وأرد الحصول على رأيك في ذلك.

- بكل تأكيد. أين منزلك؟

- في مانشستر.

- انها مدينتي المفضلة. اعبرني عن العرفيت.

لمحت على الرمي لتند رأسها الى مرفقها لتسمع اليه يكلمها عن
منزله، ورحبت بفكرة الذهاب الى مانشستر لأنقاء نظرة عليه. متقوم يده
القائمة ما دام هدف ريكس هو تغيير العرفيت وليس شيئاً آخر.

أخبرها عن تجربتي زواج خاضها وعن طلاقه الأخير. بدأ رقيقاً
وجذاباً، لكنه كان قريباً منها أكثر من التزم ويتعمد الأيغام طوال
الوقت. شامت في قرارة نفسها عن معنى تصرفه هذا، فلا يعقل أن
يعجب بها بهذه السرعة، خاصة وهي ترتدي ثوب الاستحمام هذا.

انتظرت حتى استدار ليشعل سيكارة، وغضت على قدميها بخفة،
- الى أين أنت ذاهبة؟

- الى المنزل، سأقوم بفصل الإحباط.

- دعي خادعة بولا تتكفل بهذا الأمر.

- انها مكشورتها وليست خادمها وهي اليوم في اجازة. سيكون منظر
المطبخ، مرعباً عندما تراه عدداً بهذه القذارة، عدا عن أنني أشد القليل من
الحركة والانتعاش.

لمت كلامها بتبسامة ناعمة وانصرفت متجهة الى المنزل. بدأ الترتيب
على جسمها يزعجها، وستقطر بعد قليل الى اللعوب الى مياه البحر،
لذلك أسرع في سيرها قبل أن يتقل ريكس الى ذلك. جمعت ثقلات
الغذاء في غرفة الجلوس بطريقة فوضوية، فمشت ليز على نقلها الى
المطبخ. لم تدر سبباً لوجوب قيامها بتسل الصحنون، لكنها على الأقل
فرصة لغذائي الجلوس في الخارج والاحذية بالصداع معها كان سيء. ويبدو
بولا الى جانب زوجها، أم اشعة الشمس نفسها.

لمت عودة روبرت وليليان لكنها تعلم استحالة ذلك، فمن المؤكد انها
عثر على مكان جميل يتناولان فيه الغذاء، ولأن يعودا الى تيرجلين قبل حلول
الظلام. تعلم توقها الدائم للانفراد مثل برودة والي، فليس واجبا أن
يجعل كل زواج بالمشاكل التي يعاني منها زوجها من جاكس، والاخبار عن

يده زوال مفهوم الزواج ليست صحيحة. انه حب يتنض في ملايين المزارع
صغيرة وكبيرة، باستثناء تيرجولان. فمع عن دخول القوق الذي لعب
ورفض ان يتعم بغيض من قبضه. اقلت نظرة عبر المزارع الصغيرة
على البحر من غير ان تتحرك من تحديد المسبب
يكونان ابعدا اكثر، واختلجها من الانظار، أو انها عادا من
تحليلها تخرجان من الماء جنباً الى جنب، حورية بحر زائفة نظمتها فراخ
قارس جذاب من قرسان الغروب الغاربة، ثم التوايح الدافئة يصبها الى
صفره ويصلها الى مكانا ناء لا يصل اليه الزمن، لم تشأ الامتساك في
خيالها. فالخمس كذلك تغلبها واخر روقت عيناها بدمع نازرة عليها ان تلتقي
مشاعرها اذا ارادت ان تبقى بكامل قواها العقلية، فهي حتما ستحتاجها في
الايام الليلية.

تسددت، وهي توثب الاطباء النظيفة في الحزاة، عن حليقة وجود
مكتوية مع بولا هنا. اذا كان هدفها جانيك، فلا يعقل ان تغفل بوجود
فناء أخرى تشاهدها غلوتها. لا بد وانها تدبرت مسكناً آخر في الجوار ناري
اليه بعد العمل، فيخلو لها البحر لاستقبال جانيك مما يعني انها قضيا ليلة
البارجة ينفروهما. منعرف الحليقة ان هي تفحصت الغرفة، لكنها لن
تفعل ذلك. انها تخشى اكتشاف حقيقة علاقتها ولو كانت الدلائل
واضحة، وتخاف مواجهة واقع يسبب لها صدمة قد تكون قاتلة هذه المرة.
فبذلك سمعت وقع خطوات وصوت ريكس هاتفاً:

- ليزه، هل أنت بخير؟
سمعت عينيها براحة يدها، وخرجت لتفاه واقفاً في غرفة الاستقبال:
- طبعاً أنا بخير. اغيت لوي تريب الاطباق وتطليط الطليخ، واذاكر في
تحضير فنانا من القهوة. ما رأيك؟
جلس على كرسي خشبي قرب النافذة المطلة على الشاطئ. ميسياً:
- فكرة مدعشة.

اشعلت ليز النار تحت غلاية ملاها ماء، ثم اخرجت ستة فناجين من
الحزاة ووضعته في كل منها قليلاً من القهوة، ووقفت قرب الباب المؤدي
الى الخارج تنتظر غليان الماء.
لم تفكر في تحضير القهوة بل في دخوله، لكنها ازادت تحليل نفسيها

وقفاً طويلاً هبا، فلم تجد غير القهوة سبباً مقنعاً، عدا عن انها تريد تجنب
محادثة أو الجلس معه.

أبصرت بولا وجانيك يخرجان من الماء ويتنضمآن الى الآخرين. الفت
ملاحظا جسمها بمنشقة كبيرة بينما جلست بولا على صخرة صغيرة تصطب
شعرها بيدها. رأت جانيك يثقلت وكأله يبحث عن أحد، وعندما وقع
نظره عليها لوح غا بيده وسار تجاهها تبعه بولا نظله نافضة الرمل عن
جسمها.

بادرتما ليز لحظة اقترابهما من المدخل:
- القهوة جاهزة، هل قاتمين في ارتشاف فنانا منها يا بولا؟
- امانع؟ وهل هناك أفضل من لتجانا قهوة بعد نهار مشير كهذا؟ (ولما
أصبحت في الداخل هتفت بأعجاب) يا لك من فتاة مرتبة، لقد نظفت
المكان.

- كنت أريد قتل شعور بالصبر بدأ يراودني.
لاحظت بولا وجود ريكس قدالت بازدياد واضح.
- مرحباً يا ريكس، هل كنت تساعد ليز؟ لم أعرفك ملياً بالأمور القزلية.
اجاب ريكس بلهجة عائلية:
- بأمكاني المساعدة في أي شيء.
- لا شك في ذلك، لماذا تودت وجتاك يا ليز؟

أحست ليز وكان بركناً يوشك ان يتفجر في داخلها. تريد ان تقول كل
ما في داخلها، وأن تطلق سراح أحاسيسها الكبونة. تود أن تصرخ في وجه
جانيك الضاحك، وكأنه راقى عما تلحج اليه تلك المبتلة الماكزة. لكن
صغير الغلاية قطع عليها حركتها ولجم صراخها. هرع جانيك الى المطبخ
بتعم تحضير القهوة، بينما صعدت بولا لتغسل وتغير ثيابها. جلس بالفرن
في غرفة الاستقبال يستمعون الى حديث هلقا عن بحيرات أميركا الشمالية
ومعزة السياحة في ميامها. قبل الغروب بقليل. عاد روبرت وليليان ليرافقا
الباقين الى تيرجولان. انضمت عطلة الأسبوع وسبعود الضيوف كل الى
عمله. بن وهلقا سيكونان أول المغادرين في الصباح الباكر. وسيتبعهما آل
جيليان بعد تناول الاقطار.

المقابلة الكبرى كانت اعلان جانيك عن اضطراره للسفر الليلية بدلاً

من صباح الغد، فقد طُلبت ليز أنه سيأخذها إلى الأعداء منها عن أهملها لها
طيلة النهار ويعرض عليها ما فاتها من حباته واحتمامه، كزمت السكوت
مؤثرة ادخار غيظها وموعها إلى حين تنفرد بنفسها في لغتها، وتلقي
برأسها لتقتل ما هو أحسن حل وسادها. ثم يتوقف من عن انشغال وهو
يراقب روبرت ويركس بقلان الاغراض إلى السيارة، وتأهيم بدخول
سيارته قال والتعب ياد عليه:

- لا أدري كيف تشعرين الآن، لكنني حل وشك الانهيار بسبب السبعة
البلينة. هل تتابع احدكم في تصفيقي بقية السهرة مشدداً على الأريكة إلى أن
يحين موعد النوم؟

اجابت روبرت موافقاً:

- هذا ما سيفعله كل منا.

نظرت ليز إلى زوجها، تنظر نظيراً إلى روبرت، لكنها لم تخط سوى
تفسير مقتضب، ثم به جانيص وهو يغلق باب سيارته:

- لقد طرأ تعديل بسيط على برنامج العمل.

بدأ طبيعياً فيما قاله، والجميع يقبلون وضعه. انه رهبة الشؤون
القائمة الخفاء حل عائقه. اعتاد على الحياة هذا، وعلى ان يعتاده الآخرين.
والجميع يولاً إلى السيارة، وودعهم مكتفية بالقول:

- سنلتقي في وقت قريب.

عدلت ليز إلى تيرجلين ورأسها يسبح بالاستجابات والتساؤلات. لا
تجد لها تفسيراً أو جواباً. بانث ذكره مرافقه جانيص إلى أي مكان، فاليوم
اكتشفت حينها لديه أول فري احتماله. لا تساوي شيئاً ولكنها غير موجودة.
تحسهم كذا تحسه، متصعين ويتكلمون الايمان لها أو التحدث اليها. لا
لوي في حيوزهم غير الرناء خائتها، ولا تقراً على شعاعهم سوى التعليلات
الخدقة. لا بد وأنهم راضون عما يحدث، ضالعون في حيل مؤامرة جمع
شعل يولاً وجانيص من جديد. لم يضع جانيص وقته في تيرجلين، بل
استلعل عودة الجميع متعبين وانشغالهم بالاستحباب، وراح يتهماً للرجل.
اما ليز فقد استجمعت بسرعة وبذلك ثباتها، ثم جلست أمام المرأة تصفح
شعرها. سمعت طوقاً خفيفاً على باب غرفتها. فنادت:

- تفضل.

دخل جانيص موقناً بأنة بيضاء، وقبضاً حريزاً أزرق وتفرغ منه
رائحة العطر. تقدم منها وطبع على خدها قبلة ناعمة قائلاً:

- اتي داخل (واردف باهتمام) هل يمكنك الاحتشام بنفسك إلى حين
عدتي؟

- بكل تأكيد. لدي أعمال كثيرة أريد انهاءها لتتطلعت إليه بهيبتين

عائيتين تسأله متى سيمود؟

- الأسعد القادم.

- حسناً، فليكن ريكس مني تزيين غرفتيين قديمتين في منزله.

- عظيم.

توقعت ان يدارل الاحتشام عما دار من حديث بينها وبين ريكس، أو
على الأقل الاحتشام على زيارته له في منزله. أرادت أن تحبره عن تغزل
وريكس بها، واعتجابه بالنساء النحيفات، لكنها خشيت أن يسخر منها،
فتحمت بالانكسار:

- مع السلامة.

حاولي أن تأتي لزيارتي عندما تسبح لك الفرصة.

عفت من مقعدها شاحصة إليه في الرقعة:

- سأعمل جهدي.

تبعته إلى الأسفل، وولفت أمام الباب الخارجي تودعه ملوحة يدها.
كما فعلت يولاً هذا النهار، كما من غير تلك الاشماعة الماكورة التي الرتمعت
على شفتيها.

لم يستقل الطوائف بالرغم من اختصارها للمسافات بل ركب سيارته مما
يعني انه سيضطر إلى التوقف في طريقه لتضحية الليل في مكان ما، قد يكون
منزل يولاً.

وقفت ليليان قرب المائدة نظراً بالخطا إلى صديقها تعود ادراجها بنائ
رقلي، فتبادلتا قائلة:

- انه يعمل فوق طاقتي، ولهذا السبب وصل إلى ما هو عليه الآن من غنى
وجاه.

- ولا ننسى المساعدة التي وفرتها له مجموعة المؤسسات التي كان يملكها
ايوه.

- لم تقدم مساعدة تذكره، فقد كانت شركة صغيرة يوم دخلها جاييس.
- لا تحاولي اقناعي بأنه على هذه الامبراطورية بنفسه.
- انا الخليفة يا عزيزتي.

مخاضات كيز رأسها من غير أن تصف حرقاً. أدركت ما ترمي إليه صديقها في كلامها عن عمل جاييس، فهي تدارك اظهار تلافيه في العمل الدافع الوحيد لابتعاده الشقة عن المنزل. ليت بإمكانها ان تصدقها، فتحصل مساعدة لا حدود لها، لكن احساسها بأن جاييس مبعوض ليلته عند غريبها اللعينة طغى على تفكيرها، ومثل قدرتها على التلويح بامر آخر، خلف وحيل جاييس جواً من اقداره وكأن المنزل قد قد قلبه النابض، وجاءت كيز في المحافظة على ثباتها، شمر على ثمين راحة ضيوفها، وتشتغل بفارغ صبر البلاج العجوز لتراهم يتأدرون المكان، تحس يتوق جازف الى الراحة بعد الذي عانته هذين اليومين. حتى ليليات شعرت بالبرم من جودهم في تيرجلين. فهي الأخرى تود العودة الى عملها الليلة بالذات لتسنى وجوههم ورياءهم.

في الصباح التفت كيز ما تبقى من الضيوف الى ملوالة الافطار مرندية ثياب العمل، ولم يرض وقت قصير حتى ودعتهم أمام الباب وهرعت الى الداخل لتبدأ عملها.

لم يمتض لها جفن طوال الليل، تفكر بيولا وجاييس وتحاول جاهدة طرد فكرة فضيبتها كيز الى جانبها. هذه الليلة ستهب بالبرم لانا ستشغل نفسها بالعمل طوال اليوم. لن تتوقف إلا عندما تولدك على الانبار، وستسنى ما تبقى من غرف في غضون اسبوع وتتقن بعدها الى أعمالها الخاصة، تبعدها عن روضاية جاييس، واعتمادها على العقيدة التي يألهاها. لن تغفل مرهونة لشركته، تنتظر ما يوفره لها من قرص عمل تشعرها بالأسر.

دخلت عليها السيدة هورايين، تذكرها بموعد الغداء، فاجابت كيز بغير اهتمام:

- اجلسي لي في شيء، فطيرة صغيرة.
- فطيرة صغيرة لن تساعدك على انتهاء عملك.
بالرغم من حداثة وجودها في تيرجلين، كانت السيدة هورايين مقيمة

بكل ما يجري في المنزل. علمت بزيارة بيولا السبت الماضي، وابن كيمس الجميع نهار أمس. كما أنها تعرف ان جاييس غادر المنزل ليلة أمس. احتارت الى جهة من تقف، فلن تيدو حتى الآن الجهة الخاسرة، وبالرغم من ذلك فهي تشعر بجيل غريب الى مساعدتها. انضمت كيز بارياح لانا ليدته مدبرة المنزل من اهتمام بها، وقالت:

- الآن، حضري لي فطيرتين.

لم تلص دقات حتى كانت عربة الطعام الى جانب كيز، وعقبها عدد من الفطائر الصغيرة، مع طبق مجوي حساء ذا رائحة شهية. حاولت السيدة هورايين في كيز عن العمل بعد الطعام مباشرة لكنها لم تلق منها سوى التمتع والعناء.

- من عادي أن اعمل عشر ساعات من غير راحة، فلا تظنني على أيتها العجوز الطيبة.

ون الحاتف مرات عدة خلال النهار. اتصلت ليليان من منزلا تلمعن الى حالة كيز، التي جاءت كيز يبدو صوتها طيباً أثناء المكالمات. لم تتأ اطلاق ليليان واقحامها في مشاكلها ما دامت غير فائرة على مساعدتها. باتت قلقت خطط مستقبلية خاصة بها، وأمامها انتهاء العمل في تيرجلين. عند المساء، اتصل جاييس وكلمته كيز من غرفة النوم الرئيسية في الطابق العلوي. كان الهاتف الاقرب الى مكان عملها عدا عن انها قصدت التحدث من الغرفة التي كانت معدة ليولا، ما دام المتحدث جاييس نفسه. أحست نفسها احدي موفقاته تجيب على اسئلة بصورة آلية ويقع الطلاء نلظخ لاجابا، والغيار يلا شعرها ويكسو وجهها كانت لغة بقية صرخها ضائعا كثيراً. يادورها بالاطمئنان عليها فاجابت بارتباك:

- اتي بخير، لكن التعب بدأ يديب في أوصالي.
- لا تبالغي في العمل يا كيز.
- وأنت ايضا.

انا تعجب ما اذا كان تعباً ام لا، ومادة فعل الليلة الماضية. حتى أنها لم تسأل عن مكان وجوده الآن ومن معه. أردقت تنصنع اللامبالاة:
- لم يحدث ما يستحق الذكر طيلة النهار. اتصلت ليليان لتبني بوصولها بخير الى المنزل.

- أعلم ذلك، فقد رأيت ووبرت.

- هذا كل ما لدي من أخبار.

اقترح عليها في نهاية المكثلة أن تخذل إلى السرير باكراً. وكادت تسأل إن كان قادماً لكنها عدلت خوفاً من أن تظهر غيرتها فجاءت، فقالت:

- فكرة حسنة، شكراً على المكثلة. طبت مساء.

أقبلت الخط وعاودت عملها حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي الصباح الباكر قامت من جديد تدفن نفسها بين غلب الظلام وأوراق الجدران المذقة. بقيت على هذا الحال أسبوعاً كاملاً مما أثار حفيظة السيدة هورابن وقلقها عليها. أرادت أن تلهيها عن العمل بشق الوسائل، وعرضت أن تكلمها عن جايس ومن ماضيها، لكن ليز لم تعطها فرصة، كانت مأخوذة بالعمل، ولم تعد بحاجة لتلك المعلومات التي كافحت للحصول عليها قبلاً. عرفت كل ما تريده بنفسها، عرفت أنها تحبه وأدركت حاجتها إليه الآن وإلى الأبد. لكن تفكيرها به يجرحها ويذمي قلبها ولا تريد أن يعلم أحد بعمق جرحها. غابرها ويكس بشكرها على عطلة الأسبوع، وعارضها استضافتها يوماً ما لتطلع على الغرفتين. شكرته ليز وسجلت اسمه في دفتر مواعيدها بعدما وعدت بأن تزوره حالما يسمح لها الوقت بذلك.

مع حلول نهاية الأسبوع، انتقلت ليز إلى الغرفة الأخيرة في تيرجلين. إنها الغرفة الصغيرة التي شغلتها يوم قدومها للمرة الأولى إلى هذا المكان. ستغطي جدرانها بأوراق زهرية، وتغطي بابها الخشبي الصغير باللون الرمادي. لا تدري سبب تركها هذه الغرفة إلى النهاية. لكنها تكن لها اهتماماً خاصاً لما فيها من ذكريات محبة إلى قلبها. قضت فيها أول لياليها في تيرجلين ورجعت جدرانها صدي خفقات قلبها إعجاباً بعلوم ريدينغ في أرجائها خلعت بمستقبل مختلف تماماً عن الذي تعيشه. كانت أياماً حلوة لن تعود أبداً.

أرادت إنهاء عملها قبل هبوط الظلام، علماً تحظى بما يكفيها من وقت لتخرج وترتدي أحل ثيابها، استعداداً لقدموم جايس. سيبدو أنيقة جذابة وستعمل على أن يكون مظهرها مختلفاً عن الرات السابقة، فلديها من الثياب ما يساعدها على ذلك. سيهاجها بما اتجزته من أعمال، فقد اتصل بها عدة مرات وفي كل مرة أخبرته أنها ما زالت تعمل في الغرف كافة عنه

إنها على وشك الانتهاء.

تناولت السلم الخشبي الكبير وتسلفته لتتمكن من لصق الورق على أعلى الجدار. لكنها فوجئت بالمذبرة العجوز تمسك بقاعدته وتهزه مؤذبة:

- أمرني السيد فتون بالاهتمام بك، فعاداً يقول حين يعلم أنك لا تتوقفين عن العمل قبل منتصف الليل؟

- لن يقول الشيء الكثير على ما أظن.

- أنت متأكدة من ذلك؟

تهادى إلى مسجعيها زين الحائط فأسرعت إلى غرفة النوم ترتفع السماعة. كان التحدث بولا هذه المرة، فتمنت لو تركت مهمة الأجابة للسيدة هورابن، وتجنبت إزعاج نفسها.

علا صوت بولا هائقة يتوعد كاذب:

- مرحباً يا عزيزي، أود أن أعلمك أني قادمة إلى تيرجلين في عطلة الأسبوع، أي نهار الجمعة القادم.

- حقاً؟

- أجل، فقد تلقيت دعوة لذلك، لكنني فضلت اعلامك بالأمر فربما فضلت مغادرة المنزل.

إنها تتحدثها في دارها، تريد طردها منه واسترجاع ما سلب منها. استجمعت قواها الخائرة واجابت بصراحة:

- ذيارتك لا تغفلني أبداً ولا أرى داعياً لرحيلك عن منزلي.

- صحيح؟ كنت أظن العكس. إلى اللقاء إذن.

أرجعت ليز سماعة الحائط إلى مكانها تلوم نفسها على ما قالت. زيارة بولا لتيرجلين ستفرض كل شيء وتقلب حياتها رأساً على عقب، لن توفر سلاحاً إلا وتستعمله في وجهها حتى تحر صاغرة طالبة الرحمة. وجايس، ماذا سيكون موقفه؟ هل سيمد يد العون إلى زوجته، أم ساند غريمتها وحبه القديم ضدها؟

عادت إلى عملها شاردة الذهن تستعيد تقاصيل تلك المكثلة المشؤومة. إنه الفصل الأخير من المؤامرة المحاكة ضدها، وستقود بولا إلى هنا لتكون سيدة المنزل وزوجة صاحبه. أحسبت يتبع هائل زاده قلقها من العطلة القادمة. لن تتحمل وجود عدوتها هنا، وسيلحقها طيفها في كل

مكان محراب اليه، يلقى راحتها ويدمر حلمها. عملت من غير تركيز،
فيدها ترتجفان وعيناها تدمعان. قريباً يسدل الليل ستاره وعليها أن تتوقف
عن العمل. بإمكانها التمام الفقرة غداً صباحاً قبل استيقاظ جايس. لكن
تتلمح بظفرها أو يوتوها بعد الآن، فلا فائدة من ذلك ما دامت بولا تستغل
الى هنا الأسبوع المقبل. جلست على إحدى درجات السلم لتحقق في رسوم
الأوراق على الجدران. قلوب صغيرة حمراء اللون، تطير كالفرشات حول
قلبيها الحزين الباكى. تلتهمه نيران الغضب من زوجها وبولا لاحتقارهما
أباهما، ولا معانيها في إذلالها وتحطيمها.

فجأة فتح الباب واطل جايس بعينين غصصان كل عتاب الدنيا وتأنيب
الأرض. لم تتوقع قدومه الآن ومفاجأته أياها تعمل حتى هذه الساعة.
- ماذا تفعلين في هذه الساعة المتأخرة؟
أجبت بولنياك:

- ماذا تعتقدني فاعلة؟ الى انهي الغرفة الأخيرة، ثم لم أتوقع قدومك
باكراً.

- ولم المجلة؟

ردت ليز تجمع بين التحدي والانكسار:

- يجب أن يكون جاهزاً لاستقبال السيدة كافيل. فهي لم تره بعد انتقالنا
الى هنا. صار بإمكانها الآن التجول فيه بفخر واعتزاز (وهضت بمكر) أه
تذكرت، هل تمانع في دعوتي ويكس للضيافة نهاية الأسبوع هنا؟

أجاب جايس بحزم:

- أجل أمانع في ذلك.

- إذن من الأفضل أن أزووه بنفسى في منزله.

أوشك أن يتسم وقال بتهكم:

- اذا ذهبت بعثالك هذه، اعتقد انه سيردك على أعقابك ويستغني عن
خدماتك.

ابتلت ليز انه ييزاً منها وأنها تحولت في النهاية الى مدعاة للسخرية له
ولبولا، فصاحت:

- بإمكانك الحصول على المنزل بكامله لك ولا صدقاتك. احضر من
تشاء الى هنا. دعني فقط انجز هذه الغرفة لاني لا أقدر أن اتركها على هذه

الحال، فما زالت أمك بعضاً من الكرامة بالرغم مما حصل. هل ستعطي
الليل هنا، أم انك في طريقك الى منزل بولا.

استغل جايس توقفها عن الكلام لالتقاط انفاسها ليقول:

- فملكين صوتاً جيداً بالرغم من كراهيتك للصراخ.

لم يدعها تضيف كلمة أخرى، بل غادر الغرفة مقللاً الباب خلفه،
فبقيت في مكانها مستندة ظهرها الى سور السلم. زالت العاصفة من داخلها
وانطقت ناز الحقت التي اندلعت منذ دقائق. هدأت بعد ذهابه بالرغم من
علمها انه ذاهب الى منزل بولا. لكنها تنهت فجأة الى خطورة قيادته
السيارة وهو في هذه الحالة، فقفزت عن السلم وهرعت الى الباب الخلفي
لتجد المرائب خالياً. هرولت الى المدخل الأخير ورائته يهيم بادارة المحرك.
صاحت يلع تنزل الدرجات الرخامية:

- مهلاً، أرجوك.

فتح جايس باب السيارة فأرتمت بين ذراعيه لاهته:

- لا تقلد السيارة. اذهب سيراً على قدميك ان أردت، لكن أرجوك ألا
تستعمل السيارة.

أجاب جايس مذهوشاً:

- ولم لا؟

- قد تظنني مجنوناً، لكنني فجأة أدركت سبب خوئي من المشاجرات
والصراخ.

أمسك بيدها وسار بها الى الباب، وأجلسها بقرية على إحدى الدرجات
كما سبق وقعلا في يده علاقتها. همس بنبرة ملؤها العاطفة والاهتمام:

- هل ستخبريني عن هذا السبب؟

دفنت وجهها بين يديها ولمت بصوت متهدج:

- مشاجرة عنيفة سبقت وفاة والدي. نادراً ما كانا يتشاجران، فكانا كلنا
نعيش في سعادة وهناء. لكنني لا أقدر على نسيان تلك المشاجرة وما رافقها
من صراخ. خرجا بعدها ولم يعودا أبداً، ومنذ ذلك الحين لم أصرخ أو
أتشاجر مع أي كان (أردفت والدعوى تبلى وجنتها) أصبحت المساة قديمة
من حيائي، صدى يضح في اعماقي، ويتحول في الليل الى كابوس رهيب،
أشعر بأصابعه تمتد الى عنقي لتخنقني. أنا آسفة، فالتعب يجعلني

ابدو سخيطة أحياناً. لقد أنهيت المنزل كله.

طوبها جاييس يذراعيه وهمس بخنان:

- لا أريد أن احظى بمنزل جاهز وأحسرك.

ضمها الى صدره يساعدها في صعود الدرجات الباقية، ودخلا غرفة

الجلوس وأجلسها على الأريكة الوثيرة وقعد قريبا.

نظرت في عينيه سائلة:

- الآن تذهب الى منزل بولا الليلة؟

- كلا.

- على كل حال، متزور نيرجليس الأسبوع المقبل. اتصلت بي منذ ساعة

لتخبرني أنها تلقت دعوة لذلك.

- لقد دعت نفسها.

- أليس أنت صاحب الدعوة؟

- كلا.

- أليس حبيبها؟

التفت عيناه عنيها في عناق خجول وأجاب:

- أنا حبيبك أنت وحدك.

اختلط الأمر عليها فلم تعد واثقة بما تسمعه:

- لكن زواجنا... لم يكن حقيقياً. طليت مني الموافقة على الزواج

لأنك...

قاطعها قائلاً يهدوه:

- سأتركك الزواج لأنني أردت الاعتناء بك. لم أحتمل نظرة بولا الى

الزواج ومعانيه

اذن طمع بولا هو الذي أوصلها الى هنا. أرادت أن تحصل على كل

شيء لنفسها. لكن ما دورها في هذا كله؟ هل تمت المساومة عليها بعد أن

تخل عن بولا؟

- لهذا السبب تشاجرتما؟

رد جاييس بجفاء:

- إنه أحد الأسباب. بإمكانك شراء كل ما أريد، ودفع أي ثمن. لكنني

أدركت في النهاية أن لا علاقة للزواج بالمال. لم أرد أن اشترى عروساً بل أن

أحبها. لذلك لم أقبل ببولا زوجة لي. اعتقدت أنني لا أملك قرشاً واحداً

باسمي، أليس كذلك؟

- أجل، الى ان...

ابتسم قائلاً من غير أن يدعها تكمل عبارتها:

- علمت من أنا قبل أن أحبك.

- كيف اكتشفت ذلك؟

- أتذكرين تلك الليلة التي أوصلتك فيها الى شفتك؟ التفتت بعدها

باري مايسون في الفندق الذي كنت أنزل فيه.

أكمل جاييس حديثه يهدوه:

- أخبرني أنه اتصل بك وكنت عود حديثكها، وعزا غفلك عنه الى

باسك من تجاحه في عمله. كان واثقاً من زوال باسك معي.

انه صادق، فهذه طريقة باري في الكلام عندما يفقد السيطرة على

نفسه، ويتسلم للغضب. لقد خبرته طويلاً وهي واثقة من أن جاييس لم

يضطر حتى الى طرح ولو سؤال واحد للاستفسار فباري لا يتوقف عن

الكلام إلا بعد نقاد جميعه.

- لم أعلم من أنت إلا بعد مكاتلة باري، لكنني لم أصدقك ساعتئذ. هل

اعتقدت أنني وافقت على الزواج منك طمعاً في ثروتك؟

- تقريباً.

لم يفاجئها جوابه، فقد راودها هذا الظن مرة، لكنه كان غامضاً وأدركت

بعد حين أنها تحبه. قالت مستهفنة:

- لماذا بقيت مصرراً على الزواج اذن؟

- سبق وشرحت لك. لأنني بحاجة الى زوجة، ولم أرد اختيارها من بين

اللاوي كن يتهاقن للزواج مني.

أحست بتسارع خفقات قلبها وشهقت:

- آه.

- ولأن أحببتك منذ اللحظة الأولى، وأدركت شريكة حياتي مهما كان

ن.

انعكس شوقه وحاجته اليها على عيانه، وأحست ليز بوهج الحب المتفجر

من عييه، يلفح وجهها وجسمها، فصاحت تطلق سراح شعورها المكبوت

في صدرها منذ أمداً :

- إذن لماذا ؟ لماذا تصرقت بغرابة تلك الليلة في باريس ؟

- بدا لي أنك لا تريدني .

- كنت خائفة .

- وأنا أيضاً .

لا يعقل أن يشعر شخص مثله بالخوف وهو المشهور بمغامراته وقدرته غير المحدودة على الوصول إلى أي فتاة . لكنه يبدو الآن كولد بائع وقع في الحب للمرة الأولى .

- لا أصدق ما تقول .

أجاب بصوت أجش :

- لم أجروا على لمسك خوفاً من أن أسبىء اليك . شعرت بجمل جارف اليك ، لكنني لم ألق تحدياً منك فلم أتمكن من مواجهتك بعد العاصفة . أنت فتاة باردة وبالرغم من ذلك تميت لو تركت بين ذراعي تلك الليلة ، لكنك لم تفعل .

مدت لي ذراعيها لمجاهة :

- خلعتك ستطوقني بذراعيك ولكنك لم تقدم على ذلك .

غمرها راقعاً إليها إلى وجهه ، فأبقت أن زمن الخوف ولى إلى غير رجعة . لن يفلقها كابوس ولن تخيفها فكرة ما دامت قريبة منه ، عمية بذراعيه .

رقصت عيناها فرحاً وهمست معترقة :

- غيري من بولا تنبشي وتقلق راحتي .

أبداً أسيرة ذراعيه ، وكأنه يؤكد لها عدم تخليه عنها بعد الآن وقال :

- لم أدر بقدمها الأسبوع الفائت ، لكنها أسدت لي خدمة كبيرة ، فأنا أيضاً أشعر بالغيرة من ريكس .

هفتت لي بدعشة :

- غير معقول ! أنسيت قولك لي عن امكاني القيام بأي شيء ، شرط أن أطلقك عليه قبلاً .

عانقها مرة أخرى وأجاب :

- كنت مستعداً لتقبل أي شيء ، ما دمت قادراً على الاحتفاظ .

ضحكت ملء فيها معلقة :

- لا بد وأني تزوجت من شخص يعاني انحصاماً في شخصيته . ماذا عن

عطلة الأسبوع المقبل ؟ هل ندعو بولا وريكس معنا إلى تيرجلين ؟

- لم لا ؟ غير أننا لن نكون هنا ، فأنا عملت من غير توقف منذ الأحد الماضي لأحظى بأسبوع هادئ نقضيه معاً . سيكون أسبوع عسل ولا أحل .

لم تشعر بهذه السعادة منذ زمن طويل . عاد الحظ فأبسم لها بعد عيوس ، وانقشع أفق حياتها بعد تهمهم . رحل الكابوس عن صدرها ، وتحورت أهدابها من ثقله . بات بإمكانها أن تحب من غير خوف ، وإن تحيا من غير هواجس .

ستحبه كما لم تحب أحداً من قبل ، وستعيد الحياة إلى تيرجلين وتجعله صورة حية لذلك المنزل الصغير ، رفيق طقولاتها الحزينة . نظرت إلى نفسها وعلمت بدلال :

- يا لمنظري الكبرياء . احتاج إلى حمام ساخن لأزيل هذه الاوساخ عن جسمي .

- ثم إلى السرير مباشرة ، اليس كذلك ؟

- لم أعد أفكر بالنوم .

انسلت بهاء يرفق إلى ظهرها ، وطوقنا تنصرها مقرباً وجهها من وجهه :

- ومن أي على ذكر النوم .